لماذا الكفر؟

دراسة فكرية حديثة في مدعيات تكفير وإقصاء
وتهميش شخصية ومنهج الشيخ الأوحد الأحسائي

الشيخ إبراهيم القديم

لماذا
كفروك؟

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ

اسم الكتاب: لماذا كفروك؟ (دراسة فكرية حديثة في مدعيات تكفير وإقصاء وتهميش شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي)
اسم المؤلف: الشيخ إبراهيم القديم
مصممة الغلاف: رفعة العجمي
الناشر: دار الباقيات الصالحات للطباعة والنشر - بيروت - بئر العبد
للتواصل: DarAlBaqyatAlSalihat@gmail.com

لماذا كفروك؟

(دراسة فكرية حديثة في مدعيات تكفير وإقصاء وتهميش شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي)

تأليف

الشيخ إبراهيم القديم

موقع الأوحد

Awhad.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من جعلنا أقوى...

قائد الركب في سلك المدافعين عن الشيخ الأوحد الأحسائي

من وقف على مظلومية شخصيته فنصرها

من فهم حقيّة أفكار ومعتقدات وآراء منهجه فنشرها

إلى سيدي ومولاي جناب الحكيم الإلهي والفقيه الرباني المولى

الميرزا عبدالله نجل المعظم خادم الشريعة

الميرزا عبدالرسول الحائري الإحقاقي

أُهدي هذا الكتاب

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهُمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

تلعب المعتقدات الدور الكبير في حياة الإنسان بناء على العلاقة الحميمة بين الروح والمعتقد؛ فالدراسات قد أظهرت مدى أهمية تأثيرها على سلوكه وصحته النفسية والجسدية، واندماجه في مجتمعه، وتفاعله مع بيئته[١].

ومما لا شك فيه، هناك ظروف كثيرة ـ كالأبوين[٢]، تفاعلات زمان ومكان البيئة، نوع المجتمع والدين، مستوى التعليم، وغيرها ـ تتدخل في نشأة أفكار المعتقدات في خلفيته الفكرية والشخصية، وتساهم كذلك في تطويرها وترسيخها حتى تتجه بمرور الزمن إلى مسلك اليقين

(١) koenig, H. G. (٢٠٠٩). Research on religion, spirituality, and mental health: A review. Canadian Journal of Psychiatry, ٥٤ (٥),٢٨٣-٢٩١.

(٢) كما قال الرسول الأعظم محمد ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة؛ إلا أن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه». [عوالي اللآلي ـ ابن أبي جمهور الأحسائي: ج١ ص٣٥/ ف٤ (١٨).

والجزم؛ فتتحول إلى حقيقة لا تقبل الجدل أو النقاش، ثم إلى إيمان يفرض عليه ضرورة الدفاع عنه بشراسة، وأخيراً تصبح قيماً ومشاعر متأصلة في داخل الروح يعد المساس بها انتهاكاً للحرمة.

وحينما يصاحب تلك النشأة والتطوير والترسيخ ما يدغدغ عقل الإنسان ومشاعره، ويغذي حاجاته النفسية، ويزرع مشاعر الاطمئنان والأمان في داخله؛ يتعزز مبدأ الولاء والطاعة بينه وبين محتوى معتقداته، ويقوده هذا إلى عدم النظر إلى أي دليل ينافيها مهما كان محسوساً أو معقولاً.. فالتجاهل أو الحذف أو النظرة الدونية إلى ما يضادها ما هي إلا مجرد وسائل تعمل طوال الوقت على تأصيل أفضلية معتقداته على غيرها، وتقوية مبدأ استحالة تغييرها.

وهكذا كل إنسان يصل إلى هذه المرحلة من العلاقة مع معتقداته يسلم بأنها هي الحق؛ لأنه اعتاد عليها وألفها بحكم الممارسة والتنشئة والبيئة.. فيرتبط بها عاطفيًّا مع مرور الزمن.

والخوف كل الخوف حينما تبدأ ملامح التعصب والانغلاق والتطرف تظهر على شخصيته وتفكيره؛ خصوصاً حينما تنعدم اللبنة الأولى من لبنات بناء المعتقد، وهي التفكير!

ففي الواقع.. هناك الكثير من الناس لم يتطرقوا في يوم من الأيام إلى التفكير في سبب إيمانهم بمعتقداتهم!

فلماذا أنا مسلم، مسيحي، يهودي...؟

ولماذا أنا شيعي، مالكي، حنبلي...؟

ولماذا أنا أتبع هذا المنهج الفكري لا ذاك؟

ولماذا أعتقد بهذا المعتقد الصحي أو الأسري أو الاجتماعي.. دون غيره؟

هذا النوع من الأسئلة ـ وغيرها ـ حتماً سيباغت الجميع بكافة أديانهم وطبقاتهم وأشكالهم وألوانهم وأعمارهم أثناء مسارات الحياة، وبالذات حينما يكتشفوا أو يقعوا في حجم الاختلاف القائم بينهم وبين غيرهم.

فالطفل الصغير لن يظل في منزله؛ بل سيذهب إلى المدرسة ويرى ذلك الاختلاف، وسيكبر معه في الجامعة وفي العمل.. وسيكتشف المزيد منه حينما يقوم بتغيير بيئته بالسفر وغيره، وسيأتي اليوم الذي يتصادم فيه الإنسان مع معتقداته الصغيرة منها والكبيرة.

فهل حدث ذلك معك؟

هل تصادمت في يوم ما مع معتقداتك التي تؤمن بها لسبب أو لآخر؟

ماذا فعلت من أجل ذلك؟

إن هناك فئتين من الناس تتعامل في ظرف تصادم الذات مع المعتقد:

فئة لن تفعل شيئاً؛ لأنها وثقت ثقة عمياء في المراكز التي نقلت إليها معتقداتها، أو لأنها تفضل العيش في منطقة الراحة الذهنية أكثر من غيرها؛ فتتجنب عندئذٍ الإفصاح عن الآراء الصادمة لمن حولها كي تحضى بالقبول الاجتماعي مثلاً.

وفئة أخرى ستحاول الخروج من تلك الفقاعة، والقيام بعملية إدارة المعتقدات في حياتها، وبالتالي سيتغير البعض أو الكثير من أفكارها، توجهاتها، طموحاتها.. ومن أفراد هذه الفئة من تغيرت أديانهم حتى.

كيف حدث ذلك؟

كل ذلك حدث من تفعيل دور اللبنة الأولى في قبول أو رفض أي معتقد كان، وهو التفكير.

فحينما تصادمت مع معتقداتك في ذات مرة:

هل تسمرت واقفاً من دون أن تفعل شيئاً؟

أم أنك حاولت القيام بالخطوة الأولى في عملية إدارة المعتقدات وهي التفكير؟

أؤمن بأن هناك حقيقة مطلقة كالحقائق الإلهية التي يجب أن نؤمن ونعتقد بها، وإن خالفت عقولنا وميولنا وتوجهاتنا.

ولكني أكثر إيماناً، بأن هناك ـ أيضاً ـ حقائق نسبية لها أكثر من وجه ورأي وتفسير، وهناك مناطق عمياء فيها الكثير مما لم نعرفه بعد.

لقد قمت أنا بتلك الخطوة مراراً، وما زلت أفعلها بين فترة وأخرى.. فإن لم تقم ـ عزيزي القارئ ـ بذلك، فحاول تجربتها الآن.

إن الأمر متعب قليلاً، ولكنه يستحق القيام به حينما تتلمس آثار النتائج التي ستصل إليها؛ فمنها ما سيجعلك تحذف بعض المعتقدات ـ الخاطئة طبعاً ـ، ومنها ما سيضيف الشيء الجديد على رصيدها، ومنها ما سيقوي حبل تمسكك بمعتقداتك التي تؤمن بها؛ لأنك أصبحت تملك دليلها القطعي.

ولكن.. هل تعلم؟

إن أصعب مرحلة من مراحل التفكير التي يقوم بها الإنسان لغربلة اعتقاداته في شتى المجالات وفي مختلف الأمور، هي مرحلة الوقوف على حقيقة الإتجاه الفكري الذي ينتمي إليه!

فكل إنسان لديه انتماءً فكريًّا لاتجاه معين من الاتجاهات، دينيًّا كان، أو ماديًّا، أو غير ذلك، والكل يؤمن إيماناً تامًّا بأهمية تأثير اعتقاداته على منظومته الحياتية ككل، من الناحية الدينية، أو الشخصية، أو الاجتماعية، أو الأسرية.. أو غيرها.

فالأمر كان صعباً جدًّا..

خصوصاً حينما أكتشف أن هناك من يكفر ويقصي ويهمش شخصية ومنهج مؤسس الاتجاه الفكري الذي أتغذَّى من سبيله للوصول إلى حقيقة العقائد الفكرية والروحية في داخل المنظومة الدينية الإسلامية، وهو الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، المعروف بالشيخ الأوحد الأحسائي.

"لماذا كفروك؟"

حاولت أن أجيب عن هذا التساؤل بما يتوفر لدي من خلفية معرفية في بادئ الأمر؛ ولكن الأمر ازداد صعوبة حينما تضاربت حوله الأقوال ومصادرها، وعدد الكتابات المدافعة والناقدة له؛ لحد أن جعل ظهور الحقيقة بحاجة إلى إقامة دراسة فكرية يتخللها الكثير من الوقت والجهد.

فقمت بتلك الدراسة التي لم أكن أعلم في بدايتها إلى أيَّة ضفة ستصل بي نتائجها.. لاتخاذي ثوب التجرد والموضوعية أساساً فيها.

وبعد الانتهاء منها، لم أشأ حبسها في ظلمة أرشيفات أبحاثي الشخصية؛ بل وددت أخرجها إلى الضوء ليستفيد منها كل من يبحث ويتطلع إلى الكشف عن حقيقة شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي.

فأعدت كتابتها لمرات، وقمت بتنقيحها مرات ومرات، وألقيتها كذلك في سلسلة محاضرات ليشاركني غيري الرأي؛ فجاءت بعد كل هذا الطرق والصقل بالصورة التي تراها بين يديك ـ في هذا الكتاب ـ.

ولعلك ـ عزيزي القارئ ـ تقول الآن:

هناك الكثير من الدراسات التي تناولت شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي ـ فلا نبالغ حينما نقول: إن عدد ما جاء من طرف المدافعين والناقدين قد يفوق المائة ـ؛ فما الذي يميز هذا الكتاب إذاً؟

إن دراسة هذا الكتاب ليست زيادة في رصيد ذلك العدد، ولا رغبة ملحة وجدتها تستدعي الكتابة في هذا الموضوع بأكثر مما جاء فيه؛ بل إني رأيت النقص الموجود في الكثير منها.

ولا أعني بذلك نقص ثراء المعلومات وتنوعها؛ بل نقص الكشف عن الحقيقة الواقعية لشخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي؛

بأسلوب واضح وصريح، وملائم للخلفيات الفكرية والذهنية لعصرنا الحديث.

فمما لا شك فيه، إن تلك الكتابات ـ المدافعة والناقدة لشخصيته ولمنهجه التي تعد اليوم من المصادر الهامة لدى الكثيرين ـ صيغت بكلمات مذاقية متنوعة، وبنيت فوق ظهر عبارات وطرائق بحثية واستدلالية يجد الكثير منا صعوبة فهمها، وهضم كل ما جاء فيها.. لماذا؟

لأنها كتبت في عصور كانت لها ظروف زمانية ومكانية تختلف عن ظروفنا اليوم؛ فاللغة والعبارة وطريقة البحث والاستدلال ـ وغيرها من أمور تتدخل في عملية الكتابة بصورة أو بأخرى ـ تتغير أساليبها وأشكالها مع متطلبات الحاجات في كل عصر.. هذا أولاً.

وثانياً: لقد تناولت تلك الكتابات قضايا أثيرت في محيط زمانها ومكانها حول شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي، واليوم هناك قضايا أخرى تجددت أو أثيرت لابد من التطرق إلى دقائقها وحقائقها.

من هنا.. لما تلمست تلك الحاجة لم أتبع الأسلوب المجرد للبحث العلمي الذي ينفر القارئ ويملأ الصفحات بالمصطلحات والسطور الغامضة، فقد يخدم هذا النوع فئة معينة من القراء ولكن ليس الجميع.

وإنما جاء الأسلوب الشيق في الكتابة، والصياغة الفكرية المبطنة بالنقد الهادف، من أولويات منهجية هذا الكتاب؛ وذلك لجذب القارئ إلى تلابيب مواضيعه، وتحصيل إمكانية فهم ما جاء فيه بيسر وسهولة تامة.

ومع كل ذلك؛ حتى أحافظ على متانة ما جاء فيه من الناحية البحثية، وأرضي أمانتي العلمية، زودت هوامشه بالعديد من المصادر، وبالكثير من التعليقات الهامة.. فحاول أن تركز على ما ذكر فيها، فقد تضمنت العديد من النقاط التي ستحتاج إليها أثناء البحث.

وأيًّا كان الدافع أو الهدف أو طرق الأسلوب التي اتَّخذتها في صياغة هذا الكتاب، فإن دولاب الدفاع أو النقد لشخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي لم يتوقف عند حدود تلك الكتابات، ولن يتوقف حتى مستقبلاً؛ فسوف يأتي آخرون ويدافعون عنه، وغيرهم يقدمون إنتقاداتهم إليه.. فوددت أن أكون طرفاً في أحد المسلكين.

ولكن.. من أي طرف جعلتني نتائج هذه الدراسة أكون؟

هذا ما سنكتشفه سويًّا..

الشيخ/ إبراهيم القديم

الأحساء

شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي في سطور التاريخ

لو حاولت يوماً أن تكون باحثاً عن الحقائق الكامنة في داخل تاريخ الفكر الإسلامي، وأنت ترتدي عباءة الموضوعية البحتة، فتأخذ بعين الاعتبار تجرد النفس من جميع الصلات التي أنستها وارتبطت بها؛ كالقواعد، والأفكار، والآراء، وغيرها؛ فإنه بمجرد عبورك السريع على دهاليز دساتيره الطويلة، سيظهر لك تنوع الجهود التي قام بها العلماء الذين حملوا مشعل الفكر الفلسفي أو الحكمي في الإسلام.

فبعض تلك الجهود[1] جاءت في نقل وترجمة العديد من نظريات العلوم الأجنبية الدخيلة من اليونانية والفارسية والسريانية والهندية إلى داخل الحضارة الإسلامية[2]، وبعضها جاءت في تطوير وابتداع نظريات جديدة لم تكن معهودة سابقاً[3].

وبعضها كبرت فتعددت أطوار النقل والترجمة، والتطوير والابتداع؛ فوصلت إلى مرحلة تشكيل أو إنشاء مدرسة فلسفية ـ أو حكمية ـ ذات أسس وطابع خاص بها.

---

(١) بغض النظر الآن عن موافقتها أو مخالفتها للشريعة الإسلامية.
(٢) تاريخ فلاسفة الإسلام ـ محمد لطفي جمعة: ص١٦ـ١٧.
(٣) فلاسفة الشيعة ـ الشيخ عبدالله نعمه: ص٣٢.

كشهاب الدين السهروردي[١] الذي أنشا مدرسة الاستشراق، والملا صدرا الشيرازي[٢] الذي أنشأ مدرسة الحكمة المتعالية، والشيخ أحمد ابن زين الدين الأحسائي[٣] الذي أنشأ مدرسة الحكمة الأهل بيتيه المنسجمة مع الشريعة الإسلامية، أو ما تُسمَّى بالمدرسة التكاملية[٤].

وحينما تزيد من مساحة بحثك قليلاً، وتسلطه على العطاء الذي قدمته جميع المدارس الفلسفية التي نشأت داخل الحضارة الإسلامية، فسوف تكتشف أن مدرسة الشيخ أحمد الأحسائي قد أثرت المكتبات، وتركت بصمة واضحة لها في تاريخ الفكر قاطبة؛ وذلك لما شكلته نتائجها من روافد غنية لها عمق الاعتبار في أبحاث المجامع العلمية

(١) هو الشيخ أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك، الملقب من قبل مريديه "بشهاب الدين السهروردي"، و"شيخ الإشراق"، و"المؤيد بالملكوت"، ولد سنة (٥٤٥هـ) في الشمال الغربي من إيران، في منطقة ميديا القديمة ببلدة سهرورد. اختلف المؤرخون في طريقةِ مقتله، فقيل: مات جوعاً، وقيل: قتل بالسيف، وقيل: أحرق، والشائع ـ في أغلب كتب التاريخ ـ أنه خنق ثم صلب في حلب سنة (٥٨٧هـ)، وهو في عمر لم يتجاوز الثامنة والثلاثين عاماً، على يد الملك الظاهر الأيوبي بأمر من أبيه صلاح الدين الأيوبي. [الأعلام ـ الزركلي: ج٨ ص١٤٠. وفيات الأعيان ـ ابن خلكان: ج٦ ص٢٦٨. عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ السعدي: ج٢ ص١٦٧].

(٢) هو الفيلسوف صدر الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازي، المعروف "بالملا صدرا"، ولد في مدينة شيراز حوالي سنة (٩٧٩هـ ـ ٩٨٠هـ)، وتُوفِّي بالبصرة في سنة (١٠٥٠هـ). [أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين: ج٩ ص٣٢١ـ٣٢٣].

(٣) سوف يأتي الحديث عن سيرته الذاتية في مطاوي البحث.

(٤) أطلق هذا الأسم الفيلسوف هنري كوربان. [انظر/ نظرة فيلسوف ـ هنري كوربان: ص٣٦].

وغيرها، خصوصاً في تلك المواضيع الدقيقة الحساسة، كموضوع الفلسفة، والعرفان، والفلك، وغيرها.

فبالرغم من عمرها القصير قياساً بعمر المدارس الأخرى، وقلة عدد العلماء فيها مقارنة بأعدادهم في غيرها، فإنه إذا أُخذ مجموع الموجود[١] بين أيدينا ـ فقط[٢] ـ من المؤلفات التي تركها مؤسس هذه المدرسة[٣]، وتلامذته[٤]، وأتباعه، وأضفنا إليها مجموع ما كُتِب حولها

---

(١) بغض النظر عن عدد مخطوطات الرسائل التي لم تنشر حتى الآن لظروف أو أسباب منعتها من ذلك، وبغض النظر عن عدد تلك التي ضاعت عبر الزمن ولم يتبقَ منها إلا الاسم، فيذكر الشيخ أبو القاسم الكرماني في كتابه: (أن مجموع آثار الشيخ أحمد تبلغ (١١٥) رسالة، و(٥) خطب، و(٣٥) فائدة، ومراسلة واحدة، تقع في (٣١) مجلداً، فُقِد منها (١١) مجلداً). [فهرست كتب شيخ أحمد أحسائي وسائر مشائخ عظام ـ الشيخ أبو القاسم الكرماني: ص٧٣٥].

(٢) بغض النظر عن الدروس والمحاضرات التي كان يلقيها مؤسسها في أثناء إقامته بالبلدان، وفي طريق سفراته.

(٣) اختلف في عددها: فيذكر المرجع الراحل آية الله المولى المعظم الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي في كتابه "التحقيق في مدرسة الشيخ الأوحد" ما يقرب من (١٧٣) مصنَّفاً للشيخ الأحسائي مع شرح مبسط لمحتوياتها. [التحقيق في مدرسة الشيخ الأوحد ـ الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي: ج١ ص٢٢٩]. ويذكر ـ المعاصر ـ الحاج رياض طاهر في فهرسته لتصانيف الشيخ أحمد الأحسائي: (أن مجموع ما صدر عن المترجم من رسائل وكتب وخطب وفوائد وقصائد (١٥٤)، ومجموع جوابات المسائل (٥٥٥) مسألة، من مخطوط ومطبوع على الأقل). [فهرست تصانيف الشيخ أحمد الأحسائي ـ رياض طاهر: ص٣]. ويذكر ـ المعاصر ـ الدكتور حسن الشيخ في كتابه آخر الفلاسفة: أن (عدد مؤلفات الشيخ ناهز المائة والثمانين). [آخر الفلاسفة ـ د. حسن الشيخ: ص٨٦].

(٤) يذكر الشيخ زين العابدين بن عبد الرضا إبراهيمي في مقدمته على موسوعة جواهر الحكم أن للسيد كاظم الرشتي أكثر من مائتي رسالة، طبع الموجود منها في هذه الموسوعة، وهي أكثر من مائة وثلاثين رسالة ومصنفاً. [جواهر الحكم ـ السيد كاظم الرشتي: ج١ / المقدمة (و)].

من رد ونقد، وغير ذلك، فحتماً أن العدد سيتجاوز الألف كتاب، وهذا الأمر يكاد لا يوجد في بقية المدارس الأخرى[١].

فأنا أضمن لك ـ عزيزي القارئ ـ أنَّ هذه النتيجة هي الصورة المبدئية العامة التي سيصل إليها أي باحث موضوعي مجرد في أمر حقيقة شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي.

فما رأيك فيها؟!

أليس من الجميل أن نكتشف أنَّ هناك شخصية مدهشة في تاريخ الفكر الإسلامي؟

فأنا لا أبالغ حينما أقول لك أنَّ للشيخ أحمد الأحسائي شخصية مدهشة حقًّا، ولها عطاء ما زال يسبر ويثير أذهان العلماء والمفكرين والمثقفين ـ وغيرهم ـ حتى اليوم.

وإذا كنت تجد الغرابة في وصفي لها بذلك فحاول ألا تعتمد على نتائجي البحثية، وقم بتكوين نتائج من البحث الخاص بك، فالأمر ليس حكراً على إنسان دون آخر، حتى أنت تستطيع أن تبحث وتستنتج في أي موضوع ترغب الوصول إلى حقيقته.

---

(١) الشيخية ـ الطالقاني: ص٩.

وأنا على ثقة تامة.. بأنك مهما ذهبت شرقاً أو غرباً في بحثك ؛ ستجد أن جميع السطور التي قرأتها قراءة حقيقية قامت بوصف شخصيته بذلك ؛ بل وقدمتها كشخصية فريدة من نوعها أيضاً!

نعم فريدة.. وأنَّى لنا أن نتجاهل ذلك!

ونحن لا نتحدث هنا عن شخصية رجل عبر الحياة من دون أن يترك لنفسه أي أثر فيها ؛ بل نحن أمام عالم من أعاظم علماء الشيعة الإمامية ، ومرجع لطائفة كبيرة من العرب والعجم.

فقد استُجيز الشيخ أحمد الأحسائي من قِبل مجموعة كبيرة من الأعلام العظام في عصره[١].

وأجازَ ثلة كبيرة من العلماء الذين نفتخر بوجودهم وبإنجازاتهم[٢]... حتى أن السلطان فتح علي شاه القاجاري[٣] وبنيه ممن قلدوه في فترات دولتهم[٤].

---

(١) سيأتي ذكرهم بعضهم في طيات البحث.

(٢) سيأتي ذكرهم بعضهم في طيات البحث.

(٣) ثاني ملوك آل قاجار ، مُلك عام (١٢١٢هـ) ، بعد محمد خان الذي قتل عام (١٢١١هـ) ، وله آثار تاريخية خالدة في العراق وإيران ، تُوفّي في عام (١٢٥٠هـ). [معادن الجواهر ونزهة الخواطر : ج٢ ص٢٨٢].

(٤) نزهة الأفكار "ترجمة لكتاب كلمة أي إزهزا در رد مزدوران استعمار" ـ ميرزا غلام حسين معتمد الإسلام التبريزي : ص٥٠.

نحن أمام طود مدرسة حكمية ضربت جذورها في أعماق أرض التاريخ، فاستقطبت وشدت أطروحاتها ونظرياتها وأفكارها ـ التي تمتاز جميعها بمزايا إبداعية في الحقل الخاص بها ـ الكثيرين؛ وذلك لما حوته من مضامين رفيعة عالية.

فللشيخ أحمد الأحسائي نظريات وآراء جديدة لم يسبقه إليها أحد[١]، وإسهامات إصلاحية لا يمكن للزمان أن يغفل عنها، تجلت في تصحيح ما كان سائداً من النظريات والآراء الفاسدة في داخل الفكر الإسلامي وخارجه، كنظرية بسيط الحقيقة كل الأشياء[٢]، والرأي القائل بقدم المشيئة والإرادة[٣]، وغير ذلك.

---

(١) يقول المحقق السيد محمد كاظم الطريحي في مقدمته على ديوان الشيخ علي نقي الأحسائي: (لم يكن الشيخ الأوحد حكيماً فحسب، بل إنه ممن أضاف إلى الحكمة الإسلامية آراء مبتكرة فيما يطابق العقل والنقل مما جاء في السنة النبوية وأخبار أهل البيت عليهم السلام). [ديوان الشيخ علي نقي الأحسائي: ص ٦٤].

(٢) التمس الأخوند الملا محمد الدامغاني من الشيخ أحمد الأحسائي في الإجابة على مسألة (بسيط الحقيقة كل الأشياء) التي اشتهرت بين العلماء والحكماء، فأجابه برسالة طبعت بشكل مستقل تحت عنوان (معنى بسيط الحقيقة كل الأشياء)، بيّن فيها بطلانها بالصورة الحكيمة المقرونة بالأدلة النقلية والعقلية، بشكل واف وكاف في المقام بما لا مزيد عليه. [انظر/ معنى بسيط الحقيقة كل الأشياء ـ الشيخ أحمد الأحسائي: بيروت ـ دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ)].

(٣) انظر/ الرسالة الاعتبارية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص١٠٣.

وله إثباتات استعصت حتى على فطاحلة الفلاسفة والمتكلمين ؛ كإثبات مسألة المعاد الجسماني عقلاً[١]، وحل مسألة التناهي واللا تناهي بين المخلوق والخالق[٢]، وغير ذلك من المسائل والأمور التي تنبئ بأن شخصية هذا الرجل كان لها مكانة علمية واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار[٣]، كتضلعه في عدد كبير من فنون العلوم[٤]، ومنها العلوم الغريبة ؛ كعلم السيميا، وعلم الريمياء، وغيرهما[٥].

---

(١) انظر/ شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٢٤ـ١٢٥. شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٤ ص٣٤ـ٣٨.

(٢) انظر/ شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص١٣٧ـ١٣٩.

(٣) وعلى مكانته العملية أيضاً، فهي مما لا شك فيه ؛ لشهادة العديد من العلماء على ورعه وتقواه وزهده، فقد قال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: (والحق أنه من أكابر علماء الإمامية وعرفائهم، وكان على غاية من الورع والزهد والاجتهاد في العبادة، كما سمعناه ممن نثق به). [الآيات البينات ـ محمد حسين كاشف الغطاء: ص١١١]. وقال الشيخ الميرزا علي التبريزي: (الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، فخر الأعلام وذخر الأيام، تاج الدهر وناموس العصر، العلامة الأوحد والفاضل الفهامة الأمجد، العالم الرباني والفاضل الكبريائي الصمداني... وكان قدس سره قليل النطق كثير الصمت، لو نطق فبالحق ولو سكت فعن الباطل، جامعاً بين الشريعة والحقيقة، مرتاضاً زاهداً، معرضاً عن الدنيا وأهلها، ساعياً في إظهار ما أراده الله من التدبر في آيات النفس والآفاق). [مرآة الكتب ـ التبريزي: ج١ ص٢٦٠ـ٢٦١].

(٤) يقول العلامة الشهير والمحقق الخبير الميرزا علي أكبر دهخدا في كتابه "لغة نامة": (إذا نظرنا بعين الإنصاف في آثاره وكتبه المطبوعة نرى بأن الشيخ الأحسائي كان في أغلبية العلوم الإسلامية في عصره أستاذاً ذا رأي صائب، وقلّ نظيره بين معاصريه). [نقلاً عن/ التحقيق في مدرسة الأوحد ـ الميرزا عبدالرسول الإحقاقي: ص١١٤ـ١١٥]

(٥) انظر/ الرسالة التوبلية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٨ ص٥٥.

ويكفينا في هذا الأمر حديثاً، ما جاء من لفت النظر نحو تفردها على ألسنة العديد من العلماء الأعاظم ـ وغيرهم ـ:

فها هو الشيخ الميرزا محمد باقر الخوانساري[١] يقول: (لم يُعْهد في هذه الأواخر مثله في المعرفة)[٢].

والعلامة الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي[٣] يقول: (الحكيم الرباني، والعارف السبحاني، والفريد الذي ليس له ثانٍ)[٤].

والسيد مرتضى الجهار دهي[٥] يقول: (ولولا ظهور بعض الموانع والمعارضين في أواخر عمره الشريف؛ لكان هو الشخص الأول، والفرد الأكمل في عالم التشيع)[٦].

---

(١) هو الميرزا محمد باقر الخوانساري الأصفهاني ابن الفقيه الميرزا زين العابدين ابن المحدث الفقيه السيد أبي القاسم ابن الفقيه السيد حسين ابن الفقيه المتبحر المير أبي القاسم جعفر المشتهر بالمير الكبير، وهو من العلماء المشهورين والفقهاء في عصره، ولد في بلدة خوانسار عام (١٢٢٦هـ) وتُوفِّي عام (١٣١٣هـ).

(٢) روضات الجنات ـ الخوانساري: ج١ ص٢١٦.

(٣) هو الشيخ عبد الله بن معتوق بن درويش بن معتوق بن عبد الحسين ابن الحاج مرهون البلادي القطيفي التاروتي، من العلماء البارعين ومراجع الدين، من أشهر المستجيزين منه آية الله المعظم المولى الميرزا موسى الحائري الإسكوئي. ولد عام (١٢٧٤هـ)، وتُوفِّي عام (١٣٦٢هـ).

(٤) أعلام هجر ـ السيد هاشم الشخص: ج١ ص١٨٤.

(٥) هو السيد مرتضى مدرسي الجهاردهي، ولد في مدينة النجف سنة (١٢٩٠)، وتُوفِّي بطهران عام (١٤٠٦هـ)، درس العلوم الإسلامية في مدينة رشت ثم في مدينة النجف ثم دخل كلية الإلهيات بطهران وتخرج فيها وعمل في عدة مناصب حكومية وحقق عدة كتب منها: مصائب النواصب للقاضي التستري، حياة الشيخ أحمد الأحسائي، شيخيكري بابيكري، تاريخ فلاسفة الإسلام.

(٦) تاريخ فلاسفة الإسلام ـ السيد مرتضى مدرسي الجهار دهي: ص١٢٥.

والشيخ علي البحراني[١] يقول: (العالم العلامة، الفاضل الفهامة، الوحيد في علم التوحيد وأصول الدين، الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي المطيرفي)[٢].

فمن المؤكد أن ما ذكره وأشار إليه هؤلاء العلماء العظام وأمثالهم ـ من المحققين والباحثين، وغيرهم ـ في حقه من صفات التفريد وغيرها؛ لم يأت من باب العاطفة أو المبالغة أو المجاملة أو سهو القلم، بل جاء من باب الحقيقة الواقعية؛ لأننا أمام ثلة بُنيت أركان وثاقتهم على عدة أمور، ومنها معرفتهم بقيمة حق الكلمة، وإدراك مدى أثرها لو لم تكن رهن المكان المناسب لها.

ولا ريب أن الأخذ بقبول ووثاقة أمثال هؤلاء بعين الاعتبار تدفعنا إلى حمل كلماتهم على عدة أمور، ومن أهمها تفانيهم في بيان شأن مكانته العلمية والعملية بينهم، والدعوة منهم إلى الانكباب على حقائق ودقائق أثاره، وصرف قاعس الهمم وبذل الجهد في تمديد حياته وتمجيد أمره وتوسيع دائرته... ويكفي خصوص التعامل الفعلي

(١) الشيخ علي ابن الشيخ حسن ابن الشيخ يوسف البحراني البلادي من العلماء الأفاضل الأجلاء، ولد عام (١٢٧٤هـ)، وتُوفِّي عام (١٣٤٠هـ).

(٢) أنوار البدرين ـ الشيخ علي البحراني: ص٤٠٦.

لبعضهم معه كإشارة للبيب الذي يفهم، فرب إشارة أبلغ من ألف عبارة[١].

فشئنا أم أبينا تبقى نظرتنا صغيرة متواضعة كحبة رمل أمام ما ذكره جهابذة البحث والتحقيق في أمر صفات وسمات شخصيته، وصور الإبداعات التي حملها منهج مدرسته.

وسواء اكتشفنا تفرد شخصيته، أو اللون الذي يجعلها مختلفة عن بقية الألوان والأطياف البشرية، أو لم نكتشف ذلك ـ وهذا محال ـ؛ فسوف يبقى طوفان ما يحمله التاريخ عنها دافعاً قويًّا لوصفها بالشخصية المدهشة والفريدة من دون أية مبالغة.

ولا أريد ـ هنا ـ الإسهاب كثيراً في الحديث عما ستجده لشخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي من مكانة في سطور التاريخ ـ بأكثر مما تم خوفاً من الإطالة والابتعاد عن مرامنا ـ؛ بل أرغب في هذ الموضوع

(١) يقول الميرزا غلام حسين معتمد الإسلام التبريزي: (وكان الشيخ الأحسائي إذا ورد قرية أو مدينة قدَّمَه علماؤها في الصلوات المكتوبة، وخلوا له دروسهم إجلالاً لشأنه، وكانت تعطل أغلب الحوزات التدريسية لحضور العلماء والطلبة في مجلس العالم الرباني لجهة الاستفادة، والعلماء والأشراف كانوا يتمنون وروده في منازلهم مفتخرين بذلك) [نزهة الأفكار "ترجمة لكتاب/ كلمة أي إزهزا در رد مزدوران استعمار" ـ ميرزا غلام حسين معتمد الإسلام التبريزي: ص٥٠].

الإشارة إلى جزئية هامة لا محال من تعرض ذهنك لدق مسمارها في أثناء مسارات بحثك ؛ ألا وهي :

كلما غصت في البحث عن أمر هذه الشخصية في سطور التاريخ ستدرك أن ما يثير ـ أو يدق في ـ الذهن ليس اكتشاف مدى عطائها الذي تجاوز منظومة الفكر الشيعي وامتد إلى أبعد أفق في منظومة الفكر البشري[1] ؛ بل عدم التداول الصريح والواضح لشخصيته التي لا تقل شأناً عما قدمته غيرها من شخصيات العلماء الأفذاذ الذين يصدح بإسهاماتهم القاصي والداني في مشارق الأرض ومغاربها ؛ هو ما يجعلك تقف حائراً من شدة الدهشة والذهول حول أمرها !

فللوهلة التي ستكتشف فيها مكانة هذه الشخصية سيباغت ذهنك هذا التساؤل :

لماذا لا يوجد هناك تداول صريح وواضح لشخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي في داخل منظومة الفكر الإسلامي عموماً ، والفكر الشيعي خصوصاً؟

---

(١) كل من يطلع على ما قدمه الشيخ أحمد الأحسائي يدرك يقيناً أن عطاءه تعدى حدود إطار الفكر الشيعي وشمل نطاق الفكر بصورة عامة. بمعنى آخر ، إن مؤلفاته لم تقتصر على المواضيع التي تدار في داخل قالب التشيع وتعتبر من ضمن جوهره وصميمه ، وإنما شملت حقولًا معرفية متعددة ؛ كالطب ، والفلك ، والكيمياء ، وغيرها ، وهذه المزية تحسب في مقام شأن مكانته العلمية.

أليس الرجل عملاقاً من عمالقة الفكر الإسلامي؟

أليس الرجل عالماً من أعاظم علماء الشيعة الإمامية؟

لعلك تتساءل الآن:

لماذا من المهم أن يكون هناك تداول صريح وواضح لشخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي؟

ولماذا أصرّ - وأدعو وبشدة - في أن يكون لها تداولٌ كهذا؛ وبالخصوص في الزمن الراهن؟!

بكلمة مختصرة..

إن غياب هذا النوع من التداول سبب من الأسباب التي كونت هالة من الغموض حوله، أدت انعكاساتها إلى تفشي أمور سلبية عديدة، ومنها:

١- البوادر المخيفة التي تُنبئ مؤشراتها عن تدرج اضمحلال معرفة هذه الشخصية، ومعرفة مكانتها العلمية والعملية في ساحة الفكر الإسلامي لدى الكثيرين.

وهذا الكلام ليس في مستوى إطار البيئة العلمية فحسب، بل وصل الأمر إلى مستوى إطار البيئة المحلية التي ظهر منها الشيخ أحمد الأحسائي؛ فليس من العجب أن تجد اليوم من لا يعرف شخصيته أو

ما جاء به في منهجه بمنطقته الأحساء؛ فضلاً عن غيرها من مناطق العالم الإسلامي، وغيره[١].

٢ـ تعريض نتاجه، ونتاج منهج مدرسته الذي جاء على أيدي تلامذته وأتباعه إلى ناحية التعامل الحذِر معهما أكثر من قبولهما على ظاهرهما؛ خصوصاً لما زاد بعضهم الطين بله ووصفهما بكلمة "الشطحات"، و"السخافات"[٢].

---

(١) طبعاً، لا أقول: من الواجب على الجميع معرفة هذه الشخصية بدقة عميقة؛ ولكن حينما نتحدث عن رمز من رموز الفكر الإسلامي، أو أغلوطة من أغلوطات الزمان كما وصفه السيد علي الطباطبائي قدّسَ سرّهُ في إجازته: (إنّ من أغلاط الزمان، وحسنات الدهر الخوّان، اجتماعي بالأخ الروحاني والخل الصمداني، العالم العامل والفاضل الكامل، ذي الفهم الصائب والذهن الثاقب، الراقي أعلى درجات الورع والتقوى والعلم واليقين، مولانا الشيخ أحمد ابن الشيخ زين الدين الأحسائي ـ دام ظله العالي ـ). [إجازات الشيخ أحمد الأحسائي ـ حسين علي محفوظ: ص١٤٣]، فعلى الأقل وجود إدراك نسبي لاسمه، أو معرفة سطحية بمكانته، فمن منا لم يدرك ذهنه اسم العالم الإسلامي ابن سينا، أو العالم الفرابي؟ حتى بعض الأسماء لعلماء الغرب أضحت مدركة من قِبل العديد منا اليوم، كعالم الفيزياء ألبرت أينشتاين (Albert Einstein)، والعالم إسحاق نيوتن (Isaac Newton). نعم، شخصيات أمثال هؤلاء العلماء قد تكون غير معروفة بدقة عند الكثير، ولكن ـ حتماً ـ أسماءهم وكبرى نظرياتهم باتت شبه مدركة حتى عند العوام.

(٢) كما قال السيد محسن الأمين الحسيني العاملي المتوفى في عام (١٣٧١هـ) في ترجمته للشيخ أحمد الأحسائي: (ومهما يكن من الأمر فإن لصاحب الترجمة وأمثاله من الكشفية شطحات وعبارات معميات من خرافات وأمور تلحق بالسخافات تشبه بعض الصوفية). [أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين: ج٢ ص٥٩٠].

٣ـ توفير بيئة جيدة لافتراءات خصومه وخصوم تلامذته وأتباعه ؛ فسهل ذلك خلق الفتن من خلال نشر وترويج الأمور الغير صحيحة عليه وعليهم ؛ كالقول بوجود المعتقدات الباطلة لدى الشيخية ، ومنها القول بالمعاد الروحاني ، والغلو في أهل البيت عليهم السلام ، وادِّعاء النيابة الخاصة ، وغيرها[1].

فمن الواجب أن يكون هناك تداول صريح وواضح لهذه الشخصية ومنهجها حتى يتلاشى كيان هذه الهالة ، أو على الأقل ، حتى تكون هناك خلفية فكرية اجتماعية لدى الأفراد تمكنهم من صد تأثير تلك الانعكاسات السلبية على عقولهم.

فلماذا لا نجد هذا النوع من التداول لشخصيته ولمنهجه؟!

هل تملك ـ عزيزي القارئ ـ إجابة عن هذا التساؤل؟

---

(١) هناك الكثير من الكتابات التي تصدت للرد على كيل الاتهامات الموجهة للشيخ أحمد الأحسائي ولتلامذته وأتباعه ، ومن أشهرها كتاب "إحقاق الحق" ، لآية الله الميرزا موسى الإحقاقي الإسكوئي ، الذي تصدى فيه للرد على الاتهامات المشار إليه ، وإلى غيرها ؛ بيان كما وصفه (وافٍ واضح ، وتبيان شافٍ لايح ، لا يخفى على العامي الجاهل فضلاً على العالم العاقل). [إحقاق الحق ـ الميرزا موسى الحائري الإسكوئي : المقدمة/ ص٣٣].

وسوف تكون لنا وقفة قصيرة مع هذا الكتاب في مطاوي البحث ، وكذلك سيأتي ذكر للكتب الأخرى التي دافعت عن شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي.

إذا كنت لا تملك.. فأرجو ألا تحاول الآن القيام بعملية التخمين، أو رمي الافتراضات على عواهنها هكذا من دون أن يكون لديك الدليل!

فلا تنسَ أنني طلبت منك أن تكون باحثاً موضوعيًّا ومجرداً في أول حروف هذا الموضوع.

وإذا كنت تملك.. فما رأيك بأن تحتفظ بإجابتك في الوقت الراهن، وتأتي معي لنشرع سويًّا في دراستنا الفكرية.

فنقوم بتحليل الأمور بصورة أكبر وأكثر دقة فيما يدور حول شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي؛ وذلك للوصول إلى إجابات مقنعة فيهما ولو لحد ما.

فقد تكون هناك جزئية غابت عنك، وأخرى غابت عني، وقد تكون لك طريقة بحث قادتك إلى مجموعة من النتائج، وطريقة بحث قادتني إلى نتائج أخرى؛ وهكذا لن نكون على وفاق في نقاط عديدة حول أمر هذه الشخصية!

ولكن.. حينما نشد الشراع، ونتعاضد سويًّا في دراستنا هذه، فمن شأن ذلك إذابة الكثير من نقاط الخلاف، وزيادة الكثير من نقاط الوفاق فيما بيننا.

وتذكر جيداً.. في أثناء البحث عن أيَّة حقيقة كانت، علينا أن نتعلم كيف نفكر بشكل منطقي، ونمارس التأمل في التفكير النقدي.

وكيف نتبع الخيوط الدقيقة لنجد الأدلة، ونقيمها ونستنتج منها نتائج صحيح؛ فليس لدينا في هذا البحث الاستعداد التام لتسليم عقولنا لأي كان، أو الانقياد الأعمى وراء الفكر السائد وإن كان هو المشهور.

وعلى ذلك، فلك كل الحق في إيقافي وردي حينما أشت عن الدليل، أو أتحدث بمستوى دون الحجة.

ولكن.. هل أنت على أتم الاستعداد في النظر إلى شخصية ومنهج الشيخ أحمد الحسائي بنظرة منصفة إن ظهر الدليل واضحاً في كفة ميزان نتائج الدراسة الفكرية التي سنتناولها سويًّا؟!

طبعاً.. هذا الأمر يعود إليك حينما نقف أمام الصورة الحقيقية لذلك.

المدعيات التي قدمت لتكفير وإقصاء وتهميش شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي

لا شك أن كل باحث في أمر حقيقة شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي سيقف في أثناء بحثه على جانب أوسمة المدح والثناء التي نالها من قِبل الكثير من العلماء والأدباء وغيرهم.

وفي الوقت نفسه، أضمن لك بوقوفه على جوانب أخرى مغايرة لهذا الجانب تصول وتجول في الصور المختلفة؛ كصورة التكفير، وصورة الإقصاء والتهميش، وصورة المغالاة، وغيرها.

فالمدح والثناء ليسا هما الوجهين الوحيدين اللذين سيظهران لكل باحث عن حقيقة ذلك، بل هناك وجوه أخرى أيضاً.

ويمكننا حصر تلك الوجوه ـ بالجملة ـ في التالي:

الوجه الأول: وهو الوجه الذي أعطاه حقه كشخصية علمائية شيعية اثني عشرية قدمت عطاءً واسعاً في مجال الفكر الإسلامي.

فتعامل أصحاب هذا الوجه مع شخصيته ومنهجه بالمعاملة التي يستحقها أي عالم مماثل له، وبالوجه المشروع الذي جاء في حق كل عالم من علماء آل محمد عليهم السلام، من دون إفراط أو تفريط، وبالقدر

الـذي تسـتحقه شخصـيته مـن الاحـترام، وآثـار منهجـه مـن العنايـة والاهتمام.

الوجه الثاني: وهو الوجه الذي أفرط في حق شخصيته ومنهجه.

فتعامل أصحاب هذا الوجه معهمـا بمعاملـة القداسـة المعصـومة عـن الخطأ!

الوجه الثالث: وهو الوجه الذي فـرط في حـق شخصـيته ومنهجـه، وقاده الإسهاب في تفريطه إلى التعامل معهما بمعاملـة الـتكفير والإقصـاء والتهميش؛ فجاء كيـل الـتهم، وبـث الافـتراءات والأباطيـل؛ كوجـود العقائد الفاسـدة في منهجـه، ونسـبته إلى التصـوف وخدمـة الاسـتعمار، سبيلاً من سبل تحقيق مآربهم.

الوجه الرابع: وهو الوجه الذي توقف في حق شخصيته ومنهجه بما لهما وعليهما[1].

أما باقي ما يدور حول هذه الشخصية ومنهجها التي جاءت به؛ إما أنه من الفرعيات المنتسبة إلى تلك الوجوه كنسبة الجزء إلى الكل، أو أنه يحمـل أساسـاتها نفسـها ولكنهـا صـيغت بأسـاليب وقوالـب مختلفـة لاختلاف الغاية المرجوة منها.

---

(١) إحقاق الحق ـ الميرزا موسى الإحقاقي الإسكوئي: ص٣١ـ٣٢.

ولو قمنا ـ عزيزي القارئ ـ بتتبع بوادر إجابة تساؤلنا الذي طرحناه سابقاً[1] في هذه الوجوه الأربعة:

فحتماً لن تكون الإجابة في الوجه الأول؛ لأنه غالباً يحمل أوسمة المدح والثناء.

وليس في الوجه الثاني أيضاً؛ لأننا بالبداهة نتحدث عن شخصية تقع في رتبة البشرية، وخصائص هذه الرتبة تختلف عن خصائص الرتب الأعلى منها؛ كرتبة الأنبياء ورتبة الأئمة عليهم السلام.

فالمغالاة.. كما هي أمر محرم وممقوت في الرتب العليا، كذلك هي في الرتب السفلى.

ففي حين أنه لا يمكننا النظر إلى الأنبياء أو الأئمة عليهم السلام بنظرة الألوهية الخاصة به سبحانه وتعالى، أو بنظرة القدرة على التصرف في الأمور التكوينية أو التشريعية بالاستقلال ـ من دون إذنه ومدده ـ؛ فمن باب أولى ألا يمكننا النظر إلى أي بشر بنظرة إمكان جريان خصائص الرتبة الأعلى منه عليه؛ كخاصية العصمة المطلقة مثلاً، الخاصة برتب المصطفين أو المجعولين منه سبحانه وتعالى.

---

(١) وهو: لماذا لا يوجد هناك تداول صريح وواضح لشخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي في داخل منظومة الفكر الإسلامي عموماً، والفكر الشيعي خصوصاً؟

نعم.. لو أخذ الأمر من باب القول بقولهم عليهم السلام، مع اعتبار أن نسبة عدم الخطأ (العصمة) عائدة إلى ذات الأمر الصادر عنهم عليهم السلام، لا إلى ذات القائل بقولهم؛ فهنا يمكن أن يكون هناك اعتبار لذلك.

ومثاله: كما لو نقلتَ أمراً من الأمور أو حكماً من الأحكام الصادرة عنهم عليهم السلام، وقلت: (إني لا أخطئ من حيث إني تابع لهم)، فقولك بعدم الخطأ هنا لا يعود إلى ذاتك، وإنما يعود إلى عصمة المصدر الذي استقيت منه.

ولن تكون كذلك في الوجه الرابع؛ لأن التوقف لا يقود إلى جهة نستطيع من خلالها ترجيح أمر هذه الشخصية أو منهجها.

فما معنى هذا الكلام؟

هذا يعني أن الوجوه الثلاثة السابقة مستثناة من دائرة بحث دراستنا.

ولعلك تدرك الآن الوجه الذي سنجد فيه ضالتنا؟

نعم.. إنه الوجه الثالث الذي فرط في حق شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي!

ولكن.. قبل المضي قدماً في حديثنا، يحتاج هذا الوجه ـ أيضاً ـ إلى غربلة وإزالة لبعض الفتات العالق به؛ لنستطيع إمساك الخيط العريض الذي سنبحر في مجراه سويًّا فيما بعد.

فما هي هذه الغربلة؟

بما أننا أمام بحث وسامه الموضوعية في جميع ما يحتويه، فلا حديث لنا مع الفئة التي فرطت في حق شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي؛ لافتقار أصحابها إلى أبسط معايير النقد الموضوعي، أو كما يعرف في الأدبيات بمفهوم "أدب النقد ولحن خطابه".

سواء جاء ذلك الافتقار:

١ـ من باب شخصية الناقد؛ كخلوه من السوابق العلمية والفكرية، أو الخبرة المصقولة في مجاله، أو الذوق السليم، أو عدم تحليه بالصفات الأخلاقية؛ كالعدالة، والإنصاف، أو نظره إلى النفعية والمصلحية فيما يقوم به، أو غير ذلك من أمور جارحة لنقده.

٢ـ أو من باب جهله بشخصية أو رأي المنقود؛ كعدم الإلمام بتاريخه وأفكاره وإنشاءاته، أو عدم فهم جزئيات وطرق تأديته للعبارة (أسلوبه أو ذوقه) وإن دقت، أو غير ذلك من أمور تقلل من قدرته على النفاذ إلى العمق النفسي والعقلي للشخصية المنتقدة.

فتصورات وأحكام أي فرد من أفراد هذه الفئة بعيدة كل البعد عن مناط بحث دراستنا، ولا فائدة مرجوة من تناولها؛ لخلوها وخلو صاحبها من معايير الموضوعية التي تصلح لمثل ما نحن بصدده.

فهل توافقني الرأي: في استبعاد أفراد هذه الفئة من الوجه الثالث أيضاً؟

فلا حديث لنا معهم إذاً..

وإنما حديثنا مع فئة الأفراد الحاملين لديناميكية النقد الموضوعي المجرد ـ أو العلمي إن صح التعبير ـ، أو من ينظر إليه على أنه من أجلاء فنه، ويحسب على مقام مكانته؛ لأن تلابيب نتائجه هي المؤثرة والمنظور إليها في مثل هذه الموازين.

ففي هذا الوجه ـ الوجه الثالث ـ:

هناك فئة من الأعلام[1] الذين لقولهم تأثيرٌ كبيرٌ في عقول الناس، وبالتالي في معتقداتهم الخاصة والعامة، وشأناً يحسب له في أندية العلم ودوره ومحافله، وفي الكتابات والأبحاث والمحاورات العلمية، وغير

(١) يقول أستاذنا المعاصر الشيخ عبدالمنعم العمران الأحسائي ـ في حديثه عن مدرسة الشيخ أحمد الأحسائي في مقدمته على كتاب تفسير آية الكرسي للسيد كاظم الرشتي ـ: (إنَّ مدرسته جوبهت بالكثير من التجني والقسوة من الكثير من الأعلام، الذين لم يدرسوا فكره ومنهجه، أو لنقل لم يتيحوا لمدرسته الانطلاق كما أتيح لغيرها لتُعطى حقها من الدرس والتحليل المعمق، إذ رغم ما يزيد على القرن والنصف من وفاته لم تزل جوانب عديد من شخصيته مجهولة لدى الكثيرين وشبه غامضة لدى البعض الآخر، مما يوجب أهمية إعطاء شخصيته الفرصة كغيره). [تفسير آية الكرسي ـ السيد كاظم الرشتي/ مقدمة: الشيخ عبدالمنعم العمران: ج١ ص٢ـ٣].

العلمية أيضاً ؛ قاموا بالتعرض لشخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي، فكفروه، وأقصوه، وهمشوه من داخل منظومة الفكر الإسلامي[١].

وسواء جاء تعرضهم له ـ أو لتلامذته وأتباعه ـ بالفتوى، أو بالرأي، أو بغير ذلك من كلمات صدرت منهم في حق شخصيته ومكانتها في الأوساط العلمية، أو في حق منهج مدرسته[٢] ؛ فإن تسليط الضوء عليها ـ وعلى كل ما يرتبط بها ـ أمر لا بد من الوقوف عليه إذا أردنا :

---

(١) عممت عملية تكفير وإقصاء وتهميش الشيخ أحمد الأحسائي فقلت : (من داخل منظومة الفكر الإسلامي) ؛ لأنه بالرغم من أن الشيخ أحمد الأحسائي عالم من علماء الشيعة الإمامية ؛ إلا أن عملية تكفيره وإقصائه وتهميشه بكل ما تتضمنه من مصاديق سرت أيضاً إلى خارج حدود إطار النقد الشيعي. فهناك الكثير من الكتب ورسائل الماجستير والدكتوراه صيغت على أيدي شخصيات غير شيعية، توسمت بنقده وتكفيره والافتراء عليه أكثر من أي شيء آخر، منها ما أفرد فيه بشكل خاص ككتاب "فرقة الشيخية عرض ونقد" [تأليف/ خالد فواز محمد الحارثي (وهي عبارة عن رسالة ماجستير)]، ومنها ما جاء ذكره من ضمن مواضيع كتاباتها ؛ ككتاب "فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها" [تأليف/ د.غالب بن علي عواجي ص٣٥٥]، ولا شك أن ذلك من تبعات عملية التكفير والإقصاء والتهميش التي حدثت في داخل الإطار الشيعي، والدليل على ذلك، أن الكثير من أولئك يستدل بالكلمات والكتابات التي جاءت على ألسنة وأقلام رجالات من الشيعة الإمامية.

(٢) جمع السيد مهدي الموسوي أقوال بعض أصحاب هذه الفئة في كتاب أعده بعنوان "فتاوى في الشيخية"، طبع في دار زين العابدين في قم، في سنة (١٤٣٧هـ)، وسوف يكون لنا وقفات مع بعض ما جاء فيه.

أولاً: فهم عملية التكفير والإقصاء والتهميش[١] التي تعرضت لها شخصيته، والكشف عن واقعها الحقيقي ومكانها الدقيق بين العلماء؛ فما هذا إلا نتيجة حتمية ومتوقعه لكلماتهم، سواء قصدوا ذلك أو لم يقصدوا.

ثانياً: جلي الترسبات التي تراكمت على أفكار ومعتقدات وآراء منهج مدرسته.

ولا تعتقد ـ عزيزي القارئ ـ أننا حينما نسلط الضوء على ما صدر من أصحاب هذه الفئة؛ فذلك يعني أننا نحاول ـ أيضاً ـ ممارسة عملية الإسقاط أو التنقيص أو التشويه لمكانتهم وشأنهم!

لا والله.. فنحن نكن لشخصياتهم ولمكانتهم العلمية والعملية جم الاحترام والتقدير.

---

(١) واحدة من كبريات الآفات التي عرفتها البشرية منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا هي آفة الإقصاء والتهميش، التي تعني ـ بأبسط عبارة ـ إبعاد وتجاهل الأشخاص الذين لا تتطابق وجهات نظرهم أو آرائهم مع وجهات نظر وآراء العقلية الإقصائية، وعدم النظر إليهم مهما كانت صحة مواقفهم وصدق أقوالهم، ولهذه الآفة وسائل شتى لتحقيق مآرب معتنيقها، ومنها: التقليل من شأن إنجازات من يريدون إقصاءه، كيل التهم لتشويه صورته، طمس محاولات التداول الصريح والواضح لشخصيته وآرائه وأفكاره، نشر ثقافة إما أن تكون معي في التيار أو أنت ضدي، وغيرها. ولا يخفى أن كل ذلك يتعارض مع ثقافة قبول الاختلاف في الرأي والفكر، خصوصاً على المستوى العلمي الذي تعتبر هذه الركيزة من ركائزه الهامة.

فلسان الحال لبحث دراستنا ليس موجهاً لذواتهم الشخصية أو لمكانتهم العلمية، وإنما للكلمات التي صدرت منهم في حق شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي لا غير.

فلربما وقع بعضها في دائرة الاشتباه، أو جاء بعضها من باب عدم وجود الضابطة والمعيار الصحيح في عملية النقد، أو أن هناك أموراً أخرى نحتاج الوقوف عليها لفهم المآرب فيها بالدقة الموضوعية المجردة.

فكيف سيكون التحقيق في كلمات أصحاب هذه الفئة؟

إن عملية جمع كلماتهم والنظر في كل قول على حدة؛ سيؤدي إلى التكرار المطول لما في ذلك من تشابه المدعيات أو الأسباب التي جعلتهم يوجهون التساؤلات والنقد إلى شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي.

ولو تتبعت جيداً جميع المدعيات التي قدمت في كلماتهم ضده؛ فستجد ـ لسنوات طويلة ـ أن عمدة هذه المدعيات التي تم استخدامها ـ من أجل تكفيره وإقصائه وتهميشه من منظومة الفكر الإسلامي ـ ثلاثة، وهي:

المدعى الأول: الشك في ذات شخصيته.

المدعى الثاني: الأفكار والمعتقدات والآراء الفاسدة في منهجه.

المدعى الثالث: فساد تلامذته وأتباعه.

وحتى نصل إلى غايتنا..

علينا أن نفتح باب النقاش في هذه المدعيات الثلاثة، ونتأمل في جوانبها جيداً؛ لنقرر بعد تفكير وتحليل أيها صحيح قد ارتكز على سبب حقيقي يستحق من جرَّائه فعل ما فعلوه معه، وأيها خاطئ.

فلعل كل هذه المدعيات صحيحة؟

ولعلها كلها خاطئة؟

ولعل منها ما هو صحيح ومنها ما هو خاطئ؟

ولا نستطيع الوصول إلى ذلك إلا بتناولها واحداً تلو الآخر.. أليس كذلك؟

فإذا كنت مستعدًّا للرحلة الطويلة الشاقة، والشيقة في الآن نفسه؛ فدعنا ندخل في صلب دراستنا؛ لنكتشف حقيقة تلك المدعيات.

المدعى الأول:

الشك في ذات شخصية الشيخ أحمد الأحسائي

بعض الذين كفروا وأقصوا وهمشوا شخصية ـ ومنهج ـ الشيخ أحمد الأحسائي من منظومة الفكر الإسلامي ؛ ارتكزوا على سبب رئيسي في مدعاهم، وهو أن ذات شخصيته مشكوك في أمرها!

بمعنى آخر.. الشك في شخصيته كعالم من علماء الشيعة الإمامية، وراو من رواتها ؛ كالشك في إسلامه، إيمانه، عدالته، درجته العلمية... إلخ.

كما يبحث في أحوال العالم في علم التراجم، وفي الشرائط والأوصاف المعتبرة للراوي في علم الرجال[1].

فبالرغم من أن الكثير من الذين اعترضوا عليه لم يساورهم الشك في ذات شخصيته، فمدحوه وأثنوا على هذا الجزء منه ؛ إلا أن هناك البعض منهم كالخالصي[2] اتخذ هذا المدعى كحجة وذريعة لتكفيره

---

(١) علم التراجم يبحث عن أحوال العلماء سواء كانوا رواة أم لا، أما علم الرجال فيبحث عن أحوال رواة الأحاديث من حيث اتصافهم بشرائط قبولها أو عدمه، فبينهما عموم من وجه لاجتماعهما في العالم الراوي.

(٢) هو الشيخ محمد مهدي ابن الشيخ حسين ابن الشيخ عزيز الخالصي الكاظمي، ولد في عام (١٢٧٦هـ)، وتُوفِّي عام (١٣٤٣هـ)، أحد مراجع التقليد الشيعة.

وإقصائه وتهميشه[١]؛ لأن الشك في ذات الشخصية العلمية من أسرع وأقصر الطرق لعدم اعتبار أيَّة قيمة لكل ما يصدر منها بأي نحو من الأنحاء، كالفتوى الفقهية، أو الرأي العقائدي، أو غير ذلك؛ فسهل عليه مدعاه الحكم ـ أيضاً ـ بكفر وشرك من يعتقد بأفكار منهجه![٢]

(١) وقد تسرب هذا المدعى ـ مدعى الخالصي ـ إلى بعض المعترضين على الشيخ أحمد الأحسائي من خارج دائرة التشيع فاتَّخذوه ذريعةً وحجة للإطاحة به. ومنهم: الدكتور عبدالمنعم أحمد النمر، أحد كتاب أهل السنة ممن وافقوا الخالصي في رأيه باعتبار الشيخ أحمد الأحسائي قسيساً غربيًّا أرسل من قبل الاستعمار الروسي من إندونيسيا إلى بلاد الشرق، حيث ذكر في كتابه: (ولذلك نرى بعض الذين أرخوا للأحسائي ينكرون أنه من الأحساء؛ استناداً على تقارير للمستشرقين تقول: (إنه لم يكن من الأحساء، وإنما كان قسيساً غربيًّا أرسل من أندونوسيا حسب خطة مرسومة لإفساد العقيدة وتغيير أحكام الدين)، وادَّعى أنه من الأحساء. وهذا ليس ببعيد، فقد كان هذا العصر هو بدء اليقظة الإسلامية التي خشيها المستعمرون وأعداء الإسلام الذين يحكمون العالم الإسلامي، فأخذوا يسلطون عليها سهامهم ليقضوا عليها، أو يشغلوها ويعطلوها بهذه المعارك الجانبية بين المسلمين، وستأتي وثائق تدل على اتصال هذه المدرسة الشيخية ومن بعدها الكاظمية الرشتية، ومن بعدهما البابية والبهائية بالمستعمرين الروس وغيرهم، كما دلت على ذلك التقارير الأجنبية). [انظر/النحلة اللقيطة البابية والبهائية تاريخ ووثائق ـ الدكتور عبدالمنعم النمر: ص١٦ـ١٧]. ومنهم أيضاً محسن عبد الحميد في كتابه: حقيقة البابية والبهائية، ص٣٨.

(٢) جاء في منشورات ديوان النشر والترجمة والتأليف لجامعة مدينة العلم للإمام الخالصي الكبير في الكاظمية: (وهناك أصدر سماحته فتوى بكفرهم، وإليك نص السؤال والفتوى: الاستفتاء: ما يقول مولانا سماحة الإمام الخالصي "أدام الله أيامه" في الطائفة المسماة بالشيخية، هل هم مسلمون تجري عليهم أحكام المسلمين أم كفار تجري عليهم أحكام الكفار، وإذا كانوا كفاراً فمن أي أصناف الكفار؟ أم من الكتابيين أم من المشركين. أفتونا مأجورين. (كاظمية ـ عبدالحسين أبو التمن). نص الفتوى: الجواب/ كل من اعتقد بعقائد الشيخية الموجودة في كتاب "شرح الزيارة" للأحسائي، و"شرح القصيد" للرشتي، وأرشاد العوام "للكرماني"، كافر مشترك نجس تجري عليه أحكام المشركين). [الشيخية والبابية (اعتراف الشيخية بالكفر) ـ الدورة الثانية ـ العدد الثاني ـ مطبعة المعارف ببغداد، ص٥٧ـ٥٨].

وحتى يؤكد الخالصي صحة مدعاه، قال:

بأنه قسيس جاء من أندونيسيا إلى البحرين ويزد[١]، وكذلك نسب إليه التجسس لصالح الاستعمار الروسي لتنفيذ أغراضها في تشويه صورة الإسلام وهدم أركانه.

فسرى ذلك في بطون السطور، ونقلته الأقلام، ومن ثم تلقفته أذهان الخاصة والعامة[٢].

---

(١) أعلن ذلك في خطاب جماهيري، ونُشر في مجلة الوحدة الإسلامية، العدد (١٠١)، المطبوع سنة (١٤٠٩هـ)، ص٤٧.

(٢) يقول الشيخ جعفر السبحاني في هامش كتابه "سيد المرسلين": (لا شك أن هذه الفرقة وأمثالها من الفرق المبتدعة هي من صنائع الاستعمار، أو هي مما يؤيده لتنفيذ أغراضه، ومن حسن الحظ أن انتشار الوعي بين أبناء الأمة الإسلامية حد من نشاط هذه الفرق؛ حتى أنها أصبحت على أبواب الاندثار والانقراض نهائيًّا). [سيد المرسلين ـ الشيخ جعفر السبحاني: ج١ ص٥٤٧].

أجير للاستعمار بلباس المذهب، هذه من التهم الظالمة التي حيكت حول شخصية الشيخ أحمد الأحسائي، حيث إنها ذُكرت بصورة لا بأس بها في كتب بعض الذين اتخذوا هذا المدعى (الشك في ذات شخصية الشيخ أحمد الأحسائي) كحجة للإطاحة به. وبالرغم من تمسكهم بهذا المدعى؛ إلا أنهم لا يملكون إثباتاً أو دليلاً واحداً على صلته بالاستعمار الروسي أو غيره، وإن كان يؤكد البعض منهم على وجود مواقف وأحداث ووثائق سرية أجنبية تبين عمالته؛ إلا أنهم يذكرون ذلك في بدايات كتاباته لإثارة الذهن فقط، والبعض الآخر يحاول ربط تدخل الطرف الأجنبي في قضية الباب (علي محمد رضا الشيرازي، مؤسس البابية) بالشيخ أحمد الأحسائي، من قبيل أن البابية وليدة وفرع متفرع من الشيخية ـ وهذا ليس بصحيح كما سيأتي لاحقاً ـ. [انظر/ البابية عرض ونقد ـ إحسان إلهي ظهيري: ص٥١. النحلة اللقيطة البابية والبهائية تاريخ ووثائق ـ د. عبدالمنعم النمر: ص٢١١].

ولتأخذ هذه الفرية مجراها وتتم كما أراد، قام كذلك بنفي القرية التي ولد فيها وهي (المطيرفي)، وادَّعى عدم وجودها في منطقة الأحساء[١]!

فما رأيك ـ عزيزي القارئ ـ بهذا المدعى؟

هل تعتقد بأنه صحيح؛ لأن السبب الذي ارتكز عليه سببٌ حقيقيٌّ؟

فكر معي في الأمر قليلاً.. من المؤكد أن كل متأمل لشخصية الشيخ أحمد الأحسائي لا يحتاج إلى التفاصيل الدقيقة؛ ليدرك عدم صحة هذا المدعى، ومدى بعده عن الحقيقة الواقعية.. لماذا؟

لأن السبب الذي ارتكز عليه ليس سبباً حقيقيًّا يخول أصحابه القيام بعملية التكفير والإقصاء والتهميش على شخصيته.

فهناك أمور كثيرة تجعلنا نتيقن من ذلك، أذكر لك ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ اثنين منها فقط:

---

(٣) يقول الميرزا غلام حسين معتمد الإسلام التبريزي في كتابه (كلمة أي إزهزار در رو مزدوران استعمار) الذي ترجمه العلامة حسين بخش الباكستاني تحت عنوان (نزهة الأفكار)، ص٤٤: (وقد كنت قرأت ـ منذ أعوام قلائل ـ كتاباً من مؤلفات الخالصي فإنه ـ أيضاً ـ يرمي الشيخ الأحسائي بسهام حسده، وينسبه إليهم، حتى قال: (إن قرية المطيرفي التي ينسب إليها الشيخ لا وجود لها في بلاد الإسلام، فهو ليس بأحسائي، بل لعله جاء من إندونيسيا، وكانت له رابطة بأعداء الإسلام).

الأمر الأول: أصل ونسب الشيخ أحمد الأحسائي

هناك الكثير من كتب التراجم والسير ذكرت ـ وبالخط الواضح العريض ـ أن الشيخ أحمد الأحسائي عالم من أجلاء العلماء، مسلم شيعي أحسائي مطيرفي المولد، معروف الأصل والنسب.

فالدكتور حسن الشيخ[1] في كتابه "آخر الفلاسفة"، والسيد هاشم الشخص[2] في كتابه "أعلام هجر" ـ وغيرهما ـ؛ وضعوا ما يقارب الخمسين مصدراً من أهم مصادر الترجمة التي تتَّفق جميعها على أن الشيخ أحمد الأحسائي هو:

الشيخ أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن داغر ابن رمضان بن راشد بن دهيم بن شمروخ آل صقر القرشي الأحسائي المطيرفي[3].

---

(١) هو الأخ الفاضل الدكتور المعاصر حسن بن محمد الشيخ، عاصرناه فوجدناه طيب الأخلاق، حسن التعامل، غزير الفكر، من أبرز المدافعين عن مدرسة الشيخ الأوحد الأحسائي، وهو كاتب سعودي وأستاذ جامعي، وعضو في العديد من الأندية العلمية، له العديد من الكتب العلمية والفكرية والنقدية، ومنها: آخر الفلاسفة، محاكمة الشيخ الأوحد، فيلسوفان ثائران، وغيرها.

(٢) هو السيد المعاصر هاشم بن محمد بن هاشم الشخص، كاتب سعودي ورجل دين بارز، له العديد من الكتب، من أهمها: أعلام هجر من الماضيين والمعاصرين.

(٣) انظر/ آخر الفلاسفة ـ د. حسن الشيخ: ص٢٣ـ٢٥ (الهامش).

وآل صقر مشتق من اسم شيخ طائفة المهاشير (صقر)[١]، وهو من بني خالد الذين ينتهي نسبهم إلى قريش[٢].

وبنو خالد قبيلة سكنت جبل ميشور[٣] في الحجاز، ولما وقع بينهم وبين الشريف غالب نزاع رحلوا إلى الأحساء بزعامة رئيسهم آنذاك عبدالعزيز الخالدي[٤].

فعاش الأسلاف الأوائل للشيخ أحمد الأحسائي في بادية الأحساء أولاً، ثم وقع نزاع بين داغر ـ الجد الرابع للشيخ ـ وأبيه رمضان؛ فرحل داغر إلى قرية المطيرفي، واستقر بها... وهناك ولد الشيخ أحمد الأحسائي في شهر رجب سنة (١١٦٦هـ)[٥].

---

(١) كما يبين ذلك الشيخ أحمد الأحسائي في سيرته: (هو كبير الطائفة المشهورة بالمهاشير، وشيخهُم وبه يفتخرون وإليه ينتسبون). [سيرة الشيخ أحمد الأحسائي ـ شرح وتعليق/ د. حسين محفوظ: ص٩].

(٢) تنتهي قبيلة بني خالد إلى قبيلة بني مخزوم، وهي بطن من بني قريش من قبيلة كنانة، وينتسبون إلى مخزوم ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فبنو مخزوم يلتقون مع الرسول محمد ﷺ في جده مرة.

(٣) جبل تهامة.

(٤) حكم بنو خالد الأحساء والقطيف بقيادة (آل حميد)، وقد ذكر الشيخ أحمد الأحسائي في سيرته التي كتبها بخط يده بعض أسماء أمرائها في أثناء عبوره بجانب قبورهم وهو صغير، وهو يتفكر فيما آل إليه حالهم، وهذا دليل آخر يضاف إلى أدلة توطنه ونسبته إلى قرية المطيرفي. [انظر/ سيرة الشيخ أحمد الأحسائي ـ شرح وتعليق/ د. حسين محفوظ: ص١٠].

(٥) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي ـ شرح وتعليق/ د. حسين محفوظ: ص٩.

فلو قبلنا ـ عزيزي القارئ ـ بمدعى الخالصي..

فكيف يمكننا توجيه هذا الكم الهائل من المصادر الموثوقة التي تشير إلى أصله وموطنه ونسبه؟!

ثم كيف لنا أن ننفي قرية المطيرفي التي لا تزال حتى الآن شامخة تسجل حضورها في سطور التاريخ، وتفتخر بأهم المعالم التراثية الباقية فيها؛ كمنزل ومسجد الشيخ أحمد الأحسائي اللذين هما أكبر دليل على توطنه ونسبته إلى هذه البقعة من الأرض؟!

الأمر الثاني: مكانة الشيخ أحمد الأحسائي العلمية ووثاقته لدى العلماء

بدأت المسيرة العلمية للشيخ أحمد الأحسائي مبكراً.. فبعد أن حفظ القرآن وهو في سن الخامسة أرسله والده إلى الشيخ محمد بن الشيخ محسن القريني[1]؛ ليقرأ عليه العوامل والأجرومية في النحو.

ثم سافر إلى العراق في سن العشرين - سنة (١١٨٦هـ) - لزيارة العتبات المقدسة[2]؛ فنزل في حاضرة النجف أولاً، ثم ظل يتنقل بينها وبين مدينة كربلاء[3].

وفي سنة (١١٨٧هـ) أصاب العراق طاعون عظيم - سجله التاريخ لما خلف وراءه من الآثار -[4]؛ فعاد إلى بلده الأحساء (المطيرفي)[5]،

---

(١) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي - إعداد/ د. حسين محفوظ: ص١٣.

(٢) أجوبة سؤالات الشيخ محمد آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية - الشيخ أحمد الأحسائي - تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي: ص٧٢ (نقلاً عن كتاب الشيخ عبدالله الإحسائي في شرح أحوال أبيه).

(٣) نفس المصدر السابق: ص١٣-١٤.

(٤) ماضي النجف وحاضرها - الشيخ جعفر آل محبوبه: ج١ ص٤٠٨.

(٥) ولتأكيد وجود الشيخ أحمد الأحسائي في بلده في هذا العام، اعتمد المحقق هادي مكارم تربتي - في تحقيقه لأجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية - على تاريخ وثيقة مبايعة موجودة نسختها عنده، تبين أنه - الشيخ أحمد الأحسائي - ممن شهدوا على عقد بيع فيها. [أجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية - الشيخ أحمد الأحسائي - تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي: ص٧٣].

وتـزوج مـن مـريم بنـت خمـيس آل قـرين مـا بـين سـنة (١١٨٧ـ ١١٨٨هـ)[١]، وهي أول زوجاته[٢].

ثم هاجر إلى مدينة الهفوف بطلب من أهاليها سنة (١٢٠٤هـ)[٣]، وهنـاك أسـندت لـه بعـض المهـام الدينيـة والعلميـة ؛ كإمامـة الجماعـة،

---

(١) أجوبة سؤالات الشيخ محمد آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي: ص٧٣. (نقلاً عن كتاب الشيخ عبدالله الإحسائي في شرح أحوال أبيه).

(٢) للشيخ أحمد الأحسائي ثماني زوجات، وهن: مريم بنت خميس، أمنة بنت السيد أحمد، أم كلثوم بنت الشيخ علي الصائغ، ورحيمة، وأمنه، وفاطمة من يزد، ومريم بنت حسن آل خويتم، ورقية بنت عبد الحسين. [شمس هجر ـ الشيخ أحمد الأحسائي/ الشيخ عبدالله الأحسائي: ص٩٦].

(٣) ولتأكيد هجرة الشيخ أحمد الأحسائي إلى مدينة الهفوف في هذا التاريخ، اعتمد المحقق هادي مكارم تربتي ـ في تحقيقه لأجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية ـ على مقطع نقله من كتاب الدرة الفاخرة في ترجمة من نظر الآخرة لإدريس ابن الحاج أحمد بن عبدالله بن علي ابن ملا عبدالله الوائل المهاشيري الخالدي (من بني عمومة الشيخ أحمد الأحسائي في الجد الأعلى) فيه إشاره إلى وجود الشيخ أحمد الأحسائي في هذا التاريخ في مدينة الهفوف، حيث جاء فيه: (وكان الشيخ علي بن عبدالله بن محمد بن وائل على علاقة طيبة بأبناء عمومته من آل زين الدين، وقد أشار على الشيخ أحمد بن زين الدين بالقدوم إلى الهفوف بحدود سنة (١٢٠٤هـ) لتحصل لهم البركات بوجوده، والاستنارة بإرشاداته، والاستزادة من علمه وفضله، بعدما عمت شهرته. وكانت له إمامة المسجد المعروف باسمه، وقد وفق في ذلك حتى انتدبه صاحب أول مدرسة معروفة في الهفوف للتدريس بها، وهي مدرسة أسرة آل أبي خميس بحي الفوارس، التي أسسها وأوقف عليها بعض الأوقاف الحاج علي ابن محمد بن علي آل أبي خميس الفدغمي في ١٧ جمادى الثانية من عام (١٢٠٠هـ)؛ إلى أن غزت العربان الأحساء سنة (١٢٠٨هـ) [الأصح (١٢٠٧هـ)]، وخرج الشيخ منها ومعه الكثير من الأحسائيين بصوب البحرين). [سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي: ص٤ـ١١].

ومهمة التدريس والنظارة على أول مدرسة علمية بالأحساء في حي الفوارس[١]، التي قام بتأسيسها الحاج علي بن محمد آل أبي خميس الفدغمي في سنة (١٢٠٠هـ)[٢].

وحينما تردت الأوضاع السياسية بسبب الصراع الحربي بين الدولة السعودي ودولة بني خالد سنة (١٢٠٧هـ)؛ هاجر الشيخ أحمد الأحسائي مع عائلته إلى البحرين[٣].

ثم سافر لزيارة العتبات المقدسة في العراق سنة (١٢٠٩هـ)[٤]، ولما عاد إلى البحرين استقر فيها فترة من الزمن. وفي أواخر سنة (١٢١٥هـ) وأوائل سنة (١٢١٦ هـ)[٥] سافر لزيارة العتبات المقدسة في العراق،

---

(١) مكانها الآن في داخل مسجد آل أبي خمسين بالأحساء، حيث ضمت إلى المسجد بعد أن أعيد بناؤه من قِبل تلميذ السيد كاظم الرشتي، وهو الشيخ محمد بن أبي خمسين سنة (١٢٨٦هـ). [انظر/ في محراب الشيخ محمد بن أبي خمسين ـ موسى الهادي: ص٩٦].

(٢) عائلة الفدغمي كانت من العوائل الغنية بالأحساء، وإحدى زوجات الشيخ أحمد الأحسائي رقية بنت عبدالحسين (ابنة مختارة قرية المطيرفي)، كانت أمها (جديان) تنتمي إلى عائلة آل أبي خميس الفدغمي.

(٣) أجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي: ص٨٢.

(٤) سوف يأتي التحقيق في هذا التاريخ لاحقاً؛ لما له من مدخلية في الإشكالات التي طرحت حول إجازات الشيخ أحمد الإحسائي، التي حصل عليها من علماء العراق في تاريخ هذه السنة نفسها.

(٥) أجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي: ص٩٦.

وبعد الانتهاء من الزيارة قرر الإقامة في البصرة ؛ فأرسل خلف أسرته وعائلته لينتقلوا إليها.

وفي سنة (١٢٢٠هـ)[١] توجه لزيارة العتبات المقدسة في العراق أولاً ، ثم توجه لزيارة العتبات المقدسة في إيران ؛ فمر في طريقه على مدينة يزد الإيرانية ، ومنها بدأت شهرته العلمية تأخذ صداها وتنتشر في الأصقاع[٢].

هكذا عاش الشيخ أحمد الأحسائي حياته المليئة بالعلم والمعرفة ؛ حتى توفي في سفره إلى بيت الله الحرام في منطقة تسمى "هدية" بين المدينة المنورة ومكة المكرمة ، في (٢٢ ذي القعدة) من سنة (١٢٤١هـ).[٣]

وفي خلال حياته أجيز من قِبل العديد من أعاظم العلماء ، كالشيخ أحمد ابن الشيخ حسن الدمستاني البحراني[٤] ، أجازه في سنة

---

(١) أجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي : ص٩٦.

(٢) ذكر تلميذه الأول السيد كاظم الرشتي في كتابه دليل المتحيرين أحداث سيرة أستاذه الشيخ أحمد الأحسائي منذ خروجه من الأحساء إلى سفره الأخير لبيت الله الحرام. [انظر/ دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي : ص١٣ـ٤٥]

(٣) الدين بين السائل والمجيب ـ الميرزا حسن الإحقاقي : ج١ ص١١٠.

(٤) وهو من علماء عصره وأدبائهم ، ولكن التاريخ ظلمه كألوف غيره ، لاسيما من أبناء منطقته وطائفته. [طبقات أعلام الشيعة ـ الطهراني : ج٢ ص٨٠ـ٨١].

(١٢٠٥هـ)[١]، والميرزا محمد مهدي الشهرستاني[٢]، أجازه في سنة (١٢٠٩هـ)[٣]، والسيد علي الطباطبائي صاحب "الرياض"[٤]، والسيد مهدي الطباطبائي[٥]، أجازه في سنة (١٢٠٩هـ)[٦]، والشيخ جعفر بن الشيخ خضر النجفي كاشف الغطاء[٧]، أجازه في سنة (١٢٠٩هـ)[٨]،

---

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ الشيخ الطهراني: ج١ ص١٤١.

(٢) من أكابر فقهاء كربلاء وزعمائها الدينيين في عصره، وبيت الشهرستاني من الأسر العلمية الكربلائية التي أنجبت الكثير من العلماء، تُوفِّي في عام (١٢١٦هـ). [الكنى والألقاب ـ المحدث القمي: ج٢ ص٣٤٤ـ٣٤٥].

(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ الشيخ الطهراني: ج١ ص٥٣.

(٤) وهو أحد الفقهاء الأثبات، والعلماء الخالدين، وجهابذة الرأي الأفاضل، تخرج على يديه العديد من العلماء: الشيخ محمد المازندراني، والسيد أبو قاسم الخونساري، والشيخ أسد الله التستري، وابنيه السيد محمد والسيد مهدي الطباطبائي.. وغيرهم. ولد عام (١١٦١هـ)، وتُوفِّي عام (١٢٣١هـ). [قصص العلماء ـ للتنكابني: ص١٢٩ـ١٣١].

(٥) وهو من أكابر علماء عصره، علماً وأدباً، تخرج عليه جمع من أعاظم الفقهاء وعمد الطائفة، وهو جد أسرة (آل بحر العلوم) العلمية في النجف، ولد في كربلاء عام (١١٥٥هـ)، وتُوفِّي في النجف عام (١٢١٢هـ). [منتهى المقال في أحوال الرجال ـ للشيخ أبي علي الحائري: ص٣١٤].

(٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ الشيخ الطهراني: ج١ ص٢٥٥.

(٧) وهو من أعاظم علماء الشيعة، انتهت إليه الزعامة الدينية العامة، واجتمعت حكومتا آل قاجار في إيران وآل عثمان في تركيا على إكباره، ولم يتحدث تاريخ الزعامة الدينية في النجف عن نظير له في المكانة العلمية والعملية، ولد عام (١١٥٦هـ)، وتُوفِّي عام (١٢٢٨هـ). [أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين: ج٥ ص٤١٨ـ٤٣٥].

(٨) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ الشيخ الطهراني: ج١ ص١٦٥.

وجناب الشيخ المدقق العالم الفاضل الشيخ حسين آل عصفور البحراني[١] في سنة (١٢١٤هـ)[٢].[٣]

كما أجاز ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ مجموعة كبيرة من العلماء، ومنهم:

السيد كاظم الرشتي[٤] تلميذه الأول، والشيخ محمد حسن النجفي صاحب "جواهر الحكم" المتوفى (١٢٦٦هـ)، والشيخ أسد الله التستري

---

(١) هو زعيم المدرسة الإخبارية، وشيخ علمائها، وأحد المجازين من عمه الشيخ يوسف البحراني، صاحب كتاب (الحدائق الناظرة)، تُوفِّي عام (١٢١٦هـ). [أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين: ج٢٧ ص١٢٨ـ١٣٦].

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ الشيخ الطهراني: ج١ ص١٨٨.

(٣) عرض الحاج المعاصر رياض طاهر، صاحب كتاب الفهرست، مجموعة من الإجازات للشيخ أحمد الأحسائي على الدكتور حسين محفوظ، أستاذ علوم الحديث والرجال في كلية أصول الدين ببغداد، بعدما قام بنسخها من جزء في سيرة الشيخ بالفارسية مطبوعة في بمبي سنة (١٣٠٠هـ)، فقام الدكتور بشرحها والتعليق عليها وطباعتها في بغداد، سنة (١٣٩٠هـ)، في كتاب عنوانه "إجازات الشيخ أحمد الأحسائي". وقد قال في مقدمتها: (هذه الآراء هي الصادرة عن فطاحل أعلام الشيعة وكبار مراجعهم وهي النابعة عن نمير صاف فياض لا يكدره أي تحزب سياسي ولا طمع مادي، وهي تمثل لنا صورة عبقرية الشيخ الأوحد العارف المتأله (أحمد بن زين الدين)).

(٤) هو آية الله المعظم السيد محمد كاظم بن محمد قاسم بن أحمد بن حبيب الحسيني الموسوي المدني الكربلائي، ترجع أسرة السيد الرشتي إلى عائلة الزُّبَارة، وهي بطن كبير من السادة العلوية، ولد في مدينة رشت، واختلف في تاريخ ولادته؛ فقيل في عام(١٢٠٥هـ)، وقيل في عام (١٢١٢هـ). وقد خلف ثروة فكرية ضخمة في مختلف المواضيع الإسلامية، كالعقيدة، والتفسير، والفقه، والأصول، والعلوم الغريبة، وعلم الحرف، وغير ذلك. درس له والي بغداد نجيب باشا سمًّا في القهوة، وتُوفِّي عام (١٢٥٩هـ)، وسوف تأتي الإشارة إليه لاحقاً. [رسالة صعودية نزولية "جواهر الحكم" ـ الرشتي: ج١١ ص٤٩. الأنساب ـ السمعاني: ج٣ ص١٢٨. الشيخية ـ الطالقاني: ص١١٨ـ١٣٢. الإجازة ـ الحائري: ص٨٦].

الكاظمي صاحب "المقاييس" المتوفى (١٢٣٤هـ)، والشيخ مرتضى الأنصاري صاحب "الرسائل والمكاسب" المتوفى (١٢٨١هـ)، وملا محمد حجة الإسلام المامقاني الكبير، والد صاحب "صحيفة الأبرار" المتوفى (١٢٦٩هـ)، والشيخ محمد بن عبد الجبار القطيفي المتوفى (١٢٤٢هـ)، وصاحب الجواهر، والسيد عبدالله شبر، وابناه الشيخ علي نقي والشيخ محمد نقي، وغيرهم الكثير..[1].

حسناً.. ما رأيك ـ عزيزي القارئ ـ بذلك؟

فلو قبلنا بمدعى الخالصي؛ فعليك أن تدرك بعض الآثار المترتبة على ذلك، ومنها:

أولاً: إثبات جهل العلماء الأعلام الذين عاصروا وأجازوا الشيخ أحمد الأحسائي!

فكيف يكون لقسيس وعميل للاستعمار من خارج إطار الإسلام القدرة على صنع منهجٍ حكميٍّ جديدٍ وفي فترة وجيزة، ويكون لمنهجه هذا القدر الضخم من النتاج العلمي؛ في حين أن هؤلاء العلماء المنتسبين إلى الإسلام وإلى التشيع لم يستطيعوا ذلك؟!

---

(١) أعلام هجر ـ السيد هاشم الشخص: ج١ ص١٥٧.

بل ولم يكن للبعض منهم القدرة على فهم الكثير من مصطلحات منهجه التي أبدع في صياغتها، ونظرياته التي جاء بها!

وثانياً: الشك في وثاقة هؤلاء العلماء الذين مدحوه وأجازوه؛ فكيف يقدمون المدح والثناء والإجازة لقسيس وعميل من دون التأكد من وثاقته نسباً وحسباً وعلماً.. وعلم الرجال صناعتهم، واللعبة التي يبدعون فيها؟!

وهنا اسمح لي أن أسألك سؤالاً:

لو عرضت عليك الاختيار بين هذين الأمرين:

إما إثبات صحة مدعى الخالصي ـ وغيره ـ؛ ومؤداه إثبات جهل وعدم وثاقة العلماء الذين عاصروا الشيخ أحمد الأحسائي وأجازوه، أو نفيه رأساً على عقب؟

فأيهما ستختار؟

بالطبع سيكون الاختيار الثاني هو الأصوب بالبداهة ـ وهو نفي مدعى الخالصي ـ؛ لأن الأول ليس بصحيح، ولا يقبله أي عاقل منا؛ فإن المكانة العلمية والعملية لهؤلاء الأعلام العظام ـ وغيرهم من الباحثين والمفكرين، والمثقفين الذين لم يقدحوا في ذات شخصيته ـ، ووثاقتهم في الأوساط؛ لا ينكرها إلا جاهل أو معاند.

حسناً.. لم ننتهِ من الحديث في هذا المدعى بعد!

فهناك نقطة لابد من التطرق إليها، وهي الإشكالات التي طرحت حول إجازات الشيخ أحمد الأحسائي، أفردتها في موضوع مستقل لأهميتها وارتباطها بهذا المدعى.

فتعال معي لنتعرف على ما دار فيها..

إشكالات حول إجازات الشيخ أحمد الأحسائي

لم تسلم الإجازات التي حصل عليها الشيخ أحمد الأحسائي من معرض النقد في ذات شخصيته، فلقد أثيرت حولها بعض الإشكالات، ومنها: اعتقد البعض أنها قد تؤيد أو تدعم مدعى الخالصي - وغيره - في الشك بمكانته العلمية، ووثاقته لدى عظماء العلماء!

فكان مما لا بد منه التعرض لها؛ لما لذلك من أهمية في استيفاء بحث دراسة هذا المدعى.

وطبعاً.. لسنا بصدد الحديث عن كل ما جاء فيها؛ ويكفينا التعرض إلى أهم الإشكالات التي أثيرت حول ذلك، وأصبح لها الأصداء في الكتابات والخطابات، وغيرهما.

وهما إشكالان:

الإشكال الأول: تواريخ إجازات الشيخ أحمد الأحسائي

قال البعض: إن ما يجعلنا نشك بمكانة الشيخ أحمد الأحسائي العلمية، ويدعونا إلى ترجيح ولو بعض أجزاء من مدعى الخالصي وغيره؛ هو تواريخ صدور بعض إجازاته التي تتعارض مع بعض تواريخ إقامته وسفراته.

فمثلاً: إجازة السيد الشهرستاني، وإجازة بحر العلوم الطبطبائي، وإجازة الشيخ جعفر النجفي[1] للشيخ أحمد الأحسائي؛ كلها أرخت في سنة (١٢٠٩هـ)، وهذا يتعارض مع ما ذكرته بعض التراجم، من أنه كان في بلاد البحرين في السنة نفسها التي صدرت فيها تلك الإجازات[2]؛ فعندئذٍ يُستبعد صدور تلك الإجازات من علماء العراق للشيخ أحمد الأحسائي الذي كان في البحرين!

لقد بدا لي هذا الإشكال منطقيًّا لحد ما..

ولكن.. لا يمكن أن نقبل به بهذه البساطة.. لماذا؟

---

(١) تم ترجمتهم سابقاً.

(٢) أثار الأخ المعاصر الدكتور حسن الشيخ في كتابه آخر الفلاسفة ـ وهو في صدد دفاعه عن الشيخ أحمد الأحسائي ـ هذا الإشكال، وإثارته له ليس من باب النقد بل من باب بيان وجوده. [آخر الفلاسفة ـ الدكتور حسن الشيخ: ص٢٨ ـ ٢٩].

لأن بعض أقرب المقربين للشيخ أحمد الأحسائي حينما تكلموا عن حياته العلمية وسفراته ومهاجراته في مختلف البلدان، لم يرصد أو يوثق الكثير منهم تواريخ معينة للمحطات الهامة بها؛ كتلميذه الأول السيد كاظم الرشتي الذي تعرض لذلك في كتابه "دليل المتحيرين"[1]،

والبعض الآخر وإن رصد ذلك كابنه الشيخ عبدالله الأحسائي الذي ترجم لوالده؛ إلا أن مجموع ما تم رصده في ترجمته لا يكشف عن أدق الأحداث في سيرته.

فيأتي السؤال المحير هنا:

كيف إذاً تم رصد الكثير من التواريخ في الكتابات التي تتحدث عن حياة الشيخ أحمد الأحسائي، وكل ما يرتبط بها؟

يمكن الإجابة عن هذا السؤال بالتالي:

لما كانت شخصية الشيخ أحمد الأحسائي من الشخصيات الهامة في سطور التاريخ، وأصبحت محط اهتمام الكثير من الدارسين والباحثين والمحققين ـ وغيرهم ـ في داخل منظومة الفكر الإسلامي وفي خارجها؛ قام البعض منهم برصد الكثير من التواريخ التي تتعلق بأحداث سيرته من خلال طرق عدة، ومنها:

---

(١) انظر/ دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص١٣ـ٤٥.

١ـ تتبع التواريخ الموجودة في نهايات الكتب أو الرسائل. فغالباً ما كان يختمها بتاريخ الانتهاء منها[١]، وبمكان تواجده (أحياناً)[٢].

٢ـ تتبع التواريخ الموجودة على نسخ الكتب والمخطوطات النفيسة التي تملكها[٣]. فالعلماء في السابق كانوا يقومون بكتابة بعض الهوامش على صفحات ما يتملكونه من الكتب؛ كتاريخ وككيفية حيازتهم لها

---

(١) مثلاً: ما جاء في نهاية رسالة في جواب السيد حسين ابن السيد عبدالقاهر: (تمت بقلم منشئها في الثاني عشر من شهر ربيع الثاني سنة (١٢١٤)، أربع عشرة بعد المائتين والألف من الهجرة، صلى الله على مهاجرها وآله الطاهرين، حامداً مستغفراً مصلياً مسلماً). [انظر/ رسالة في جواب السيد حسين ابن السيد عبدالقاهر "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٨ ص٣٤٣].

(٢) مثلاً: ما جاء في نهاية الرسالة التوبلية: (وكتب مؤلفها العبد المسكين، أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن داغر الأحسائي، في القرية المسماة ببني تابع بلاد القديم من البحرين، وقد فرغت من تأليفها وتسويدها في الليلة الثانية والعشرين من شعبان سنة (١٢١١) [الحادية عشرة بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية على مهاجرها وآله الطاهرين أفضل الصلاة وأزكى السلام، والحمد الله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين]). [انظر/ الرسالة التوبلية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٨ص٣٣١].

(٣) مثلاً: ما جاء في الورقة البدرقة الأولى من كتاب "منازل الإنسان للشيخ محمد مكي بن صالح البحراني"، شهادة ملكية له، كتبت بخط يده: (كتاب منازل الإنسان للشيخ مكي بن صالح، في حيازة العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي سنة (١٢٠٩). خاتمه الشريف (أحمد زين الدين ١٢٠٣). [انظر/ نسخة رقم (١٣٩٢٠) من مخطوطات المكتبة المرعشية العالم بقم].

ومثل ما كتبه في أول النسخة التي تملكها من كتاب الفهرست للشيخ الطوسي: (مما منّ الله علي وأنا المسكين أحمد بن زين الدين بن إبراهيم في ٨ ربيع ٢ سنة (١٢٠٣هـ) وكانت ناقصة بعض الأوراق من آخرها، ولما أكملها بخطه بعد مضي عدة سنوات على ضوء نسخة أخرى كتب في آخرها: (وقع الفراغ من نسخ إتمامه ليلة الثلاثاء الحادية عشرة من شهر رجب المرجب سنة (١٢١١هـ) في بلد بني من بلاد القديم من البحرين). [انظر/ نسخه رقم (٢٨٥٧) بمكتبة المجلس الشورى].

(البيع الشرعي، الإرث، الإهداء..)، والوصاية إلى من تعود بعد وفاتهم، وغير ذلك.

٣ـ تتبع تواريخ إجازاته[١]، وتلك التي أجاز بها تلامذته.

٤ـ تتبع التواريخ الموجودة في بطون الكتب التي تضمنت أو أشارت إلى ما يتعلق بشخصيته؛ كزمن الحضور في موضع ما، أو واقعة، أو غير ذلك[٢].

---

(١) كما مر سابقاً في أثناء ذكر المجيزين له وتواريخ إجازاتهم.

(٢) مثلاً: قال الشيخ أحمد الأحسائي عن طلب السائل في بداية رسالة في جواب بعض الإخوان في المعاد الجسماني: (فطلب مني بيان ذلك في وقت كنت في أهبة السفر)، وجاء في نهايتها: (وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين في ليلة الخميس آخر جمادى الأولى سنة (١٢٣٢). [انظر/ رسالة في جواب بعض الإخوان في المعاد الجسماني "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص٤٦٩ وص٤٧٨].

فهنا تأتي تساؤلات منها: أين كان الشيخ أحمد الأحسائي في هذا التاريخ؟ وإلى أين هو مسافر؟

لقد كان في كرمان شاه في إيران، وتوصلنا إلى ذلك من خلال تتبع ما يدل عليه من القرائن، ومنها: ما كتبه في نهاية الرسالة السراجية: (وقع الفراغ من تسويدها بيد مبدئها العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي في ليلة الخميس العاشرة من ذي الحجة الحرام سنة إحدى وثلاثين بعد المئة والألف من الهجرة النبوية على مهاجرها وآله أفضل الصلاة والسلام في البلد المحروسة عن حوادث الزمان كرمان شاهان حامداً مصلياً مسلماً مستغفراً والحمد لله وحده). [انظر/ الرسالة السراجية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٢٢٢]. وكان قاصداً بيت الله الحرام، ولذا قال في مقدمة كتابه "شرح فوائد الحكمة": (وكان ذلك الالتماس منه في طريق سفرنا مع جنابه المحترم إلى مكة). ويجمع كل ذلك ما جاء في رسالة ابنه الشيخ عبدالله في شرح أحوال والده، حينما خرج من يزد لزيارة العتبات المقدسة مر بإصفهان ثم توجه إلى كرمان شاه، حيث قال: (لقد حول وجهته نحو أصفهان، ومنها توجه إلى كرمانشاه.. وكان ذلك اليوم الثاني من شهر رجب، عام ألف ومائتين وتسعة وعشرين للهجرة، بقي فيها بالعز والجلالة والمهابة مدة عامين، مرتاح البال، مهيب الجنان، وكان الأمير ـ دائماً ـ يتفقد أحواله، ويحترمه غاية الاحترام، ويبحله غاية التبجيل والإكرام، وفي السنة الثالثة من إقامته هناك، أي في عام ألف ومائتين واثنين وثلاثين للهجرة، عزم المعظم له حج بين الله الحرام). [انظر/ شمس هجر ـ الشيخ أحمد الأحسائي، الشيخ عبدالله الأحسائي: ص١١٥ـ١١٦].

ولا يخفى عليك.. أن عملية الاستقراء التي قام بها هؤلاء لرصد تلك التواريخ ولدت نتائجها آثاراً إيجابية جمة في كل ما يختص بدراسة شخصية ونتاج منهج الشيخ أحمد الأحسائي ؛ إلا أن جهود عملهم لم تخلُ من التعارض بين بعض التواريخ.

ولعلك تتساءل الآن: كيف وقع ذلك التعارض؟

يُعزى الأمر إلى عدة أسباب، أذكر لك اثنين منها فقط:

الأول: إن كل واحد من هؤلاء ـ الباحثين، المحققين، وغيرهم ـ اتَّخذ طريقة معينة لرصد التاريخ المراد الوصول إليه، واعتمد في ذلك على ما توفر بين يديه من مصادر.

ومن المعلوم أن المصدر الذي يُستقى منه، أو الذي ساهم في الكشف عن التاريخ المراد ؛ يلعب دوراً كبيراً في أيَّة عملية رصد تاريخية كانت.

فهناك فرق كبير بين من يعتمد على ما يتوفر لديه من المصادر العربية، وبين من يعتمد على ما يتوفر لديه من المصادر باللغات الأخرى كالفارسية مثلاً، وفرق كبير بين من يرصد من كتابات منقولة، وبين من يرصد من المخطوطات الأصلية ـ أو المصورة ـ الموجودة في المكتبات الكبيرة، أو عند مقتنيها.

الثاني: إن الكثير من هؤلاء غفل عن أمر هام في سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، وهو التمييز بين أوقات هجراته، وأوقات سفراته التي كان يقوم بها، ومن المؤكد أن إدراك هذه البعد في سيرته يحتاج إلى شخصية لديها إلمام واسع، وأفق بعيد في النظر إلى مجريات الدقائق والحقائق التي مرت في حياته.

وأعني بذلك.. التمييز بين هجرته مع عائلته إلى مكان ما وإقامته المستمرة فيه لوقت معين، والسفرات التي كانت تتخلل تلك الإقامة.

فمثلاً: لقد هاجر الشيخ أحمد الأحسائي مع عائلة من الأحساء إلى البحرين وأقام فيها لسنوات، ولكنه سافر أثناء تلك الإقامة لزيارة العتبات المقدسة في العراق[١]، وكذلك لما هاجر إلى البصرة وأقام فيها مع عائلته سافر لزيارة العتبات المقدسة في إيران[٢]، وكذلك لما كان مقيماً في يزد وكرمان شاه كان له عدة زيارات للعتبات المقدسة ـ وللعلماء وغيرهم ـ في العراق[٣].

---

(١) أجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي: ص٨٥. وهذا ما نريد التحقيق فيه هنا.

(٢) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص١٣.

(٣) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٢٤.

فإذا تأملت هذين السببين ـ وغيرهما ـ ستجد أن التعارض بين بعض التواريخ أمرٌ لا محال من وقوعه، وصعوبة الربط بين بعض الأحداث في سيرته ـ كحدث إقامته في البحرين وحصوله على تلك الإجازات من العراق ـ ما هو إلا نتيجة حتمية لذلك.

وحتى نفهم هذه النقطة أكثر، دعنا نزيد الأمر وضوحاً، ونبدأ بالتعامل مع الحدث الذي يهمنا وتاريخه بشكل أقرب؛ وذلك من خلال التحقيق في بعض المصادر على هذا النحو:

يعتبر كتاب الشيخ عبدالله ابن الشيخ أحمد الأحسائي[١] الذي كتبه باللغة العربية في ترجمة أحوال والده؛ أحد أهم المصادر التي اعتمد عليها الكثيرون في رصد الأحداث التاريخية لسيرة الشيخ أحمد الأحسائي.

وهذا الكتاب نفيسة تاريخية لم تطبع مخطوطته الأصلية لندرتها وقلة مقتنيها[٢]. وأما الأثر الموجود له في بعض الكتب المحققة، ككتاب "شمس هجر"[٣]؛ فالحقيقة أن ما جاء في صفحاته ليس هو الترجمة الأم

(١) الشيخ عبدالله ابن الشيخ أحمد الأحسائي من العلماء الكاملين، وقد عاش بعد والده مدة يسيرة.

(٢) أشار أحد المحققين إلى طباعتها؛ ولكننا لم نرَ لها نسخة بعد البحث، أو من أشار إلى ذلك بعد السؤال.

(٣) إعداد وتحقيق الشيخ أحمد عبدالوهاب البوشفيع. طبع الطبعة الأولى في بيروت، (١٤٢٣هـ) /لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد الأحسائي قدس سره.

ـ أو الترجمة الأصلية، أو الكلمات الحقيقية ـ للشيخ عبدالله الأحسائي؛ وإنما تلك ترجمة أخذت من ترجمة سابقة لها باللغة الفارسية!

فهناك من قام بترجمة الكتاب الأصلي للشيخ عبدالله الأحسائي في أحوال والده إلى اللغة الفارسية، ثم أعيد ترجمة هذا الكتاب مرة أخرى من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية[١].

فلو قمنا ـ مثلاً ـ: بمقارنة بعض تواريخ الأحداث التي جاءت في هذا الكتاب الموجود بين أيدينا اليوم؛ مع مصدر آخر قام برصد أحداث سيرة حياة الشيخ أحمد الأحسائي.

كالفهرسة التاريخية التي أعدها المحقق هادي مكارم تربتي[٢] تحت عنوان " يوميات سيرة وحياة (أحداث الشيخ المرحوم الأحسائي ـ أعلى الله مقامه ـ منذ الولادة وحتى الرحيل)"، التي جاءت في نهاية الرسالة التي حققها للشيخ أحمد الأحسائي بعنوان "أجوبة سؤالات الشيخ

(١) شمس هجر ـ الشيخ أحمد الأحسائي، الشيخ عبدالله الأحسائي إعداد وتحقيق/ الشيخ أحمد عبدالوهاب البوشفيع: ص٣٠.

(٢) لم نظفر بسطور تعريفية لهذا المحقق، وكل ما نعلم أنه من المعاصرين ـ وقت كتابة هذا الكتاب ـ، وأنه من المحققين الإيرانيين البارعين في التراث الفلسفي الإسلامي، ويمتلك عدداً لا بأس به من المخطوطات النفيسة.

محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي"[١] ؛ فسوف نجد أن هناك تعارضاً كبيراً بينهما!!

فقد جاء في كتاب "شمس هجر": (لقد ارتحل ـ بعد مدة ـ مع عياله وأثقاله إلى البحرين، وأقام أربع سنوات هناك، إلى أن توفيت فاطمة بنت علي بن إبراهيم، جدة ابنه الشيخ عبدالله، وذلك في شهر رجب الأصب، من عام ألف ومائتين واثني عشر للهجرة النبوية، وبعد وفاتها عزم نحو العتبات المقدسة، وعند المراجعة توقف في البصرة، ونقل عياله من البحرين إليها)[٢].

بينما في الجانب الآخر، نجد وجهة نظر مختلفة تماماً.. يترتب عليها نتائج أخرى!

فقد ذكر المحقق هادي مكارم ترتبي في فهرسته: (حدود (١٢٠٧) انتقل مع عياله وأسرته إلى جزيرة البحرين وناحية أوال، وذلك على أثر حملات الوهابية)[٣]. وفي (رجب سنة (١٢٠٩) ارتحل والدة الشيخ

---

(١) طبع في الكويت، (٢٠٢١م) /شركة مكتبة تدوين ـ دار زين العابدين.

(٢) انظر/ شمس هجر ـ الشيخ أحمد الأحسائي، الشيخ عبدالله الإحسائي ـ إعداد وتحقيق/ الشيخ أحمد عبدالوهاب البوشفيع: ص٩٧.

(٣) انظر/ أجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي: ص٨٢.

الأوحد الأحسائي، المسماة بفاطمة بنت علي بن إبراهيم في هذا التاريخ في البحرين، وبعد وفاتها سافر الشيخ المرحوم إلى زيارة العتبات للمرة الثانية[١]، وهذه المسافرة مستديمة حتى أوايل أو أواسط عام (١٢١١))[٢].

فنحن لا نعلم الآن أي النصين هو الأصح، أو القريب من الصحة؛ خصوصاً وأن كلاهما يقول بإنه رصد من تلك الترجمة التي كتبها الشيخ عبدالله الأحسائي.

فكتاب "شمس هجر" يعتبر ترجمة للترجمة الفارسية التي تُرجمت من الكتاب الأم للشيخ عبدالله الأحسائي، وكلمات هادي مكارم ترتبي وثقت في الهامش بهذا المصدر (رسالة شرح أحوال الشيخ المرحوم للشيخ عبدالله الأحسائي)[٣].

فهل الشيخ أحمد الأحسائي كان مقيماً في البحرين، وبعد وفاة والدته (فاطمة) الذي حدث في سنة (١٢١٢هـ) سافر لزيارة العتبات

---

(١) هنا وضع المحقق هادي مكارم تربتي هامش وذكر فيه أن مصدره هو (رسالة شرح أحوال الشيخ المرحوم للشيخ عبدالله الأحسائي).

(٢) انظر/ أجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي: ص٨٧.

(٣) نفس المصدر السابق: ص٨٧ (الهامش).

المقدسة في العراق، ولم يعد إلى البحرين مرة أخرى، كما يظهر من الكلمات المذكورة (وعند المراجعة توقف في البصرة ونقل عياله من البحرين إليها)؟

أم أن الشيخ أحمد الأحسائي كان مقيماً في البحرين، وبعد وفاة والدته الذي حدث في سنة (١٢٠٩هـ) سافر إلى العتبات المقدسة في العراق، ثم عاد إلى البحرين وأقام فيها إلى أواخر سنة (١٢١٥هـ) وأوائل سنة (١٢١٦هـ)، كما يقول المحقق هادي مكارم ترتبي أنه في هذا التاريخ:

(تصاعدت حملات الطائفة الوهابية على المؤمنين في نواحي البحرين هذه الأيام، وقتلوا بعض العلماء في جزيرة أوال (منهم الشيخ حسين آل عصفور المستشهد في ذي الحجة (١٢١٦هـ)، ونجله الشيخ محمد وغيرهما).

فعلى أثره هاجر المرحوم الأحسائي من أوال بعد مدة للتشرف بزيارة مراقد الأئمة الأطهار في العراق، مع بعض العيال والأصحاب (منهم الشيخ أحمد بن صالح بن طوق القطيفي، والسيد حسين بن السيد عبدالقاهر البحراني، والشيخ علي بن صالح بن يوسف البحراني وغيرهم).

وبعد الزيارة قرر الإقامة في نواحي البصرة وبعض القرى من أطرافها، ثم بعث خلف أسرته وعائلته من البحرين فانتقلوا إلى البصرة)[1]؟

شيء عجيب... أليس كذلك؟

حسناً.. دعنا الآن نضع كلا النصين تحت منضدة التحقيق، وندع القرائن هي من ترجح قبول أحدهما على الآخر:

لا شك أن التاريخ المرصود في النص الأول (شمس هجر)، وتسلسل الأحداث فيه، يجعلنا نؤيد الإشكال الذي طُرح حول إجازات الشيخ أحمد الأحسائي من الوهلة الأولى.

لأن الظاهر والمفهوم منه، أن الشيخ أحمد الأحسائي لما أقام في البحرين لأربع سنوات لم يسافر إلى العراق لزيارة العتبات المقدسة إلا في عام (١٢١٢هـ)؛ فكيف حصل على تلك الإجازات إذاً؟

أما التاريخ المرصود في النص الثاني (فهرست هادي مكارم ترتبي التاريخية)؛ فيجعلنا نرد ذلك الإشكال لليقين الحاصل من حضوره في العراق في الوقت الذي صدرت فيه تلك الإجازات.

---

(١) انظر/ أجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي: ص٩٦.

ولكن.. لا ريب أن عملية الترجمة التي حدثت للنص الأول (من اللغة العربية إلى الفارسية، ومن الفارسية إلى العربية) أضعفت من وثاقة ما ورد فيه بشكل عام.. هذا أولاً.

وثانياً: إن عملية الترجمة إذا لم تسر على وفق المعايير والقواعد المعروفة في هذا النوع من الفن؛ كفهم المعنى وترجمته بدل القيام بترجمة كل كلمة على حدة[١]، وكالمحافظة على لسان حال السرد وغير ذلك من أمور هامة؛ سيجعل الركون إلى قبول كل ما جاء فيها أمراً صعباً.

والسرد الذي جاء على لسان المترجم في هذا الكتاب[٢]؛ يعتبر ثغرة قللت من مستوى الحكم على جودة عملية الترجمة.

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي في أمر الترجمة بشكل عام: (إن بعض المترجمين يفسرون الكلام بتمامه بمثله، وهذا قليل الخطاء، كما لو ترجم قسم بُخُور في اللغة الفارسية فقال معنا أحلف، وبعض المترجمين يفسر كل كلمة برأسها؛ فيكثر غلطه، كما لو فسر قسم بخور بأن قسم بمعنى اليمين، وبخور بمعنى كُل، فإن المعنى يبطل لأنه يكون معنى قسم بُخور كُلَّ اليمين، وأمثال ذلك). ارسالة في شرح الرسالة العلمية للملا محسن الفيض "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٣٦٣].

(٢) حينما تدقق جيداً في هذا الترجمة التي نقلت من اللغة العربية إلى اللغة الفارسية ومن ثم أعيدت إلى اللغة العربية؛ ستلحظ أن السرد بدل أن يبقى على لسان الشيخ عبدالله الأحسائي استبدل بالسرد على لسان المترجم لكلماته، ص١٠٩: (يحكي الشيخ عبدالله قائلاً)، ص١١٨: (وقد أرسل الشيخ عبدالله مع بعض الخدم إلى كرمنشاه) ...إلخ. وهذا يقلل من جودة الترجمة.

أما النص الثاني..

لقد استخدم المحقق هادي مكارم تربتي في عملية رصده التاريخي قرائن عديدة جعلت حجته أقوى، ونصه أكثر مقبولية من غيره؛ إذ إنه:

أولاً: كان ينقل من المخطوطة الأم الأصلية للشيخ عبدالله ابن الشيخ أحمد الأحسائي[١].

وثانياً: من الواضح أنه لم يغفل عن الآلية الدقيقة في عملية رصده، فهو:

١ـ لم يعتمد اعتماداً كليًّا على الكتاب الذي كتبه ابنه الشيخ عبدالله الأحسائي[٢]؛ وإنما اعتمد ـ أيضاً ـ على مصادر أصلية أخرى، شملت

(١) الظاهر أنه يملك نسخة من المخطوطة الأصلية، ولذا قال: (وأيضاً استفدنا كثيراً من كتاب ابنه الشيخ عبدالله في ترجمة أحوال أبيه العلامة). [انظر/ أجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي: ص٦٨]. ونقل إلينا ممن نثق فيه من المحققين بأنها طبعت، ولم نحصل على نسخة منها.

(٢) يبين المحقق هادي مكارم تربتي ذلك في الهامش بقوله: (طبعاً بعد التدقيق والتحقيق في كل ما كتب الشيخ عبدالله فيه، والمقايسة بسائر الأسناد والوثائق الموجودة؛ لأنه كتبه حدود سنة (١٢٤٤) بعد وفاة أبيه، وفي بعض الأحيان من ظهر حافظته، خصوصاً في ذكر وقايع أوائل حياته الشريفة في الأحساء والبحرين). [أجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي: ص٦٨].

الوثائق، والرسائل، ومتون وهوامش المخطوطات الأصلية، والكتب الأخرى التي ترجمت للشيخ أحمدالأحسائي، وغيرها[١].

٢ـ دقة وشمولية التسلسل التاريخي في رصده لكل ما يتعلق بسيرة الشيخ أحمد الأحسائي، من كتب ورسائل، وهجرات وسفرات، وأهم المنعطفات والأحداث التي وقعت فيها، وغير ذلك؛ يجعلانك تشعر أن الرجل لديه إلمام واسع، وقدرة كبيرة على التمييز بين أدق الأمور؛ كالفرق بين هجراته وسفراته.

٣ـ لقد أشار أو ذكر قرينة من لسان الشيخ أحمد الأحسائي تؤكد على تواجده في العراق فترة صدور تلك الإجازات، وهي كلماته في خاتمة الرسالة التوبلية[٢].

---

(١) يبين المحقق هادي مكارم تربتي بمنبع مصادره في قوله: (وأما مصادرنا الأصلية لهذه الفهرسة هي الوثائق والرسائل وشهادات التملك للنسخ الخطية وأوراق البدرقة ومتون وهوامش المخطوطات الأصلية بخطه أعلى الله مقامه، أو خطوط أبنائه ومنتسبيه وبعض خطوط تلامذته المرافقين له في الحضر والسفر. وأيضاً استفدنا كثيراً من كتاب ابنه الشيخ عبدالله في ترجمة أحوال أبيه العلامة، وأيضاً كتاب فهرست مشايخ عظام للمرحوم الحاج أبي القاسم خان الإبراهيمي الكرماني، وفي المرحلة الثانية استفدنا من معلومات بعض كتب التراجم وشرح الأحوالات العامة أو المنابع المختصة بمرحلة زمنية أو منطقة جغرافية خاصة، المخطوطة منها والمطبوعة). [أجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي: ص٦٨ـ٦٩].

(٢) أجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي: ص٨٥ـ٨٧ـ٩١.

واعتراف الشيخ أحمد الأحسائي نفسه بذلك؛ أمر يحسم كل الكلمات التي قيلت حول إجازاته المؤرخة بتاريخ (١٢٠٩هـ).

فماذا جاء في هذه الرسالة؟

في نهاية هذه الرسالة قال الشيخ أحمد الأحسائي:

(ثم اعلم أنه[١] ـ سلمه الله تعالى ـ كتب إلي هذه المسائل، وصحبتها معي إلى العراق رجاء أن أتمها في الطريق، وكتبت منها بعضها قليلاً نحواً من أربع وعشرين ورقة، وحالت دون الإتمام أسباب التعويق.

فلما قدمت البحرين في السنة الثانية من ذلك التاريخ استخبرني ـ سلمه الله ـ الجواب، والهم غير مجتمع لحوادث الليالي والأيام، والقلب منصدع لوقوع دواهي الدهر العظام، وأنا أعده حتى أتى هذه التاريخ، فسارعتُ في إجابته وليس لي ميل إلى ذلك لما هجم على الناس من شدة الضر والبأس...

وكتب مؤلفها العبد المسكين أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم بن داغر الأحسائي، في القرية المسماة ببني، تابع بلاد القديم من البحرين، وقد فرغت من تأليفها وتسويدها في الليلة الثانية والعشرين من شعبان سنة (١٢١١)، الحادية عشرة بعد المائتين

(١) أي السائل، الشيخ عبدعلي التوبلي.

والعشرين من الهجرة النبوية، على مهاجرها وآله الطاهرين أفضل الصلاة وأزكى السلام، والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين)[١].

فالتاريخ الذي كتبه السائل (وهو الشيخ عبد علي التوبلي) في مكتوبه إلى الشيخ أحمد الأحسائي كان في (١٤ جمادى الأخرة ١٢٠٩هـ)[٢].

وفي (رجب ١٢٠٩هـ) توفيت والدة الشيخ أحمد الأحسائي "فاطمة" في البحرين، وبعدها سافر إلى العراق لزيارة العتبات المقدسة، فصحب معه مكتوب السائل، (وصحبتها معي إلى العراق رجاء أن أتمها في الطريق).

واستمرت سفرته إلى السنة الثانية من تاريخ ذلك المكتوب أو تاريخ تلك المسائل، (فلما قدمت إلى البحرين في السنة الثانية من ذلك التاريخ استخبرني سلمه الله الجواب).

أي: إن الشيخ أحمد الأحسائي عاد إلى البحرين في بدايات أو

---

(١) الرسالة التوبلية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٨ ص٣٣٠ـ٣٣١.

(٢) أجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي: ص٩٢.

أواسط سنة (١٢١١هـ)، وقد كان في العراق في أواخر سنة (١٢٠٩هـ)، وكامل سنة (١٢١٠هـ)[١].

وحتى يؤكد المحقق مكارم تربتي وجوده في العراق في تاريخ صدور تلك الإجازات رصد بعض التواريخ الهامة التي تدل على ذلك، ومنها:

١ـ ((آخر ليل من ذي الحجة ١٢٠٩هـ) ولدت إحدى بنات الشيخ المسماة بمريم في الطريق بين النجف وكربلاء.

٢ـ (سنة ١٢٠٩ هـ) صدر من قريحته قصيدة (رقم ١٢) من قصائده الاثنتي عشرة في رثاء سيد الشهداء عليه السلام، ويحتمل قوياً أنه نظمها حين تشرفه بزيارة مرقده في الحائر الحسيني الشريف.

٣ـ (أواسط جمادى الآخرة ١٢١٠ هـ) هذا تاريخ الفراغ من تأليف الرسالة الغديرية في جواب الشيخ عبدالله بن محمد بن أحمد بن غدير البحراني (فهرست مشايخ ١١٢)، وقد قتل السائل بعد تأليف هذه

(١) الكتاب الذي كتبه السائل أرخ في تاريخ (١٢٠٩هـ)، فيكون في فهم عبارة (فلما قدمت البحرين في السنة الثانية) احتمالين: الأول: أنه عاد إلى البحرين في سنة (١٢١٠هـ)؛ أي: في السنة التالية من ذلك التاريخ. الثاني: أنه عاد إلى البحرين في سنة (١٢١١هـ)؛ أي: بعد سنتين من ذلك التاريخ، وهذا ما ذهب إليه المحقق هادي مكارم تربتي بقرينة الفراغ من تأليف تلك الرسالة في هذا التاريخ نفسه. وعلى أيَّة حال، سواء فهم من ذلك المعنى الأول أو الثاني، فكلاهما لا يؤثران في أمر وجوده في العراق فترة صدور تلك الإجازات، إذا إننا نحقق في فترة تواجده لا في فترة عودته، وإن كان يترتب عليها العديد من النتائج.

الرسالة في البحرين بمدة، وأشار الشيخ الأحسائي إلى ذلك في الرسالة التوبلية بطريقة المرحومين فقال: تغمده الله برحمته وأحل بقاتله وبال نقمته)[١].

فيظهر لنا أن الشيخ أحمد الأحسائي كان في العراق في فترة صدور تلك الإجازات؛ فلا إشكال على إجازاته من هذه الناحية.

تبقى لدينا ـ عزيزي القارئ ـ إشكال آخر على وجود الشيخ في فترة صدور تلك الإجازات في العراق، وهو على النحو التالي:

لو سلمنا بسفره في تاريخ (رجب ١٢٠٩هـ) من البحرين إلى العراق؛ فكيف استطاع الوصول إلى العراق قبل نهاية تلك السنة والنقل في السابق لم يكن سريعاً كالآن، وإنما كان على ظهر الدواب؟!

وهذا الإشكال مردود بالتالي:

المسافة ـ تقريباً ـ بين البحرين والعراق (النجف) هي (١.٠٦٤كم)[٢]، ويمكن للسيارة الحديثة قطعها اليوم في (١٢ ساعة) عن طريق الخط

(١) أجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي في الحكمة الإلهية ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ تقديم وتحقيق/ هادي مكارم تربتي: ص٨٨-٨٩.

(٢) هذا الرقم تقريبي رصد من خرائط الأقمار الصناعية سنة (٢٠٢١م).

الساحلي مروراً بالكويت وعبوراً بالبصرة... ولو بالغنا وقلنا: إنَّ الشيخ قطع هذه المسافة في شهر على ظهر الدواب فيبقى احتمال وجوده بالعراق في فترة صدور تلك الإجازات قويًّا جدًّا.

ولو تأملنا مدة مسير السبايا في يوم العاشر من كربلاء إلى الكوفة إلى الشام، مع ما في تلك الحادثة من نساء وأطفال ومرضى وجرحى، ومع التوقف في القرى والمدن الذي دام برهة من الزمن، ومع الأحداث التي حدثت في الشام فاستغرقت (٤٠ يوماً فقط) ذهاباً وإياباً كما يذكر التاريخ في سطوره؛ فسنجد أن رحلة الشيخ أحمد الأحسائي من البحرين إلى العراق ـ النجف ـ في تلك الفترة المفروضة ـ أو أكثر أو أقل منها ـ أمراً طبيعيًّا في ذلك الزمان، ولا يدعو للتساؤل.

الإشكال الثاني: إجازات الشيخ أحمد الأحسائي إجازات رواية لا إجازات اجتهاد

قال البعض: إن ما يجعلنا نشك بمكانته العلمية هو:

لو سلمنا بصحة صدور هذه الإجازات من العلماء الأعاظم للشيخ أحمد الأحسائي؛ فإنها تبقى مجرد إجازات رواية لا إجازات اجتهاد!

هل توافقني الرأي: في أن هذا الإشكال يبدو مبهماً؟!

وللحكم عليه نحن بحاجة إلى فهم المقصود من إجازة الرواية وإجازة الاجتهاد أولاً.

واسمح لي أن أبين لك ذلك بصورة مبسطة في السطور الآتية؛ لتكون لدينا بعض الثقافة الهامة في مواجهة هذا الإشكال، وكل ما يقع في صدده:

يحتل الحديث ـ وهو ما صدر عن المعصوم عليه السلام من قول أو فعل أو تقرير[1] ـ المرتبة الثانية في الشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم في عملية استنباط الأحكام الشرعية؛ وذلك لأن الأحكام في القرآن الكريم لم يرد أكثرها لبيان خصوصيات ما يتصل بالحكم، وإنما وردت في بيان

---

(١) يستخدم لفظ (المعصوم) في تعريف الحديث للربط بين ما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله، أو ما صدر عن أحد الأئمة عليهم السلام، وبين ما صدر من نصوص القرآن الكريم.

أصل التشريع، فيأتي الحديث مبيناً وموضحاً وشارحاً لتلك الأحكام، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[١].

ولأوضح لك ما أقصده هنا؛ انظر ـ مثلاً ـ إلى هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾[٢]، وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[٤]، ستجد أن الأحكام في هذه الآيات أثبتت أصل التشريع فقط، ولم تبين لنا ـ مثلاً ـ كيفية الصلاة أو الصيام أو الحج.

فيأتي هنا دور الحديث في بيان تلك الكيفية، إذ لا يمكن فهم أي شيء في الإسلام من عبادات أو معاملات من دون المعصوم عليه السلام؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[٥]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[٦].

فماذا حصل؟

---

(١) سورة النحل: (٤٤).

(٢) سورة البقرة: (٤٣).

(٣) سورة البقرة: (١٨٣).

(٤) سورة آل عمران: (٩٧).

(٥) سورة الحشر: (٧).

(٦) سورة إبراهيم: (٤).

اهتم المحدثون منذ العصور الأولى بالحديث ومدارسته والعمل بما جاء به ؛ وسواء انصب اهتمامهم به من أمر المعصوم بذلك في حثه وترغيبه، كما جاء في قول رسول الله ﷺ : «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً، وكنت له شافعاً وشهيداً»[١]، أو لجملة الحاجات التي تلمسوها فيما بعد، كحفظ الحديث بعد عصر الغيبة، أو غير ذلك ؛ فإن الأمر أدى إلى نشوء علوم متفرعة من علم الحديث ؛ كعلم الرواية، وعلم الدراية، وغيرهما.

ففي سبيل المحافظة على سلامة وصحة النصوص من الخطأ والتدليس لتنتقل إلى الناس بطريقة صحيحة وسليمة، اهتموا بطريقة التحمل[٢]، وبالراوي عنهم ؛ فوضعوا طرقاً محددة لتحمل الحديث وروايته، كالسماع[٣]، والقراءة[٤]، والمناولة[٥]، والإجازة[٦]،

---

(١) الخصال ـ الشيخ الصدوق: ج٢ ص٥٤١.

(٢) تعتبر الرواية بالسند من أفضل الوسائل التي اتخذها المحدثون في سبيل المحافظة على نص الحديث أثناء النقل.

(٣) وهو سماع الحديث من الشيخ مباشرة، وهو أعلى وأرفع طرق التحمل عند الجمهور.

(٤) وهي قراءة التلميذ للرواية على شيخه، ويطلق عليه بالعرض أيضاً، ويكون دور الشيخ تصحيح الرواية.

(٦) وهي عبارة عن إعطاء الشيخ كتابه أو مجموعة من الروايات لتلميذه.

(٥) وهو أن يقول الشيخ للتلميذ: (أجزت لك رواية كذا)، ويكون الشيخ قد سمعه من شيخه أو قرأه على شيخه.

وغيرها، وشروطاً محددة في الراوي عنهم، كالإسلام، والعدالة، والضبط، وغيرها.

ولذلك لم يجيزوا لجميع الناس بالرواية عنهم؛ إلا لمن توفرت فيه الصفات والشروط التي تؤهله في نقل الحديث إلى الناس.

وفي بداية الأمر.. أي في العصور الأولى، وعند المتأخرين أيضاً؛ اقتصر تحمل الحديث على وجهي السماع والقراءة، فكانت تشد الرحال لتحصيله، ومن الألفاظ التي تدل على أن الراوي تحمل الحديث من هذه الطرق: (سمعتُ شيخي، حدثني شيخي.. قرأتُ على الشيخ، قُرئ عليه وأنا أسمع..).

أما بعد قصور الهمم، وانتشار العلم في البلدان، اقتصر التحمل على أقل مراتب الرواية، وهي الإجازة؛ أي: الإذن والرخصة في الراوية.

وعلى هذا يقول المجيز في إجازته: (أجزت له رواية كذا، أو أذنت له رواية كذا..)، ويقول المجاز في نقله عن مجيزه: (أجازني فلان..)؛ فيصح له حينئذٍ رواية الكتب التي صدر له الإذن في روايتها عن مجيزه، وذكر مشايخه، ومشايخ مشايخه طبقة بعد طبقة إلى أن تنتهي الأسانيد إلى المعصوم عليه السلام.

وكل أنواع التحمل تلك: من سماع، وقراءة، ومناولة، وإذن (إجازة)؛ تسمى بـ(إجازة الرواية)[١].

وفي أثناء المسار التاريخي لعلم الحديث ـ وخصوصاً عند المتأخرين ومتأخريهم ـ بدأ المحدثون يشهدون أو يصرحون في داخل إجازات الرواية بمكانة المجاز علميًّا، كقدرته على استنباط الأحكام الشرعية، وأهليته للفتوى، وغير ذلك، وأطلقوا على شهادتهم تلك بـ(إجازة الدراية).

فظهر مفهوم مزدوج للإجازة اصطلح عليه بـ (إجازة الرواية والدراية)[٢].

---

(١) يقول الميرزا حسن الحائري الإحقاقي: (ثم اعلم: أن المتداول والمعنى بين العلماء الأعلام من الصدر الأول سيما العلماء المحدثين، إنما كان هو إجازة الرواية على أنواعها: من قراءة المجيز، أو المستجيز عليه، أو المناولة على أقسامها، وأقل مراتبها الإذن والرخصة في الرواية، الذي تداوله متأخرو المتأخرين من الأصحاب، وذلك لأنهم ما كانوا يعتبرون بالوجادة، أي: وجادة الرواية في الكتب المنسوبة إلى أربابها، فلذا كان تمام اعتنائهم بالإجازة إما قولاً أو كتباً، وهذه الإجازة كانت هي الشائعة بينهم، بل ما كانوا يعرفون غيرها). [منظرة الدقائق ـ الميرزا حسن الحائري الإحقاقي: ص٤١].

(٢) يقول الميرزا حسن الحائري الإحقاقي: (ثم حدث بين المتأخرين ومتأخريهم أنهم تداولوا في بعض الإجازات الإشارة إلى مقدار استعداد المستجيز وفضله وعلميته، فإن صرحوا فيها بأنه ذو ملكة واستنباط، وله أهلية الفتوى، ورد الفروع إلى الأصول؛ اشتملت الإجازة على رخصة وشهادة، فاصطلحوا بتسميتها إجازة الدارية، أو إجازة رواية ودراية). [منظرة الدقائق ـ الميرزا حسن الحائري الإحقاقي: ص٤١ـ ٤٢].

ولما انتشرت كتب الحديث وأصبحت معلومة النسبة إلى أصحابها ؛ اعتنى البعض بطريق الوجادة في التحمل[١] بعدما لم يكن كذلك سابقاً ؛ فاختلف الأمر في النظر إلى كل من إجازة الرواية وإجازة الدراية.

فمن جوز العمل بالوجادة ذهب إلى عدم الحاجة في الفقاهة إلى إجازة الرواية إلا من باب التيمن والتبرك ، فيكفي لتبوُّؤ منصب الفقيه أو المجتهد حصول الشخص على إجازة الدراية التي اصطلح عليها مؤخراً بـ (إجازة الاجتهاد)[٢].

أما من لم يجوز العمل بالوجادة ، فما زال على طريقة قدماء المحدثين من اشترط لزوم إجازة الرواية في الفقاهة أو الاجتهاد.. لماذا؟ لأن :

١ـ إجازة الرواية موجبة لاتصال السند بالمعصوم ، ومنه إلى الله ﷻ ، ومن دون ذلك فهي مقطوعة لا يمكن الاستناد إليها في العمل بها والحكم على طبقها ؛ لأنها محكومة بالإرسال.

---

(١) هو أن يجد الإنسان كتاباً أو حديثاً معلوم النسبة إلى صاحبة من دون سماع أو قراءة أو إجازة أو مناولة.. ومثل ذلك ما نجده اليوم من أحاديث في الكتب الموثقة.

(٢) الاجتهاد والتقليد ـ الشيخ فاضل الصفار : ج١ ص١٣١.

٢ـ إجازة الرواية تقتضي الحفاظ على الأحاديث من التصحيف، والنسيان، والضياع، فكتب الأحاديث قد تكون معلومة في زمن، ثم تفقد لسبب أو لآخر، كما فقدت بعض الكتب التي كانت معروفة ومشهورة في زمن، ولم يعد لها وجود اليوم.

٣ـ إجازة الرواية تقتضي الحفاظ على أهم منصب نيابي عن الإمام المعصوم عليه السلام في تشريع الأحكام وتولي شؤون المجتمع، وهو منصب الفقيه أو المجتهد، فقرون الفقاهة بملاك وجود إجازة الدراية (أو إجازة الاجتهاد) من عدمها فقط؛ سيؤدي إلى دخول الفاقد لأهم مواصفات هذا المنصب، كالإسلام، والإيمان، والوثاقة، والأهلية... في نطاق دائرته.

فمثلاً.. ماذا نقول عن أولئك الأجانب الذين لا ينتمون إلى قشرة الإسلام من الباحثين والمفكرين والعلماء الذين نالوا حظًّا وافراً من الدراسات الدينية الإسلامية، ومنهم من أصبحت لديه مؤلفات وتحقيقات في أدق مسائل الفقه والأصول.

فالحوزات الدينية التقليدية لم تعد اليوم المركز الوحيد لاكتساب الدراسات الدينية للوصول إلى رتبة الاجتهاد؛ بل أصبح هناك مراكز

أخرى تمنح شهادات الاجتهاد (شهادة الدكتوراه في الدراسات الشرعية)؛ كالجامعات والكليات وغيرهما.

فهل يمكن أن نعتبر أمثال هؤلاء من المجتهدين؟

فكر معي في الأمر قليلاً..

وعلى ذلك.. يمكن رصد أنواع الإجازات من خلال مسارها التاريخي ـ بشكل عام ـ على النحو التالي:

١ـ إجازة رواية (في العصور الأولى وعند المتأخرين): ينالها من توفرت فيه شروط الراوي؛ سواء بلغ درجة الاجتهاد كالعلماء، أو لم يبلغها كرواة الحديث.

٢ـ إجازة رواية ودراية (عند المتأخرين ومتأخريهم عندما أخذوا يشيرون إلى مكانة المجاز علميًّا): ينالها من توفرت فيه شروط الراوي، وبلغ درجة الاجتهاد، كإجازات المحدثين من العلماء المجتهدين[1].

٣ـ إجازة رواية (بعد انتشار كتب الحديث في العصور الحديثة): فمن جوز منهم بالوجادة؛ فالمجيز يجيز المجاز تبركاً وتيمناً من دون اشتراط توفر شروط الراوي فيه، بلغ أو لم يبلغ درجة الاجتهاد. وأما

(١) والإجازات التي حصل عليها الشيخ أحمد الأحسائي من العلماء كانت من هذا النوع، كما سيأتي في نهاية تحقيقنا في هذا المطلب.

من لم يجوز منهم العمل بالوجادة؛ فما زال يشترط توفر شروط الرواي في المجاز، كما كان الأمر عند القدماء والمتأخرين ومتأخريهم[١].

٤ـ إجازة دراية (كالحاصل حديثاً في الكثير من مفهوم إجازة الاجتهاد): ينالها من بلغ درجة الاجتهاد فقهاً وأصولاً، وقد لا تتوفر فيه شروط الراوي.

فإذا تأملت جيداً أنواع الإجازات؛ فسوف تدرك أن بين الإجازتين ـ إجازة الرواية والدراية ـ:

(عموم من وجه، متعلقاً وموروداً، قد يفترقان، فتكون هناك إجازة دراية ولا رواية، فيما إذا كان المستجيز ذا ملكة واجتهاد، ولم يكن مرضيًّا، ولا ثقة لدى المجيز.

وتكون إجازة رواية ولا دراية، فيما إذا كان المستجيز طرف الاطمئنان والوثوق، ولم يبلغ درجة الاجتهاد، ويجتمعان فيما إذا حوى المستجيز كلتا الرتبين والدرجتين الرفيعتين.

فكل مُجيز بالدراية[٢] إن كان المستجيز موثوقاً ومرضيًّا عنه لديه لا بد أن يصرح فيها بإجازة الرواية أيضاً؛ بل يجعل الدراية مقدمة ووسيلة

---

(١) وهي موجودة ومعتبرة عند البعض من العلماء حتى يومنا هذا.

(٢) من الذين لم يجوزوا العمل بالوجادة.

إلى ذلك، ويقول حيث: إن فلاناً بلغ كذا وكذا من العلم والفضل أجزته أن يروي عني مسموعاتي ومقروآتي، وهكذا.

فلو كانت الإجازة فاقدة وخالية عن إجازة الرواية سقطت عن درجة التشرف والافتخار، بل وعن الاعتبار، بل لا تعد عندهم إجازة أصلاً)[١].

والآن.. تعال معي لنلقي نظرة على بعض المقتطفات من الإجازات التي نالها الشيخ أحمد الأحسائي من بعض العلماء؛ وعليك أن تتفحص جيداً هذه الإجازات وتخبرني عن نوعها لاحقاً.

قال الميرزا محمد مهدي الشهرستاني[٢] ـ في إجازته له ـ:

(... حيث إنَّ الشيخ الجليل والعمدة النبيل، والمهذب الأصيل العالم الفاضل، والباذل الكامل المؤيد المسدد الشيخ أحمد الأحسائي ـ أطال الله بقاه، وأقام في معارج العز وأدام ارتقاه ـ، ممن رتع في حياض العلوم الدينية، وكرع من حياض زلال سلسبيل الأخبار النبوية، وقد استجازني فيما صحت لي روايته وثبتت لدي درايته، من معقول ومنقول وفروع وأصول، حسبما جرى عليه السلف والخلف من

(١) منظرة الدقائق ـ الميرزا حسن الحائري الإحقاقي: ص٤٤ـ ٤٥.

(٢) مرت ترجمته سابقاً.

علمائنا الأبرار، من الشرف والانتظام في سلك الرواة عن الأئمة الأطهار... ولما كان ـ دام عزه وعلاه ـ أهلاً لذلك، فسارعت إلى إجابته، وإنجاح طلبته، لما كان إسعاف مأموله فرضاً لفضله وجودة فطنته، فأقول: إني قد أجزت له أدام الله علاه أن يروي عني ...)[١].

وقال السيد مهدي الطباطبائي[٢] ـ في إجازته له ـ:

(... وكان ممن أخذ بالحظ الوافر الأسنى، وفاز بالنصيب المتكاثر الأهنى، زبدة العلماء العاملين، ونخبة العرفاء الكاملين، الأخ الأسعد الأمجد، الشيخ أحمد ابن الشيخ زين الدين الأحسائي ـ زيد فضله ومجده، وعلا في طلب العلا جده ـ. وقد التمس منّي أيده الله تعالى الإجازة في رواية الأخبار، الواردة عن الأئمة الأطهار ـ عليهم سلام الله أناء الليل والنهار ـ عنّي وعن مشائخي الأعاظم الأجلة، ووسائطي إلى رؤساء المذهب والملة. فسارعت إلى إجابته، وقابلت التماسه بإنجاح طلبته، لما ظهر لي من ورعه وتقواه، وفضله ونبله وعلاه، فأجزت له وفقه الله لسعادة الدارين وحباه بكل ما تقر به العين، رواية الكتب...)[٣].

---

(١) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي ـ شرح وتعليق/ الدكتور. حسين علي محفوظ: ص١٩.

(٢) مرت ترجمته سابقاً.

(٣) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي ـ شرح وتعليق/ الدكتور. حسين علي محفوظ: ص٢٩.

وقال الشيخ أحمد البحراني الدمستاني[١] ـ في إجازته له ـ:

(الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين، أما بعد: فقد استجازني الولد الأعز، الأمجد الأسعد، الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي المطيرفي ـ وفقه الله لبلوغ الغاية في الرواية والدراية ـ كما جرت به عادة السلف والخلف.

فاستخرت الله تعالى وأجزت له أن يروي عني جميع ما صنفه علماؤنا ـ قدس الله أرواحهم ـ في العلوم العربية، والأدبية، واللغوية، والأصولية، والفقهية والأخبارية..

فليرو عني ما صحت لي روايته، وثبت عندي درايته، إلى من شاء واحب وأراد؛ مشترطاً عليه ما اشترط علي مشايخي من الاحتياط في الرواية، والعلم والعمل...)[٢].

وقال السيد علي الطباطبائي[٣] ـ في إجازته له ـ:

(... إنّ من أغلاط الزمان، وحسنات الدهر الخوّان، اجتماعي بالأخ الروحاني والخل الصمداني، العالم العامل والفاضل الكامل،

---

(١) مرت ترجمته سابقاً.

(٢) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي ـ شرح وتعليق/ الدكتور. حسين علي محفوظ: ص١٣ـ١٦.

(٣) مرت ترجمته سابقاً.

ذي الفهم الصائب والذهن الثاقب، الراقي أعلى درجات الورع والتقوى والعلم واليقين، مولانا الشيخ أحمد ابن الشيخ زين الدين الأحسائي ـ دام ظله العالي ـ.

فسألني بل أمرني أن أجيز له ما صحت لدي إجازته، واتضح لي روايته، من مصنفات علمائنا الأبرار.. فأجزت له رواية جميع ذلك، وأن يروي عني..)[١].

حسناً.. ماذا تقول ـ عزيزي القارئ ـ عن الإجازات التي حصل عليها الشيخ أحمد الأحسائي؟

هل هي مجرد إجازات رواية فقط بالمعنى الحديث؛ أي: إنه قد نالها تيمناً وتبركاً من أولئك العلماء؟

أم إنها إجازات رواية ودراية بالمعنى المعروف عند القدماء من المتأخرين ومتأخريهم؟

فإن قلت بالأمر الأول: فلا مفر من القول بأن جميع إجازات العلماء السابقين كانت إجازات رواية فقط ـ بالمعنى المعروف حديثاً ـ[٢].

---

(١) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي ـ شرح وتعليق/ الدكتور. حسين علي محفوظ: ص٢٣.

(٢) أقصد بذلك جميع العلماء العظام ومراجع الشيعة قبل زمن الشيخ أحمد الأحسائي، وفي زمانه، ممن تحتل إجازة الرواية مكانة كبيرة لديهم، وممن جاء بعده ممن لم يجوز العمل بالوجادة.

ثم تحتاج إلى نقطة أخرى، وهي توجيه الألفاظ التي دلت على علو مكانته، وغزارة علمه، وصلاحه وتقواه؛ فلا يفهم من مثل هذه الألفاظ في إجازات السابقين له إلا شهادتهم له بالدراية؛ أي: بالاجتهاد.

وإن قلت بالأمر الثاني: فيظهر لك أن الإشكال الوارد على إجازات الشيخ أحمد الأحسائي، قد تم بناؤه على مفردة الجهل التاريخي بمفهوم الإجازات الدينية، وعدم إدراك الفرق الجوهري والأهمية الخاصة بين إجازة الرواية وإجازة الدراية.

فإن كل مدرك لهذه الأمور يقطع يقيناً أن إجازاته لم تكن إجازات رواية ـ تيمناً وتبركاً ـ كما نفهمه اليوم من المتداول والشائع منها؛ بل هي إجازات رواية ودراية؛ توفرت فيه شروط الرواي في الراوية؛ والمكانة العلمية في الدراية.

ولذا يقول السيد محمد مهدي الإصفهاني: (كان الشيخ أحمد في مبادئ أمره داخلاً في دائرة أهل الاجتهاد، وسالكاً مسالك أساتيذه الأمجاد في الورع والسداد، بحيث أجازه السيد محمد مهدي العلامة الطباطبائي...)[1].

(١) أحسن الوديعة ـ السيد محمد مهدي الإصفهاني: ص٣٠٦.

وأخيراً..

ما رأيك ـ عزيزي القارئ ـ بهذا المدعى بشكل عام؟

حتماً.. إن البناء الذي ارتكز عليه سبب هذا المدعى واهن، وغير صحيح في حق الشيخ أحمد الأحسائي؛ سواء كان في أساسه وهو الشك في ذات شخصيته، أم فيما ارتبط به من أمور كإجازاته.

فدعنا ننتقل إلى المدعى الثاني؛ فلربما ارتكز على سبب حقيقي فيما جاء فيه.

المدعى الثاني:

الأفكار والمعتقدات والآراء الفاسدة في منهج الشيخ أحمد الأحسائي

البعض الآخر من الذين كفروا واقصوا وهمشوا شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي من منظومة الفكر الإسلامي ؛ ارتكزوا على سبب آخر في مدعاهم، وهو وجود الأفكار والمعتقدات والآراء الفاسدة في منهجه، ومنها ما خالفت الضرورة[1] ؛ كإنكار المعاد الجسماني، والمعراج الجسماني، والغلو في أهل البيت عليهم السلام ..![2]

فهل هذا المدعى صحيح؟

وهل حقًّا يوجد هناك أفكار ومعتقدات وآراء فاسدة في منهجه استحق لأجلها قيامهم بذلك عليه ـ وعلى جملة من تلامذته وأتباعه ـ؟

من المؤكد.. إنَّ هذا المدعى ليس كالأول واضح الطبيعة، ومليء بالأدلة الدامغة على عدم صحته.

---

(١) يبين الشيخ آغا بزرك الطهراني موقف العلماء والمؤلفين من الشيخ أحمد الأحسائي وتلامذته وأتباعه، فيقول: (اختلفت آراء العلماء والمؤلفين في المترجم، بعد أن اتفقت على فساد جملة من تلامذته وتبعته ؛ لإنكارهم بعض الضروريات، ولسنا الآن بصدد المناقشة، بعد أن تقابل الفريقان في الردود ؛ فوضح الحق، وذهب الباطل جفاءً، ولم يبق ما يجب علينا الإشار إليه، والتنبيه عليه). [طبقات أعلام الشيعة ـ الشيخ آغا بزرك الطهراني: ج١٠ ص٨٩].

(٢) انظر/ هدية النملة إلى مجدد الملة ـ محمد رضا الهمداني: ص٣٣. بوار الغالين ـ محمد مهدي القزويني: ص٦٦.

وعلى ذلك.. من اللازم ألا نتسرع في إصدار الحكم عليه لاحتياجه إلى الكثير من الروية والتفكير.

فهل تعلم ـ عزيزي القارئ ـ..

إنَّ هذا المدعى هو الأكثر شيوعاً واستخداماً على مر الزمن ؛ بل هو أول مدعى تم استخدامه من قِبل البعض ضد الشيخ أحمد الأحسائي[١].

فكيف سنتعامل معه إذاً؟

بالطبع لا نريد تكرار أسلوب طريقة التقصي والتحقيق التي فعلها الكثير من الذين أرادوا الكشف عن حقيقة شخصية الشيخ أحمد الأحسائي، أو قاموا بالدفاع عنه وبيان حقيقة منهجه ؛ وهي وضع الأفكار والمعتقدات والآراء في المسائل التي تم انتقاده فيها تحت مجهر التحليل الدقيق، ومن ثم مشاهدتها بعدسة الموافقة أو المخالفة لمباني الشرع الأصيل.

---

(١) هل تعلم: إنَّ هذا المدعى هو أول مدعى استخدم ضد الشيخ أحمد الأحسائي، فحينما كُفر من قبل البعض في أواخر حياته لم يستطع معارضوه استخدام الشك في ذات شخصيته بمدعاهم ؛ لأنه كان مرجعاً لطائفة كبيرة من العرب والعجم، ومحاطاً ومؤيداً بجملة كبيرة من العلماء الأعلام الذين كانوا على ثقة من ذلك، وكذلك لم يستطيعوا استخدام المدعى الثالث، وهو فساد تلامذته وأتباعه ؛ لأنه حينما كُفر كان حيًّا، ولم تَؤُلِ الزعامة إليهم بعد.

فهناك عدد لا بأس به ممن فعلوا ذلك سابقاً[١]، وتكرار الأسلوب نفسه لن يضيف الشيء الجديد في الأمر كما أعتقد؛ لأن معظمهم قد وفق في البسط والتعمق إلى حد كبير جداً في تحقيقاته؛ فأظهر حقيقة شخصيته، وحقيقة مراداته في كلمات منهجه بما لا مزيد عليه بعدهم.

فماذا سنفعل إذاً؟

سنبدأ بالتعامل مع هذا المدعى بشكل أقرب من خلال طريقة أخرى، وهي على النحو التالي:

سنفترض صحة هذا المدعى أولاً؛ لنعطي الذهن مزيداً من المساحة في الأمر، ثم سنطرح بعض الأسئلة حول هذا الافتراض.. ومن خلال التفكير العميق والموسع في إجاباتها سينفتح لنا الأفق الواسع الذي سيمكننا من الكشف عن مدى صحة هذا المدعى من عدمه.

فتعال معي لنتعرف على تلك الأسئلة، ثم نفكر في إجاباتها سوياً.

لقد أعددت لك ثلاثة منها، وهي:

---

(١) مثلاً: كتاب "إحقاق الحق" للميرزا موسى الحائري الإسكوئي (أشرنا إليه سابقاً)، كتاب "عقيدة الشيعة" للميرزا علي الحائري الإحقاقي، كتاب "منظرة الدقائق وتبيان الحقائق، وحل مشكلات الزيارة" للميرزا حسن الحائري الإحقاقي، كتاب "الرد على الرادين على الشيخ أحمد الأحسائي قدس سره" لمحمود الخوئي التبريزي (نظام العلماء)، كتاب "دليل المتحيرين، والحجة البالغة، وكشف الحق" للسيد كاظم الرشتي، كتاب "علم المحجة" للميرزا محمد حسين المامقاني، كتاب "كشف الغطاء عن الحق بالتحقيق" للسيد هاشم السلمان الأحسائي، كتاب "نزهة الأفكار" للميرزا غلام حسين معتمد الإسلام التبريزي، وغيرها.

السؤال الأول: كم عدد الأفكار والمعتقدات والآراء الفاسدة في منهج الشيخ أحمد الأحسائي؟

لو فرضنا صحة هذا المدعى.. فكم عدد الأفكار والمعتقدات والآراء الفاسدة التي ادَّعى أصحاب هذا المدعى وجودها في منهج الشيخ أحمد الأحسائي؟[1]

تتوقع ـ عزيزي القارئ ـ كم سيكون عددها؟

الشيء الغريب.. إنَّ عدد ما قدموه ـ في الماضي والحاضر ـ لم يتجاوز أصابع اليد!

فقد وجدوا عليه أربعة مآخذ ـ فقط ـ ارتبطت بأربع مسائل حكمية، وهي:

١ـ مسألة العلم: قالوا: إن الشيخ أحمد الأحسائي يقول: إن لله ﷻ علمين: علم قديم وعلم حادث[2].

---

(١) جاء في جواب السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي حينما سُئِلَ: من هم الشيخية الذين في الأحساء (الحجاز)؟ وهل يجوز الصلاة خلفهم؟ ولماذا؟

فأجاب: لايجوز ذلك، فإن عندهم عقائد وأقوالاً غير صالحة. [منية السائل ـ السيد الخوئي: ب/ في المسائل العقائدية، ص٢٢٥].

(٢) انظر: "الرسالة العلمية" للشيخ علي نقي ابن الشيخ أحمد الأحسائي، كتبها في بيان وجه الإعتراض على والده في هذه المسألة، وحقيقة مراده من العلم القديم والعلم الحادث.

٢ـ مسألة العلل الأربع: قالوا: إنه يقول: إن النبي محمداً ﷺ وأهل بيته عليهم السلام هم العلة المادية، والعلة الصورية، والعلة الفاعلية، والعلة الغائية؛ وهذا يعتبر من المغالاة فيهم[١].

٣ـ مسألة المعراج: قالوا: إنه يقول: إن النبي محمداً ﷺ عرج بروحه، لا بجسده الشريف وثيابه ونعله[٢].

٤ـ مسألة المعاد: قالوا: إنه ينكر المعاد الجسماني، ويقول بالمعاد الروحاني فقط[٣].

---

(١) انظر/ كتاب (الشيعة والغلو) لحسين الخشن.. استخدم الكاتب في كتابه أسلوب التعميم المبطن بالنقد الخاص، فللوهلة الأولى تشعر بأنه كان يتناول مسألة الغلو عند الشيعة بشكل عام، غير أنه كان ينتقد الشيخية في أفكارهم في المسائل التي تتعلق أو ترتبط بمسألة العلل الأربع، كالتفويض، والولاية التكوينية.. وهذا ما حدا به لوضع ملحق خاص في نهاية كتابه تحدث فيه عن الشيخية بصورة مختصرة، ليشير إلى نسبة كل ما جاء فيه إليهم.

(٢) انظر: كتاب "إحقاق الحق" للميرزا موسى الإحقاقي الإسكوئي (ص١٣٩)، فقد بين وجه الإعتراض، وفصل في مراد الشيخ أحمد الأحسائي في هذه المسألة.

(٣) يقول السيد حسين الشاهرودي في جواب سؤال وجه إليه: ما رأيك بالشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره؟: (هو من أعاظم علماء الشيعة، وله مؤلفات كثيرة، ولكن كان له بعض الانحرافات العقائدية، منها إنكار المعاد الجسماني بالجسم العنصري، والقول بأن المعاد يكون بالجسم المثالي؛ كعالم البرزخ، وعبَّر عنه بالجسم الهورقليائي، كما يظهر من كلامه في شرح الزيارة الجامعة حينما يتعرض لتفسير "أرواحكم في الأرواح، وأجسادكم في الأجساد، وأنفسكم في النفوس"، والطوائف الشيخية ينتسبون إليه، ولكن أكثر انحرافات الشيخية نشأت من أفكار تلميذه السيد كاظم الرشتي). [فتاوى في الشيخية ـ السيد مهدي الموسوي: ص٨٢ـ٨٣ (نقلاً من استضافة السيد حسين الشاهرودي في منتديات يا حسين الإلكترونية، بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٣م)]. ولنا تحقيق علمي في رد ذلك عن الشيخ أحمد الأحسائي بعنوان "المعاد الجسماني عند الشيخ الأوحد الأحسائي"؛ أثبتنا فيه قوله بالمعاد الروحاني والجسماني.

وحتى أُؤكِّد لك أن أصحاب هذا المدعى ليس لديهم معارضة للشيخ أحمد الأحسائي إلا في تلك المسائل الأربع فقط، سوف أنقل لك بعض الأحداث التاريخية التي تضمنت بعض المواقف، أو استدعت الحاجة فيها القيام ببعض الأمور التي تكشف عن ذلك.. ومن فترات زمنية مختلفة؛ لتتبين من الأمر، وتقف على صحته.

الحدث الأول: تكفير الشيخ أحمد الأحسائي

قبل أن تشتعل نار تكفير الشيخ أحمد الأحسائي كان خصومه في أهبة من التربص للإطاحة به ؛ ولكن لم تكن لديهم الجراءة الكافية لفعل ذلك، بسبب مكانته الرفيعة بين العلماء والعوام، وعند السلاطين أيضاً، فاستغلوا الموقف الذي حصل بينه وبين الشيخ محمد تقي البرغاني[1] لإشعال فتيل محاربته!

والموقف باختصار:

لما كان الشيخ أحمد الأحسائي متوجهاً لزيارة العتبات المقدسة في إيران مر على بلدة قزوين، فاعتقد الشيخ محمد تقي البرغاني الذي كان يحتل منصب الزعامة الأعلى وكرسي الرئاسة الدينية فيها آنذاك أنه سينزل في داره من دون دعوة.

إلا أن الشيخ أحمد الأحسائي أجاب دعوة تلميذه الأقل منصباً من البرغاني في قزوين، وهو الشيخ عبدالوهاب القزويني[2]، فنزل في داره لما دعاه واستقبله قبل وصوله[3].

---

(١) قتلته البابية بقزوين في سنة (١٢٦٣هـ)، ولقب بالشهيد الثالث. [أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين: ج٩ ص١٩٧].

(٢) هو الشيخ عبدالوهاب بن محمد علي القزويني، من تلامذة الشيخ والمجازين منه، تُوفّي عام (١٢٦٠هـ).

(٣) الشيخية ـ الطالقاني: ص٩٧.

ولما توافد العلماء والأعيان والعوام على دار القزويني لزيارة الشيخ أحمد الأحسائي كان في مقدمتهم البرغاني الذي قال للشيخ أحمد الأحسائي معاتباً: "إني أعلم العلماء هنا، وكان من اللازم عليك أن تنزل في داري بدون الحاجة إلى دعوة".

فأجاب الشيخ أحمد الأحسائي: "إن دعوة المؤمن محترمة شرعاً وإن لم يكن أعلم، وأنا تابع للشرع لا للأعلمية"![1].

فحقد البرغاني[2] على الشيخ أحمد الأحسائي من هذا الموقف؛ إذ اعتبر ذلك حطًّا من قدر منزلته ومكانته.. وهكذا بدأ يتحين الفرصة للإطاحة به.

وكالعادة حينما يحل الشيخ أحمد الأحسائي في أيَّة مدينة من المدن أثناء سفراته يتم تقديمه للصلاة في جوامعها، ويفتح المجال لأهلها؛ فيستمع إلى قضاياهم، ويجيب عن تساؤلاتهم، ويشرع كذلك في طرح المحاضرات والدروس لعلمائها وعوامها.

---

(١) شيخيكري بابيكري - مرتضى جهار دهي: ص٢٣.

(٢) قد يتساءل البعض: لماذا يحقد البرغاني على الشيخ أحمد الأحسائي من موقف كهذا؟ فما الضير إذا لم ينزل في داره! الجواب: لقد كان للشيخ أحمد الأحسائي مكانة علمية واجتماعية، وكذلك مكانة مرموقة في البلاط القاجاري، ونزوله في دار البرغاني سيزيد من رصيد شهرة البرغاني ومكانته، وسيسلط المزيد من الأضواء على شخصيته.. فالأمر كما يحدث اليوم فيما لو نزلت شخصية هامة في منزل أحد الناس، فسوف يكون هناك نصيب كبير من أضواء الأعلام المسلطة على صاحب المنزل.

وبينما كان هو في ذلك، استرسل في طرح أفكاره ومعتقداته في قزوين بصورة طلقه من دون أية قيود أو احترازات، تناول فيها هذه المسائل الأربع: مسألة العلم، مسألة العلل، مسألة المعراج، ومسألة المعاد.

فاغتنم البرغاني الفرصة للانتقام منه، وقام بإضافة وتحريف بعض معاني كلماته ونشرها بين العوام، مدعياً فيها أن للشيخ أحمد الأحسائي آراء مخالفة للضروريات الشرعية؛ كإنكار المعاد الجسماني.. فكفر البرغاني الشيخ أحمد الأحسائي!

وازداد الأمر سوءاً حينما بادل الشيخ أحمد الأحسائي زيارة البرغاني له فنزل في داره ضيفاً مع عدد من العلماء.. ومع تلك الجموع وبين أطراف الحديث سأله البرغاني عن رأيه في المعاد، وهل هو موافق لرأي الملا صدرا الشيرازي؟

فأجاب الشيخ أحمد الأحسائي: "رأيي مخالف له"[1].

وأوضح له رأيه في ذلك المجلس، وكيف أن المعاد يكون بالجسد الثاني الذي نزل من هورقليا، وهو غائب في الجسد الأول المكون من المواد العنصرية السفلية الذي لحق بذلك الجسد لما نزل إلى الدنيا.

---

(١) انظر/ الشيخية ـ الطالقاني: ص٩٦ـ١٠٠.

وأكد مراراً على أن المعاد هو هذا الجسد المرئي الملموس في الدنيا، غير أنه يكسر ويصاغ صيغة لا تحتمل معها الفساد[١].

إلا أن البرغاني استخدم حيلة تشابه المصطلح الذي استعمله كلاهما ـ الملا صدرا الشيرازي والشيخ أحمد الأحسائي ـ في مسألة المعاد "مصطلح هورقليا"؛ لإقناع الحاضرين بأن لهما الرأي نفسه، فقال له: "الجسد الهورقليائي غير الجسد العنصري الذي يعاد في يوم القيامة"[٢].

---

(١) من أوضح كلمات الشيخ أحمد الأحسائي في ذلك قوله: (هذا الإنسان له جسدان وجسمان: فالجسد الأول: من العناصر المحسوسة، ونريد به هذه الصورة والتركيب في الدنيا؛ لأنه إذا مات وكان تراباً ذهبت هذه الصورة، فإذا أعيد على هذه الصورة بعينها ليست هي الأولى، مثل ما مثلنا لك في الخاتم، ومثل ما مثل الإمام عليه السلام باللبنة، وهذه الصورة هي الجسد الأول الذي لا يعود وهو مخلوق من العناصر المحسوسة وهو الكثافة. والجسد الثاني: هو الباقي وهو الذي يعود وهو مخلوق من عناصر هُورقليا، أعني العالم الذي قبل هذا العالم؛ معناه: ملك آخر، وهذا اسم لتلك الأفلاك، وفي أرضها بلدان جابرسا وجابلقا. والجسم الأول: هو الذي يلبسه الروح في البرزخ ما بين الموت إلى نفخة الصور الأولى، فإذا نفخ في الصور وبطل كل روح وكل متحرك أربع مائة سنة طهر ذلك الجسم عن أوساخ البرزخ وكثافته بالنسبة إلى عالم الآخرة، وهذه الكثافات هي مرادنا من الجسم الأول الذي لا يعود. ويبقى الجسم الثاني الجوهري الصافي حتى تحله الروح وتمضي معه إلى الجسد الثاني بين أطباق الثرى فتدخل بجسمها فيه فيخرج في النشور من القبور والحساب بجسمه وجسده الصافيين، وهما هذا الجسم والجسد الموجود في الدنيا؛ وإنما يطهر، لعن الله من قال بغير هذا). [رسالة في جواب بعض الأخوان في المعاد الجسماني "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ص٤٧٥].

(٢) استخدام الفلاسفة والحكماء وغيرهم لمصطلح هورقليا في مسألة المعاد وغيرها لا يعني ذلك بأن لهم الرأي نفسه، فهناك فرق كبير بين رأي الملا صدر الشيرازي في المعاد ورأي الشيخ أحمد الأحسائي وإن استخدم كلاهما هذا المصطلح في المسألة نفسها.. ولمعرفة مراد الشيخ أحمد الأحسائي لمصطلح هورقليا، انظر كتابنا (عالم هورقليا عند الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي)، فقد بحثنا هذا الأمر بصورة وافية.

فأجابه الشيخ أحمد الأحسائي ـ بناء على ما يقصده من معنى هورقليا في رأيه ـ: "وهذا هو عين مرادي".

فاشتد النزاع في ذلك المجلس، وانتهى بمخاصمة القوم للشيخ أحمد الأحسائي.

ولما انفض اختلف موقفهم معه؛ فبعدما كان محاطاً بالجموع ومقدماً للإمامة في الصلاة انقسم طلابه، ولم يذهب معه في تلك الليلة إلى المسجد إلا بعضهم كتلميذه الشيخ عبدالوهاب القزويني.

فحاول حاكم قزوين الشاه زادة ركن الدولة علي نقي التدخل وإيجاد حل حاسم للموقف، فأقام مأدبة جمع عليها الشيخ أحمد الأحسائي والشيخ تقي البرغاني مرة أخرى؛ إلا أن محاولته لم تثمر في تصفية الأمور ورد الأوضاع إلى نصابها؛ إذ إنَّ البرغاني ما زال مصرًّا على تكفير الشيخ أحمد الأحسائي[1].

وهكذا اشتعلت النار التي كان ينتظرها خصومه!

فما أن كفره البرغاني إلا وثارت الزوبعة حوله وانتشر خبر تكفيره في الأقطار.. فوصل الخبر للذين يتحينون هذه الفرصة عليه منذ مدة طويلة في العراق.

---

(١) قصص العلماء ـ التنكابني: ص٢٥ـ٢٦.

فماذا فعل خصومه في العراق بعدما وصل لهم خبر تكفير البرغاني للشيخ أحمد الأحسائي؟

هل حاولوا إخماد النار حتى لا تشيع الفتنة بين المسلمين، أم أعدوا العدة لإكمال ما حدث له في إيران؟!

بعد مدة يسيرة من عودة الشيخ أحمد الأحسائي إلى كربلاء أخذ خصومه بعض العبارات المحذوفة الأول والآخر من كتبه - ذات الكلمات الحكمية التي لا يفهمها إلا أهل الفن - إلى السيد مهدي علي الطباطبائي[١] لينظر فيها ويصدر الفتوى بكفره.

وفي بداية الأمر..

توقف السيد مهدي الطباطبائي عن تقديم أية رد فعل تجاه الشيخ أحمد الأحسائي لما له من مكانة كبيرة عند والده، ولعجزه عن فهم كلمات منهج مدرسته؛ ولكن بعد تمويههم وإصرارهم عليه قال: "إن الأمر اشتبه عليّ".

فاظهر الإعراض عن تلك العبارات، وتفوه بكلمات غير مناسبة في حق الشيخ أحمد الأحسائي، كما يقول السيد كاظم الرشتي[٢].

---

(١) السيد مهدي ابن السيد علي الطباطبائي (صاحب الرياض).

(٢) دليل المتحيرين - السيد كاظم الرشتي: ص٣٣.

فكان كلامه كافياً لهم لإضافة بعض الزيادة عليه، ونشره بين العوام، مصرين ومصرحين فيه أن الشيخ أحمد الأحسائي قد كفر!

وإذا سُئِلوا عن السبب قالوا: "إن السيد مهدي الطباطبائي هو من يقول بذلك".

وإذا سُئِلَ السيد مهدي يقول: "أنا لم أقل ذلك".

وهكذا تشوش الأمر على الآخرين، واستغل خصومه الوضع للاسترسال في توجيه التهم والافتراءات إليه، والعمل بكافة السبل على تأليب الناس، وزرع الكره والحقد عليه في نفوسهم.

فكان مما فعلوه:

اجتمعوا مرة لكتابة صحيفة في تكفيره لصد الناس عنه، ولكن ذلك لم يحصل بسبب الزلزلة التي وقعت في كربلاء؛ ففرقتهم وأثنتهم عن فعل ذلك.

وقام أحدهم بفعل جعل السيد كاظم الرشتي يدعو عليه، حيث كتب هذا الرجل كتاباً جمع فيه العقائد الفاسدة للمذاهب الباطلة؛ كالملاحدة والصوفية والغلاة وغيرهم، ثم نسبها إلى الشيخ أحمد الأحسائي، وكان في عصر كل يوم يجتمع الناس من حوله في مجلسه،

فيقرأ عليهم ما في كتابه، ويقول لهم: إنَّ هذه العقائد الفاسدة هي عقائد الشيخ أحمد الأحسائي، فيصيح الناس بلعنه وبالبراءة منه![١]

ولكن.. ما هي أهم المؤاخذات التي نسبها إليه خصومه في كربلاء، وتم تناقلها على ألسنة أهلها؟

كانت في نفس تلك المسائل الأربع! (العلم، العلل، المعراج، والمعاد)[٢].

ولم يقف الشيخ أحمد الأحسائي متفرجاً يشاهد ما يدور حوله من دون أن يفعل شيئاً؛ فقد حاول جاهداً نفي مؤاخذات خصومه وما ينسبونه إليه، فبين آراءه ـ خصوصاً في تلك المسائل الأربع التي كفر بسببها ـ، وفسر مصطلحاته الحكمية الخاصة بمنهجه التي لم يفهمها الكثير منهم، وأفصح علناً عن معتقداته، ودعاهم مراراً للاجتماع معه والسماع منه؛ ولكن لا شيء من ذلك منعهم عن الاستمرار للوصول إلى الغاية الدفينة في نفوسهم، ألا وهي الإطاحة به[٣].

---

(١) لم يذكر السيد كاظم الرشتي اسم هذا الرجل في كتابه دليل المتحيرين حينما قام بذكر ما جرى على أستاذه من المآسي في كربلاء، ولكنه دعا عليه في قوله: (حتى أن شخصاً لا برد الله مضجعه ولا رزقه جنته). [دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٣٤].

(٢) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٣٥.

(٣) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٣٥ـ٣٧.

فلا بياناته الشفهية، ولا كتاباته الخطية، ولا دعواته المتكررة للمثول أمامه؛ لقت لها آذاناً صاغية، أو نفساً لم تتلوث فطرتها عن لمس الحقائق فتنظر في موقفه بنظرة الإنصاف[1].

(١) هناك رسالة كتبها الشيخ أحمد الأحسائي إلى تلميذه الشيخ عبدالوهاب القزويني بعد عودته ـ من إيران ـ إلى العراق (كربلاء)، يبين فيها ما يجري عليه في كربلاء بعد تكفير البرغاني له، أود نقل بعض الأجزاء منها: (بسم الله الرحمن الرحيم: إلى جناب عالي الجناب، ولب الألباب، الداخل في الخيرات من كل باب، أهدي جميل التحية والسلام، أصلح الله أحواله وبلغه آماله في مبدئه ومآله بحرمة محمد وآله، أمين رب العالمين. أما بعد، فإن سألتم عن محبكم وداعيكم فأنا أحمد الله إليكم، أما أنا من جهة نفسي ظاهري وباطني في راحة، وأما الناس من جهتي فقد اختلفوا، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، ولو شاء الله ما اختلفوا، ولكن الله يفعل ما يريد. جاء الورع الزاهد الشيخ متقي...؟ وأراد أن يطعن على جنابك، فلم يجد غير أنه نظر في بعض كتبي في قولي: "إن للإنسان جسدين: الأول: يعاد يوم القيامة وهو الجسد الأصلي، والثاني: أعني العارضي الذي ليس للإنسان، وإنما هو عرض لحق المكلف من الأكل والشرب، وليس من حقيقته، وإنما هو في نفس الأمر جسد تعلمي أو بمحكمه، وإن قلت: إنه من العناصر فإن كل ما تحت فلك القمر من العناصر الجواهر والأعراض". ونفخ الشيطان في قلبه، فقال: إنه كفر، وهذا كافر، والمولى عبدالوهاب صلى خلف الكافر، ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾، ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيم﴾، خوفاً على دارهم العجم والهند، حتى قالوا: إنك تقول: إن الذي خلق السماوات والأرض علي بن أبي طالب ﷺ، وحكموا بنجاسة الأرض التي أطؤها، وبنجاسة حضرة الحسين ﷺ؛ لأني أدخل عليه للزيارة، والأمر أعظم مما تسمع، وبذلوا الأموال على ذلك القريب والبعيد تشييداً لتكفيري ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾...

ولكن متى كنت كافراً جاهلاً بالميعاد، وأنا أدعي أنه ما أحد ـ كذا ـ عرف مثلي، وقد وقف علماء العرب والعجم كلهم عليها، فما طعن فيها إلا جاهل بمعنى قولي، أو معاند منكر للحق، وقد قال أمير المؤمنين ﷺ: «إذا قال أحدكم لأخيه يا كافر كفر أحدهما»، لكن يا شيخ حسبي الله وكفى به شهيداً، إن الله يقول في كتابه الحق: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد﴾، والحاصل: أنا أقول حسبي الله وكفى، ليس وراء الله منتهى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وسلام على من يعزّ عليك، وخصّ نفسك بالسلام). لشيخيكري بابيكري ـ مرتضى جهار دهي: ص٢٨].

وهكذا استمر بهم الحال في تكفيره ومحاربته حتى تم الوشاية به[١] عند والي بغداد داود باشا[٢].

فلما وصل الخبر إلى الشيخ أحمد الأحسائي باع كل ما يملكه في كربلاء، وتوجه قاصداً بيت الله الحرام[٣]؛ لئلا يبطش به كما فعل بخال الشيخ موسى ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء[٤] الذي قتله من دون بيّنة ولا شهود على تهمة نسبت إليه زوراً، وكان ممن يحضئ بالاحترام عنده، وفي بلاطه.

(١) أخذوا بعض الأجزاء من كتابه "شرح الزيارة الجامعة" التي ذكر فيها حكاية حسن بن هاني حيص بيص ديك الجن مع المتوكل، ومن المعلوم أن هذه الحكاية تشتمل مطاعن على الخلفاء.

(٢) من حكام المماليك الذين حكموا العراق لخمس عشرة سنة. [انظر/ داود باشا والي بغداد ـ عبدالعزيز نوار. تاريخ المماليك في العراق ـ سليمان فائق].

(٣) تُوفّي في منطقة تسمى (هدية) بين المدينة ومكة، ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة ودفن في البقيع خلف الحائط الذي فيه أئمة البقيع عليهم السلام، وكان ذلك في يوم الأحد (٢٢) من ذي القعدة عام (١٢٤١هـ). [الدين بين السائل والمجيب ـ الميرزا حسن الإحقاقي: ج١ ص١١٠].

(٤) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٤٣.

الحدث الثاني: الخصوم والسيد كاظم الرشتي

لما توفي الشيخ أحمد الأحسائي هدأت نار خصومه ومعارضيه برهة من الزمن تقارب السنتين تقريباً ؛ اعتقاداً منهم أن أفكاره وعقائده قد طمست معه بدفنه.

إلا أن تلميذه السيد كاظم الرشتي بدأ يُدرس أفكار أستاذه، ويبين عقائده فيها، ويشرحها بفؤاد توسم بالقوة والحماس ؛ فتوجهت أنظار الخصوم نحوه، وبعثوا إليه يأمرونه بترك ما يفعله من جهد في نشر أفكار ومعتقدات أستاذه.

فأبى وأصر على موقفه، وأجابهم بأنه يعمل بتكليفه بالبحث في الأمور العقائدية بالدليل الحكمي الذي دل عليه القرآن، ودل عليه المعصومون عليهم السلام، والعقل المستنير بنورهم[1].

ثم قال لهم: (فإذا باحثنا في علم المعارف والعقايد على هذه الوجوه فأي ضلال يلزمنا، وأي محذور نخشاه، فلماذا نترك الحق الواضح والطريق اللايح، فماذا بعد الحق إلا الضلال، أتأمرنا أن نترك الحق.

---

(١) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٤٥ـ٥١.

أجابوا: بأن لا نريد منك ترك البحث و الدرس في هذه المعارف؛ إلا أنك سلكت مسلك الشيخ، ونهجت منهجه، وقلت بقوله)[١].

فقال لهم السيد كاظم الرشتي: (ما الذي تبين لكم وعثرتم عليه من فساد عقايده وبطلان ما في ضميره من غير المزخرفات من الافتراءات؟

قالوا أربع عبارات في أربعة مطالب: منها عبارة في المعراج تدل على أن النبي ﷺ قد ألقى كل عنصر من عناصر وجوده في مكان ذلك العنصر، فالقى النار في كرتها، والهواء في كرته، وكذلك الماء والتراب، مع أن المعروف من المذهب والمعلوم من الدين صعوده بجسمه.

ومنها عبارة في المعاد تدل على أن عناصر البدن كل عنصر يلحق بمركزه ثم لا يعود، مع أن ضرورة الإسلام قامت على عود البدن الجسماني.

ومنها عبارة في العلم تدل على أن الله تعالى علمين، علم قديم، وعلم حادث، ولا ريب أن الحادث لم يكن ثم كان، ويلزمه منه أن يكون علم الله متجدداً حادثاً كان في وقت لا يعلم.

---

(١) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٥١.

ومنها عبارة تدل على أن الإمام علة فاعلية، ويلزم منه أن يكون إما مستقلًا في الأحداث والفعل، أو يكون مفوضاً إليه، وكلاهما باطلان لضرورة الإسلام. فخالف ضرورة الإسلام في هذه المسائل الأربع؛ فلا يصح الرجوع إليه، والتعويل عليه، والمتابعة له، ومن هذه الجهة نهيناك عن اتِّباعه وعن نشر مطالبه)[1].

وهي المسائل نفسها التي عرضها خصوم الشيخ أحمد الأحسائي عليه قُبيل وفاته!

(١) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٥٣.

الحدث الثالث: حادثة تبريز ودواعي تأليف كتاب علم المحجة[1]

في ظل حكومة السلطان ناصر الدين شاه القاجاري، وبالتحديد في مدينة تبريز، قام أحد منافسي[2] الميرزا محمد حسين المامقاني[3] بالتدبير لمقتله؛ وذلك من خلال تحريك بعض الغوغائيين من أبناء المدينة.

فهجموا على مسجد من مساجد الشيخية في أيام عاشوراء من شهر محرم الحرام، في وقت إقامة العزاء على سيد الشهداء عليه السلام، وأسفر عملهم الشنيع عن قتل طائفة من العلماء، ونجاة الميرزا محمد حسين المامقاني من غائلتهم.

فاشتعلت الفتنة في تبريز، واختل الأمن فيها على وقع هذه الحادثة، مما جعل السلطان يرسل رسالة عاجلة إلى الميرزا محمد حسين

---

(١) كتب الميرزا محمد حسين المماقاني هذا الكتاب باللغة الفارسية، وطبع في تبريز سنة (١٣٨٣هـ) في مطبعة رضائي، وقام بترجمته إلى اللغة العربية الأستاذ محمد علي داعي الحق الحائري بواسطة الحاج رياض طاهر، وحقق هذه الترجمة وعلقها عليها الشيخ أحمدعبدالوهاب البوشفيع، وظهرت في طبعتها الأولى في سنة (٢٠٠٠م).

(٢) لم يذكر التاريخ اسمه.

(٣) هو الميرزا محمد حسين بن محمد المامقاني المدعو بالتقي الشريف، ولد في تبريز سنة (١٢٤٨هـ)، من أشهر مؤلفاته: كتاب علم المحجة، تُوفِّي في سنة (١٣١٢هـ). [صحيفة الأبرار ـ الميرزا محمد حسين بن محمد المامقاني (مقدمة الميرزا عبدالرسول الحائري الإحقاقي): ص١٦ـ١٧].

المامقاني يدعوه فيها بالحضور إلى البلاط الملكي في طهران لملاقاة خصمه أو منافسه، والتباحث في أسباب وقوعها[١].

لبى المامقاني دعوته.. ولما حضر مع خصمه الذي دبر لوقوع تلك الحادثة جرت أمام السلطان المواجهة بينهما، فطلب من الميرزا محمد حسين المامقاني في أثناء سلسلة المناقشات بيان عدة أمور كان من بينها: الكشف عن سبب الخلاف والتفرقة بين الطرفين.

فأجاب المامقاني قائلاً: (فسبب اختلافهم معنا هو من باب عدم المعرفة والاطلاع على المصطلحات التي صدرت عن شيخنا المرحوم (أعلى الله مقامه)[٢]؛ ولذلك خالفوا الشيخ في أربع مسائل فقط، وأوردوا

---

(١) كتب الميرزا محمد حسين المماقاني نص رسالة الشاه ناصر الدين القاجاري في كتابه علم المحجة: (حضرة الفاضل الكامل، والعارف المبجل الجليل، عمدة الفضلاء الأطياب الميرزا محمد حسين حجة الإسلام ـ وفقه الله ـ. عبر سنين خلت كنا نسمع بأن بين الشيخي وغير الشيخي قد وقع اختلاف في بعض المسائل العقائدية، ولأنه لم تحدث أيةُ حادثة مؤلمة بينهما فلم يشأ صاحب العظمة أن يبحث في هذا الاختلاف وأسبابه، ولكن اليوم وبعد وقوع هذه الحادثة الأليمة التي أسفرت عن القتل والإغارة بين منتسبي الطرفين، وليس بعيداً لو تركت الأمور على عواهنها ولم تكشف الحقائق والشبهات، وتسوى المسائل المتنازع عليها بشكل جدي، أن تكون هناك عواقب وخيمة تكون وبالاً على الأمة والوطن، مما يضطرنا إلى اتخاذ إجراءات صارمة حفظاً للأمن وممتلكات الأمة، بما يحرق الأخضر واليابس فيه، وهذا مما لا يرضاه الله، ويحاسب عليه رسول الله الأعظم ﷺ، وكنا عندئذٍ قد خربنا بلادنا، وآذينا أمتنا وشعبنا بأيدينا. لذا طلبنا حضوركم إلى البلاط الملكي لعدة أيام، وملاقاتنا لإجراء مناقشات، واتخاذ القرارات اللازمة بهذا الخصوص). [علم المحجة ـ الميرزا محمد حسين المامقاني: ص٣٦].

(٢) يقصد بذلك الشيخ أحمد الأحسائي.

بحثهم وعنادهم وعداوتهم له في تلك المسائل لا غير، وهي: مسألة العلم، والعلل، والمعراج، والمعاد)[١].

وهي المسائل نفسها التي وردت في الحدثين السابقين!!

طبعاً.. أوضح الميرزا محمد حسين المامقاني في حضرة السلطان مرادات الشيخ أحمد الأحسائي في تلك المسائل ـ وغيرها ـ حتى حار خصمه، ولم يبقَ له أي جواب.

وفي أثناء وجوده في البلاط القاجاري كتب رسالة سماها "علم المحجة"، أشار فيها مجملاً إلى بعض النقاط الهامة، كتلك الواقعة المؤلمة، وسبب استدعائه إلى البلاط، وغير ذلك، ثم ذكر فيها مفصلاً الأدلة التي أوردها في تلك المسائل أثناء مناقشته، وبين جملة من أفكار وعقائد الشيخية.

فنالت الرسالة إعجاب السلطان، وأمر بإرسال نسخة منها إلى ذلك الخصم ليطلع عليها ويبدي رأيه، ويترك الخصومة التي بينه وبين الميرزا محمد المامقاني وأتباعه؛ إلا أنه لم يعر أي أهمية لذلك، وظل في معاندته ولجاجه، فاضطرت حاشية السلطان سقيه السم في القهوة[٢].

---

(١) علم المحجة ـ الميرزا محمد حسين المامقاني: ص٢٥.

(٢) شيخيكري بابيكري ـ مرتضى جهار دهي: ص١١٥.

الحدث الرابع: دواعي تأليف كتاب إحقاق الحق

يستعرض مؤلف هذا الكتاب الميرزا موسى الإحقاقي الإسكوئي[1] في مقدمته دواعي تأليفه في قوله:

(والأحقر الفاني منذ ميزت الليل من النهار، وعرفت اليمين من اليسار، رأيت أن نائرة التشاجر والاختلاف آناً فآناً في ازدياد، وشرارة التفرقة والفساد كل حين في اشتداد.

فكان عليَّ همًّا عظيماً، فما زال يزداد حتى أغصني الشراب والطعام، وأقلقني عن الوسادة والمنام، وصرت كلما جالست المعاصرين من العلماء الأخيار، ومارست كتبهم والآثار، لم التجىء في ذلك إلى ركن وثيق، وما هو بالإذعان حقيق، بيد أني رأيتهم ـ أيضاً ـ مختلفين ومضطربين، مادحين لذلك الشيخ الأحسائي وقادحين، بل بين مفرط ومفرَّط..

فجعلت أتتبع كتبه وتصنيفاته، وأدقق النظر في رسائله وعباراته، بعين الدقة والإنصاف، لا بعين الرضا ولا بعين السخط والاعتساف..

---

(١) هو الميرزا موسى بن محمد باقر بن محمد سليم الحائري الإسكوئي، ولد في كربلاء سنة (١٢٧٩هـ)، كان مرجعاً دينيًّا بارزاً في عصره، ولقب بالإحقاقي نسبة إلى كتابه الشهير "إحقاق الحق"، تُوفِّي في سنة (١٣٦٤هـ).

وأجلت سارح فكري بكمال الإمعان فيما اعترضوا وسطروا وقابلت بغاية الإتقان بما ذكر ما ذكروا، فحسبما فهمت بيني وبين خالقي والله على أقول وكيل: إن المعترضين بعضهم التبس عليه الأمر كما هو الغالب، والأكثر، إما لعدم أنسه بالاصطلاح في المقام، أو لعدم إحاطته بأطراف الكلام، وبعض عثر على كلام مجمل، وغفل عن سائر ما أفاد وفصل، وبعضهم إنصافاً لم يكن خالياً عن أعمال الغرض في مقام الإبرام والنقض، وبعض رتب عليه عقيدة الغير بعلاقة التلمذة والمجاورة، غفلة عن أنه لا تزر وزر أخرى وازره، فعمدت إلى تصنيف كتاب جامع لشتات كلمات القوم وعبارات الشيخ المذكور في كل مسألة)[1].

ونستطيع أن نستشف من هذه المقدمة، أن المعارضة للشيخ أحمد الأحسائي لم تخمد نيرانها رغم مضي زمن طويل على وفاته؛ بل هي ـ كما ذكر المؤلف ـ في ازدياد.

أما العناوين الرئيسية التي طرحت فيه، فتُظهر لنا أن المعارضين ما زالوا يحملون المآخذ نفسها على الشيخ أحمد الأحسائي في تلك المسائل الأربع، وهي: مسألة العلم، العلل، المعراج، المعاد.

(١) إحقاق الحق ـ الميرزا موسى الإحقاقي الإسكوئي: ص٣١ـ٣٣.

فهي لم تنقص ولم تزد..

فأيًّا كان المتصفح لكتاب "إحقاق الحق" ؛ سيجد أن العمود الفقري لموضوعه كان متجلياً في هذه المسائل الأربع، التي أجاد مؤلفه في تبيانها وتفصيلها بصورة أدخلته التاريخ من أوسع أبوابه، وجعلته في الصفوف الأولى للمدافعين عن الشيخ أحمد الأحسائي.

التأمل الفكري .. في إجابة السؤال الأول

هل تأكدت - عزيزي القارئ - من أن أصحاب هذا المدعى لا يملكون إلا هذه المآخذ الأربعة في تلك المسائل الأربع ضد الشيخ أحمد الأحسائي؟

فكر معي الآن قليلاً..

إذا كان هذا هو عدد الأفكار والمعتقدات الفاسدة التي وجدوها في منهجه - مع غض النظر عن صحة أو خطأ ما وجدوه عليه، فقد اتفقنا على أننا لن نخوض في هذا المدعى من هذا الجانب، وأن لنا طريقة أخرى نتلمس منها ما نريد -:

فهل يسوغ لهم هذا العدد تكفيره وإقصاءه وتهميشه من منظومة الفكر الإسلامي؟

إن قلت: نعم.

فهل تعلم: أنَّ لبعض العلماء أفكار ومعتقدات وآراء فاسدة أكثر من هذا العدد؛ ومع ذلك لم يتم تكفيرهم أو إقصاؤهم أو تهميشهم من داخل منظومة الفكر الإسلامي بالقدر الذي فعلوه مع الشيخ أحمد الأحسائي.

هل تعرف ابن عربي؟[١]

العالم السني المالكي الصوفي الأندلسي، الشهير "بمحيي الدين بن عربي"، واضع قواعد التصوف الفلسفي بعدما كان مجرد طريقة عملية[٢].

ابن عربي.. كُفر من قِبل جمع من كبار علماء العامة بسبب أفكاره ومعتقداته الفاسدة؛ كالذهبي في كتابه ميزان الاعتدال[٣]، والحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية[٤]، وغيرهما الكثير[٥].

ابن عربي.. أثبت السيد جعفر مرتضى العاملي[٦] ـ في بحث أعده عن أفكاره ومعتقداته وآرائه ـ أنَّه سني متعصب، فوسم كتابه بهذا العنوان "ابن عربي سني متعصب"[٧].

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي، ولد في سنة (٥٦٠هـ)، ولقب "بمحيي الدين بن عربي" و "بالشيخ الأكبر" في كتب الصوفية ـ وغيرهم ـ، تُوفِّي بدمشق في سنة (٦٣٨هـ)، وقبره مشهور يزار. [أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين: ج٢ ص٦٥].

(٢) الحكمة المتعالية عند صدر المتألهين الشيرازي ـ د. علي الحاج حسن: ص١٣٦.

(٣) انظر/ ميزان الاعتدال ـ الذهبي: ج٣ ص٦٦٠.

(٤) انظر/ البداية والنهاية ـ ابن كثير: ج١٣ ص١٨٢.

(٥) كابن حجر وشيخه البلقيني، والسخاوي، وزين الدين العراقي، وبدر الدين بن جماعة، والكتاني، وابن خياط، وغيرهم.

(٦) هو السيد جعفر بن مصطفى بن مرتضى الحسيني العاملي، ولد في لبنان سنة (١٣٦٤هـ)، وتُوفِّي في سنة (٢٠١٩م).

(٧) انظر/ ابن عربي سني متعصب ـ السيد جعفر مرتضى العاملي: الطبعة الثالثة (١٤٣٢هـ).

ابن عربي.. جمع الكاتب علاء فيصل[١] من كتابيه الفتوحات المكية وفصوص الحكم ـ فقط ـ أكثر من (١٥٧) قولاً واعتقاداً فاسداً لا تنسجم مع مذهب أهل البيت عليهم السلام، لا من قريب ولا من بعيد، تحت عنوان "ابن عربي عارف أم ملحد"[٢].

ابن عربي.. الذي كفر من قِبل بعض علماء الشيعة، البعض الآخر منهم افتتن وأعجب بكلماته في التصوف فذهب إلى القول بتشيعه[٣]؛ لتتاح لهم فرصة الدفاع عنه، ونشر كتبه الحاوية لأفكاره ومعتقداته وآرائه في داخل منظومة الفكر الشيعي.

وخصوصاً كتابيه: "الفتوحات المكية"، "فصوص الحكم"، اللذين حظيا بشهرة واسعة وتناول مسهب في الشرح والتدريس في سلك عرفاء الشيعة[٤].

---

(١) لم أجد ترجمة له.

(٢) ابن عربي عارف أم ملحد؟ ـ علاء فيصل: الطبعة الأولى (١٤٣١هـ).

(٣) كالمحدث النيسابوري، وابن فهد الحلي، والقاضي نور الله التستري، والشيخ البهائي، والفيض الكاشاني، والمجلسي الأول.. [انظر/ الروح المجرد ـ السيد محمد الطهراني: ص٣٢٦].

(٤) يقول العلامة الطبطبائي: (لم يستطع أحد في الإسلام أن يأتي بسطر واحد مما كتبه محيي الدين). [انظر/ التوحيد ـ جواد علي كسار (تقرير الدروس لسيد كمال الحيدري): ج١ ص٢٣٢ (نقلاً عن/ المنظومة ـ الشرح التفصيلي الشهيد مرتضى مطهري، الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ)، هامش صفحة (٢٣٩)، بالفارسية].

وهل تعرف الفيلسوف الكبير محمد بن إبراهيم الشيرزاي؟[١]

العالم الشيعي الشهير "بالملا صدرا الشيرازي"، مؤسس مدرسة الحكمة المتعالية، الذي أثنى على فلاسفة اليونان ومدحهم[٢]، وتبنَّي أكثر نظريات ابن عربي الصوفية، كما صرح بذلك كبار ممثلي منهجه، ومنهم العلامة الشيخ حسن زاده الآملي[٣]، في قوله:

(أكثر المسائل التي نقلها صدر المتألهين عن الشيخ الأكبر ومشايخ العرفان الآخرين، هي أساس مصادر حكمته المتعالية؛ وقد اعتمد في ذلك على كتب الفن؛ أمثال: تمهيد القواعد، وشرح فصوص الحكم للقيصري، ومصباح الأنس، والفتوحات المكية)[٤].

---

(١) مرت ترجمته سابقاً.

(٢) يقول في كتابه الأسفار: (واعلم أن أساطين الحكمة المعتبرة عند طائفة ثمانية، ثلاثة من الملطيين: تالس، وأنكسيمانس، وأغاثاذيمون، ومن اليونان خمسة: أنباذقلس وفيثاغورث، وسقراط، وأفلاطون، وأرسطا طاليس، قدس الله نفوسهم وأشركنا الله في صالح دعائهم وبركتهم، فلقد أشرقت أنوار الحكمة في العالم بسببهم، وانتشرت علوم الربوبية في القلوب لسعيهم. وكل هؤلاء كانوا حكماءَ زهاداً عباداً متألهين، معرضين عن الدنيا، مقبلين إلى الآخرة، فهؤلاء يسمون بالحكمة المطلقة، ثم لم يسم أحد بعد هؤلاء حكيماً). [الحكمة المتعالية ـ الملا صدرا الشيرازي: ج٥ ص٢٠٦ ـ ٢٠٧].

(٣) هو العلامة الفيلسوف الشيخ حسن حسن زاده طبري آملي، ولد في إيران ببلدة آمل في سنة (١٣٤٨هـ)، وتُوفِّي في سنة (٢٠٢١م).

(٤) العرفان والحكمة المتعالية ـ حسن زاده آملي: ص١٩.

فهذان العالمان كفرا، وتم إقصاؤهما وتهميشهما ـ ومحاربتهما ـ من قِبل البعض في داخل منظومة الفكر الشيعي؛ ولكن ليس بالقدر الذي فعلوه مع الشيخ أحمد الأحسائي!

فها هي أشهر كتبهما الفلسفية والعرفانية تدرس في الكثير من المجامع العلمية الشيعية، وأفكارهما تنقل في ساحات الخطاب العام؛ ولم يتكبد أيًّا كان عناء تصدير الفتوى في كفرهما، أو في غير ذلك!

في حين أننا لا نجد كتاباً واحداً للشيخ أحمد الأحسائي يتداول في تلك المجامع، ونجد في الوقت نفسه العدد الذي لا بأس به من الفتاوى والكلمات ضده.

فألا تعتقد مثلما أعتقد..!!

بأن هناك سبباً آخر لدى أصحاب هذا المدعى غير الأفكار والمعتقدات والآراء الفاسدة التي اتخذوها ذريعةً وحجة ضد الشيخ أحمد الأحسائي!

فالفكرة هنا كالتالي..

كما لو كان لديك ثلاثة أبناء، وجميعهم وقعوا في الخطأ نفسه ـ لو فرضنا فساد أفكار ومعتقدات وآراء الشيخ أحمد الأحسائي في تلك المسائل الأربع ـ؛ ولكن بشكل متفاوت.. فحينما تقوم بعقاب الأقل

خطأ وتترك البقية، سيجعلنا ذلك نتيقن بأن العقاب الذي أجريته عليه لم يكن بسبب ذلك الخطأ، وإنما هو لأمر آخر قام بفعه!

أنصحك ـ عزيزي القارئي ـ أن تفكر فيما مر سابقاً؛ قبل أن تنتقل إلى السؤال التالي.

السؤال الثاني: كيف توصل أصحاب هذا المدعى إلى تلك الأفكار والمعتقدات والآراء الفاسدة في منهج الشيخ أحمد الأحسائي؟

لو فرضنا صحة هذا المدعى.. فكيف توصل أصحابه إلى وجود تلك الأفكار والمعتقدات والآراء الفاسدة في منهج الشيخ أحمد الأحسائي؟

وهم في الحقيقة فقهاء؛ أي: علماء في الفقه والأصول، والمسائل التي تم بسببها تكفيره وإقصاؤه وتهميشه مسائل فلسفية بحته؛ وليست مسائل فقهية أصولية.

وللكشف عن فساد تلك الأفكار والمعتقدات والآراء يجب:

أولاً: أن يكون لهم تضلُّعٌ في فن الفلسفة بشكل عام.

ثانياً: أن يكون لهم تضلُّعٌ في المصطلحات الخاصة به، فالكل يدرك أن الشيخ أحمد الأحسائي استخدم في منهجه مصطلحات خاصة تختلف عن مصطلحات مَنْ سبقه من الفلاسفة والحكماء، قام بصياغتها بحسب الأصل الذي بنا عليه أفكاره ومعتقداته، وهو الكتاب والسنة المطهرة والعقل المستنير بنورهما[1].

---

(١) انظر/ شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٢٦٩ـ ٢٧٣. وص٢٨٠ـ٢٩١.

فالأمر يبدو كما لو كنت مهندساً وقمت بكتابة كتاب مختص بحقل الهندسة، ثم جاء إليك طبيب ما وقام بنقد بعض ما يوجد فيه؛ فهل ستقبل بذلك؟

دعنا نكن صرحاء عن أمر قبولك بذلك..

فبالبداهة لن تقبل بنقده، ولن يقبل أي عاقل ذلك بسبب الفارق الموجود بينكما في المادة التخصصية؛ وحتى يحظى نقده بالاعتبار يجب أن يكون ضليعاً بحقلك، وبمذاقك وبمصطلحك إن كان ثمة لذلك.

ثم ما رأيك.. لو قلت لك: إن الشيخ أحمد الأحسائي قد وجه السؤال ذاته إلى خصومه في كربلاء لما كفروه!

فماذا كان جوابهم؟

أجابوه: بأن هذا هو المستفاد من ظاهر اللفظ في كلماتك![1]

وكيف جاء رد الشيخ أحمد الأحسائي؟

---

(١) يقول السيد محمد شفيع الجابلقي البروجردي: (والشيخ المذكور [الشيخ أحمد الأحسائي] كان ذاكراً متفكراً لا يتكلم غالباً إلا في العلم والجواب عن السؤالات العلمية أصولاً وفروعاً وحديثاً، وكان مشغولاً بالتدريس، ويدرس أصول الكافي والاستبصار، ولا نرى منه إلا الخير؛ إلا أن جمعاً من العلماء المعاصرين له قدحوا فيه قدحاً عظيماً، بل حكم بعضهم بكفره نظراً إلى ما يستفاد منه من كلامه من إنكار المعاد الجسماني، والمعراج الجسماني، والتفويض إلى الأئمة وغير ذلك من المذاهب الفاسدة إليه، وما رأيت في كلامه ذلك، وما سمعت منه إلا أنه المنقول منه استفادة من كلماته). [الروضة البهية في الإجازة الشفيعية ـ السيد محمد شفيع الجابقلي: ص٩٠ـ٩١].

قال لهم: إذا حكمتم بتكفيري من خلال ظاهر اللفظ، فهناك بعض (العلماء في كلماتهم وعباراتهم المتشابهات التي ظاهرها الكفر كثيرة، ولم يحكم أحدكم بكفرهم ولا بفسقهم، ولا نقص في وثاقتهم.

وهذا السيد المرتضى علم الهدى ذكر في رسالة صنفها في العقايد وفيها ذكر إسلام أبي طالب، ذكر فيها أن الله ليس إلهاً للأعراض و لا للجوهر الفرد مع أنه قد علم من ضرورة الإسلام أن الله سبحانه إله كل شيء؛ ولم يحكم أحد بكفره، ولم يجوز سوء القول فيه، مع أن عبارته ظاهرة كالصريحة في ذلك.

وهذا المجلسي "رحمه الله" في كتابه صراط النجاة ذكر المقدورات، وجعلها أقساماً، وقال: إن أحد الأقسام يقدر عليه الخلق ولا يقدر عليه الله، وهذا ظاهر؛ بل صريح في أن الخلق أقدر من الله، حيث أنهم يقدرون على شيء لا يقدر عليه الله.

وهذا الأردبيلي قد جوز التركيب العقلي في الله. والخوانساريان جوزا انتزاع المدد الغير المتناهية من ذات الله.

والصدوق ذكر في الفقيه أن الغلاة والمفوضة ـ لعنهم الله ـ ينكرون سهو النبي، وذكر أنه يتقرب إلى الله في وضع رسالة في سهو النبي والأئمة عليهم السلام؛ وأنتم تعلمون أن جميع علماء الشيعة من عهد المفيد

"رحمه الله" إلى زماننا هذا متفقون على أن النبي والأئمة عليهم السلام لا يجوز عليهم السهو، وقد شملت لعنته جميع علماء الشيعة وأساطين الشريعة.

وهكذا أمثال هذه العبارات لأمثال هؤلاء العلماء البررة السادات كثيرة جدًّا، لو أردنا ذكرها لاقتضى مجلداً كبيراً.. فما بالكم كيف تحكمون؟

فإن كان يجب حمل الكلام على ظاهره، ولا يلتفت إلى قوله، فما بالكم ما حملتم هذه الكلمات على ظواهرها؟

وما حكمتم بكفر قائليها، ولا بفسقهم، ولا بنقص وثاقتهم، ولا فتور في عدالتهم؟

وما تجرون ما أجريتموه فيهم في كلماتي وعباراتي؟

مع أنها[1] ليست في الدلالة على ما تزعمون بأظهر من هذه العبائر.

وإن وجب الحمل على معنى صحيح إذا تبين من قائله خلاف ذلك فأنتم ما شاهدتم أولئك العلماء أصحاب هذه العبارات، واكتفيتم بكتبهم من كلمات وعبائر ـ يدل بخلاف تلك العبائر ـ دعتكم حمل هذه العبائر عليها؛ فإن كان تكتفون بألفاظ الكتب وعباراتها في الحمل على

(١) أي: كلماته وعباراته.

المعنى الصحيح ما ظاهره كفر صريح ؛ فهلا تكتفون مني بما أقول لكم بلساني، وأخبركم عما في نفسي؟

فكيف تجوزون الاجتهاد في مقابلة النص معي وتجرونه فيَّ ولا تجوزونه في غيري، ولا تجتهدون في كلمات غيري؟

هل جاءكم نص من الله أو من رسوله ﷺ أو من أحد الأئمة عليهم السلام أن تفعلوا ذلك بهم دوني؟

أو جاءكم نص من الله ومن رسوله ﷺ أو أحد الأئمة عليهم السلام أن لا تسمعوا قولي، ولا تحملوني على الصحة، وأن تعملوا بظاهر كلامي على زعمكم؟

مع أن ما تزعمون ليس بظاهر من كلماتي، ولا تلتفتوا إلى ما تسمعون مني.

هلا أطعتم الله سبحانه في قوله: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[1] ؛ فها أنا ألقي إليكم عقايد الإسلام وعقايد الإيمان؟

وهلا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ﴾[2]، ولم يقل بما كتبوا ؛ هلا تراعون معي ظاهر الشريعة؟

---

(١) سورة النساء: (٩٤).

(٢) سورة التوبة: (٧٤).

ستذكرون ما أقول لكم، وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد)[1]!!

ما رأيك ـ عزيزي القارئ ـ بذلك؟

حسناً.. دعنا ننتقل إلى تأملنا الفكري في إجابة هذا السؤال.

(١) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٣٨ ـ ٤٠.

التأمل الفكري.. في إجابة السؤال الثاني

هل تأملت ـ عزيزي القارئ ـ فيما مر ذكره سابقاً في هذا السؤال ؛ إذاً قل لي :

ما رأيك في جواب الخصوم للشيخ أحمد الأحسائي حينما سألهم عن سبب تكفيره؟

وما رأيك في رده عليهم؟

فهل تؤيدني الرأي : أنَّ في رده عليهم حجة عقلية منطقية بديهية لا يمكن تركها والقبول بالحجة التي تمسكوا بها تجاهه ، وهي "المستفاد من ظاهر اللفظ في كلماتك".

فلا أنا أقبل ، ولا أنت تقبل ، ولا أي باحث منصف يقبل بذلك أيضاً.. أليس بصحيح؟

فها هو البحاثة الشيخ عبدالمنعم الكاظمي[1] لما تعرض إلى هذه النقطة في أمر شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي ، رفض جواب الخصوم إليه ، فقال :

---

(١) هو الشيخ عبدالمنعم بن جعفر بن محمد جواد بن محمد حسين الكاظمي ، ولد في النجف الأشرف سنة (١٣٢٤هـ) ، ومات بعد أن انتقل إلى بغداد سنة (١٣٩٥هـ).

(إن الشيخ أحمد الأحسائي لا شك في أنه من العلماء والفقهاء، وأن صاحب الجواهر "رحمه الله" يروي عنه، وأنه من العرفاء والحكماء، وأن كتابه شرح الزيارة دليل على ذلك. وأن العرفاء يشتمل كلامهم غالباً على رموز أو بالأحرى على ألفاظ لها معانيها المقصورة؛ ولكنها غير مفهومة إلا للخواص من أهل العلم ممن درسوا الحكمة والعرفان.

فكذلك كلام الشيخ أحمد الأحسائي لا يفهمه حتى الفقهاء الذين ليس لهم إلمام بالحكمة والعرفان.

فكيف يفهمه سائر الناس؟

أفهل يصح بحكم الشرع والعقل والإنصاف والوجدان أن تحكم على شخص بالتكفير أو الشرك بمجرد أن كلامه لا يفهمه إلا الخواص؟)[1].

ليس هذا فقط.. بل في موقفهم كعلماء فقهاء ما يجعلنا نعيد التفكير مليًّا في السؤال التالي:

حينما انسد باب العلم أمامهم في تلك المسائل لعدم تضلعهم في فن الحكمة أو الفلسفة؛ أليس من الأجدر أن يقوموا باتخاذ المسالك التي

(١) من كنت مولاه فهذا علي مولاه ـ الشيخ عبدالمنعم الكاظمي: ج٤ ص٢١٩.

تمليها عليهم قواعد فنهم (فن الفقه والأصول) في شأن شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي؟

ومنها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ:

١ـ أن يتوقفوا ـ لأن الفتوى أو إصدار الكلمات من دون علم ليسا بحجة ـ كما فعل السيد علي الطباطبائي[١].

فالخصوم كانت لهم جولة مع والد السيد مهدي الطباطبائي لما جاؤوا له في أيامه بكراريس (من بعض رسائل الشيخ [أحمد الأحسائي]، وقيل له: انظر ما ترى فيها من حق أو باطل.

فأخذها وجعلها عنده يومين، وأتى بها في اليوم الثالث رافعاً يده إلى السماء، مستشهداً بالله ورسوله وبأمير المؤمنين وبفاطمة الزهراء وباقي الأئمة واحداً بعد واحد، مسمياً بأسمائهم، مستشهداً بهم صلى الله عليهم، ومقسماً بحقهم أنه ما يعرف شيئاً مما في هذه الكراريس من المطالب العالية والمقاصد السنية، وليس إدراكها شغلي، ولا تلك المطالب فني، وأنا ما أعرف إلا المطالب الأصولية الفقية، ما لي والخوض في هذه اللجج الغامرة التي غرقت فيها سفن كثيرة)[٢].

---

(١) أحد العلماء العظام "صاحب الرياض" الذين أجازوا الشيخ أحمد الأحسائي. مرت ترجمته.

(٢) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٢٥ـ٢٦.

٢ـ أن يبنوا على أصالة الصحة مع عدم وجود المعارض ؛ كما فعل الشيخ علي البلادي[١] حينما تعرض لذكر هذه النقطة في كتابه، حيث قال في ترجمته للشيخ علي نقي:

(وأما الكلام فيه وفي أبيه ـ يعني الشيخ علي نقي واباه الشيخ أحمد ـ والسيد كاظم والجماعة المعروفين بـ (الشيخية)، وهم المنتسبون للشيخ أحمد بن زين الدين، واعتقادِهم صحة وفساداً، فلست أحكم في شيء من ذلك إلا صحة الانتماء لمذهب الأمناء عليهم السلام، والإقرار بمحبتهم ومودتهم، والتمسك بولايتهم، والالتزام بأحكامهم وحلالهم وحرامهم، وهو أصل أصيل متين. وأما ما ينافي ذلك، فالفقير عاجز عن فهم كلامهم على اليقين، بحيث أفهم منه ما يهدم ذلك الأصل المتين، وأدين بذلك ربِّ العالمين.

فحيث كنت عاجزاً عن فهم ذلك، ولم يتضح لي غير ما هنالك، فالأصل باق على حاله من الموالاة لأولياء الله والمعاداة لأعداء الله ؛ حيث عجزت ولم أصل إلى ما ينافيه ولم يهدم ظاهره وخافيه...

---

(١) هو الشيخ علي بن حسن بن علي بن سليمان البلادي البحراني، ولد في سنة (١٢٧٤هـ) في قرية بلاد القديم في شمال البحرين، عالم شيعي ومؤرخ وأديب وشاعر، من أشهر مؤلفاته أنوار البدرين ومطلع النيرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين.

وبالجملة فاليقين لا ينقض بالشك، وإنما ينقض بيقين مثله كما هو القاعدة المسلمة بالأدلة الصحيحة المحكمة، والله ولي التوفيق وإليه تصير الأمور)[١].

٣ـ أن يستصحبوا إجماع أقوال العلماء في حق الشيخ أحمد الأحسائي.

فإذا كان لديهم شك لاحق في شأن كلماته ومعتقداته وآرائه، وليس لديهم علم مؤكد بفسادها، ويقين سابق وهو إجماع أقوال العلماء فيه؛ فلماذا لم يستصحبوا حكم الإجماع المتيقن منه؟[٢]

كما قال السيد كاظم الرشتي حينما ذكر عدداً من العلماء الذين أجلوه وأجازوه، حيث قال:

(فعلى ما ذكرنا انعقد إجماع علماء الأمة ـ أي: أمة الإجابة الذين هم الشيعة الفرقة الناجية والفئة الزاكية ـ على جلالة شأن مولانا ونبالة محل أستاذنا، وأنه عند الله من الفائزين، وبآل الله من المقتدين، وبهم من المحسوبين، وما أدري ما حال من خالف جميع علماء الأمة وفقهاء

(١) أنوار البدرين ـ الشيخ علي البحراني: ص٤٠٨ـ٤٠٩.

(٢) الاستصحاب في الاصطلاح الأصولي: إبقاء ما كان على ما كان ما لم يوجد دليل يزيله. [أصول الفقه وقواعد الاستنباط ـ الشيخ فاضل الصفار: ج٢ ص١٩١].

الملة ورؤساء الشريعة وحفاظ الدين على الحقيقة والحجج من حجة الله على الأنام، لقد قال ـ عز من قائل ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾[1]؛ وهل المؤمنون إلا الشيعة، وهل العلماء إلا رؤساء المؤمنين.

فإذا اتفقت كلمتهم واجتمعت مقالتهم على شيء ولم يحصل لهم معارض، أقوالهم متفقة، وأفعالهم متطابقة مع أقوالهم، ومع ذلك يكونون على ضلال وعلى خطأ فإنه لا يكون ذلك أبداً، فاجتماعهم وعدم المخالفة دليل كاشف على قول رئيسهم. وهذا هو الإجماع الذي فيه حجة الله المعصوم، المطهر عمَّا لا يحبه الله، فالويل الدائم لمن خالف إجماع الفرقة المحقة، وشق عصا المسلمين، وأبدع في الدين)[2].

فلقد كانت هناك ـ عزيزي القارئ ـ مسالك أخرى بإمكانهم حمل الشيخ أحمد الأحسائي عليها غير مسلك تكفيره وإقصائه وتهميشه ـ ومحاربته ـ؛ ولكن عدم استخدامهم لها يجعلنا نتيقن أن وراء مدعاهم شيئاً آخر، وغاية يريدون الوصول إليها.

---

(١) سورة النساء: (١١٥).

(٢) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٣٠.

ومنها إرساء القواعد والأساس لمن سيأتي بعدهم!

فمن الأمور الغريبة حقًّا..

بالرغم من أن جواب هؤلاء ـ وهو المستفاد من ظاهر اللفظ في كلماته ـ لا يمكن قبوله ضد الشيخ أحمد الأحسائي؛ إلا أنه أصبح أصلاً أصيلاً يدور في دولاب التاريخ، ويعتمد عليه كل من جاء بعدهم، واتخذ مدعى وجود الأفكار والمعتقدات والآراء الفاسدة؛ لتكفيره وإقصائه وتهميشه من داخل منظومة الفكر الإسلامي.

فهناك عدد لا بأس به من الذين عارضوه قاموا ببناء الرأي وبإصدار الفتوى ضده تعويلاً على ذلك الجواب، وكأنه أصبح في مصاف الأصول المحكمة عليه.

فحينما يتعرض أو يُسأل هؤلاء عن شخصية الشيخ أحمد الأحسائي، تتعجب من هذا الجواب: "تنسب إليه بعض الأفكار والمعتقدات الفاسدة في مسألة العلم، ومسألة العلل الأربع (التفويض للأئمة عليهم السلام)، ومسألة المعراج، ومسألة المعاد.. إلخ".

تنسب إليه!!

لا ندري هل هي كلمات كافية ومنصفة للحكم على شخصية ما، خصوصاً إذا كان لها شأنها ومكانتها بين العلماء العظماء.

أليس من الواجب إخضاعها لمطاوي النقد العلمي لا إلى النسبة والتقول؟[١]

ولكن.. هذا يؤكد لنا أن هؤلاء حاولوا اختصار الأمر على أنفسهم في البحث والتدقيق في منهجه، واعتمدوا على كلمات خصومه في جعلها أصلاً وحجة لهم، ولم يفتحوا ولو صفحة واحدة من كتبه.

وقصة البحاثة الناقد الشيخ محمد حسنين السابقي النجفي الباكستاني[٢]، عميد المدرسة الدينية الجعفرية في فيصل آباد مع أفكار ومعتقدات وآراء الشيخ أحمد الأحسائي تبين لنا ذلك، وتفصح عن

---

(١) من الشيء الغريب أن يكون هناك عدد لا بأس به من الكلمات والفتوى التي صدرت ضد الشيخ أحمد الأحسائي المعول فيها "مما ينسب إليه"، وأنقل لك بعضاً منها:

أحال السيد الخوئي بعض الأسئلة التي وردت إليه في أمر الشيخية إلى الشيخ فرج العمران القطيفي، فكان مما جاء في جوابه عليها: (أما الشيخية فتنسب إليهم اعتقادات لا تتناسب مع القواعد الدينية الإسلامية؛ كإنكار المعراج الجسماني، واعتقاد أن الرسول ﷺ إنما صعد بروحه الطاهرة لا بجسمه الشريف، وكإنكار المعاد الجسماني، واعتقاد أن الأرواح إنما تحشر في الأجساد المثالية الهورقليائية لا الأجساد الدنيوية العنصرية، فمن ثبت أنه معتقد لتلك الاعتقادات اجتنب، وإلا فيحمل على الصحة). [الأزهار الأرجية ـ الشيخ فرج العمران القطيفي: ج١٤ ص١١٥].

وجاء في جواب السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم حينما سأل عن حقيقة الشيخية: (أما الجانب العقائدي فيتردد على الألسن نسبة بعض الأمور لهم لا تناسب ما سبق بيانه من عقائد الإمامية). [الفتاوى ـ السيد محمد سعيد الحكيم: ج١ ص٣٧٠ـ٣٧١].

(٢) الشيخ محمد حسنين بن الشيخ عبد العلي السابقي الباكستاني، فاضل أديب، ولد في صقع بنجاب سنة ١٣٦٦هـ.

حجم النتائج الناجمة من التعويل على كتب الخصوم في الحكم على شخصية الشيخ أحمد الأحسائي.

فما هي قصة الشيخ محمد السابقي التي انتهت بتأليفه لكتاب "عبقرية الشيخ الأوحد"؟

دعني أنقلها لك من قلمه في مقدمته على كتابه..

يقول: (يخطئ أكثر من يدعى أنه يستطيع أن يقف على عقائد أي مذهب من المذاهب أو أي عالم من العلماء وهو يجعل مصدر وقوفه ما يكتبه الخصوم معهما بلغوا من العلم والإحاطة مبلغاً، ومهما أحرزوا من الأمانة في النقل والتعليق والتحليل مقاماً.

أقول هذا جازماً بصحة ما أدَّعي بعد ما قضيت ردحاً من الزمان وكنت مولعاً بمطالعة الأديان والنزاعات المتباينة. وكنت أسمع في بلادي عن العلامة الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي وأن له آراء مخالفة لآراء الإمامية، فكنت شديد الاشتياق إلى دراسة عقائده لأقف على حقائقها الواقعية.

ولكن لم أجد في بلادي أي كتب من كتبه حتى وقع في يدي بعض ما ألفه خصومه الذين شنوا عليه الغارات، وخرقوا له آراء يأباها الذوق

السليم والطبع المستقيم، فوقفت متحيراً في أمره، بل خالجني شيء من الإذعان إلى ما يتقول عليه الخصم.

حتى كتبت عنه بعض هذه الآراء النافهة المكذبة عليه في كتابي المطبوع "جواهر الأسرار"، معولاً عليها للالتباس الواقع عليّ؛ ولكني كنت على شفا ريبة من هذه الآراء التي ضمنتها في كتابي الدائر السائر؛ لأني أعترف أنها دراسة بتراء إذ أحَلت نفسي فيها على كتب الخصوم، وتنازعني نفسي بأنني ظلمت هذا الشيخ الحكيم وأخطأت خطأ كبيراً، حيث كتبت من غير دراية وتحقيق.

وكان يمكنني الدراسة المستوعبة للحقيقة من كتبه أو مؤلفات تلامذته التي ألفها مشايخهم الباحثون وجهابذة محققيهم، ومن المعلوم أن رجال المذهب نفسه أشد معرفة لمذهبهم من غيرهم.

ولم يزل هذا شأني حتى مضى أعوام فأحالنا زملاؤنا الأفاضل إلى المجتهد المصلح الخبير والحكيم المحقق البصير آية الله سماحة الحاج الميرزا حسن الحائري الأحقاقي نزيل الكويت، فكتبنا إليه، فأرسل إلينا عدداً لا يهان به من الكتب المتعلقة بهذا الموضوع.

فبعد مطالعتها الدقيقة اتضح لنا شيء وافر من الالتباس الذي وقعت فيه كغيري من منصفي الأفاضل ؛ واعترفت بأن الذي كنت أتصوره عن الشيخ وتلامذته الكرام كان شططاً.

فالحمد لله على ما وقاني من سوء الظن في طائفة كبيرة من الشيعة الإمامية الذين امتازوا بصفاء العقيدة والتمسك بالولاء لأهل البيت عليهم السلام ، ولهم خدمات مشكورة في نشر علوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس لهم ذنب إلا الدفاع عن الحق المبين..

فأردت أن أقدم إلى أخواني المؤمنين المنصفين بعض تحقيقاتي التي استنبطتها بعد الفحص والتحري، وأحاول أن أدافع عن هذا الحكيم العظيم، وعن الذين نشروا آراءه الصحيحة وتحقيقاته الجميلة، ودافعوا عنه، وبينوا الحقائق قربة إلى الله، ولم يأخذهم في الله لومة لائم)[1].

انظر كيف تحول هذا الرجل من خصم إلى مدافع عن الشيخ أحمد الأحسائي.

وكيف حدث ذلك يا ترى؟

ببساطة تامة.. ترك الاعتماد على كتب الخصوم، والاتكال على جملة "ينسب إليه" لإصدار الحكم على شخصيته، وقام بالعمل

(١) عبقرية الشيخ الأوحد ـ الشيخ محمد السابقي: ص١١ـ١٣.

الصحيح تجاهه، وهو فتح صفحات كتبه للوقوف على الأمور من منظورها الحقيقي الواقعي، لا من منظورها المتعسف الأعمى.

فها هو يقول ناصحاً بعد خوضه هذه التجربة:

(والعجب أن كلما ازداد خصوم الأوحد وتزداد عليه مؤلفاتهم المسمومة ازداد هو عظمة وجلالاً، وازداد المدافعون عنه بصورة غريبة.

ولا عجب لأن القارئ أصبح اليوم مثقفاً ومحققاً ومدققاً لا يتبع كل ناعق، فيشاهد في مطالعاته أكاذيب الخصوم وافتراءاتهم عند مراجعة كتب الشيخ ومصنفات تلامذته فيتبصر.

وكلما ازداد في المراجعة ازداد تبصراً فيرى الحق والصدق في جانبه، والكذب والافتراء والوقاحة في ناحية خصومه؛ فيتجسم أمامه مظلوماً يجب الدفاع عنه بحكم الشرع والضمير.

كما أنَّ عشرات من العلماء والخطباء في باكستان استبصروا بسبب نعرات الخصوم وتبعهم آلاف وآلاف، وكذلك الأمر في سائر البلاد والمماليك الإسلامية كما نشاهد ونسمع، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)[1].

(١) عبقرية الشيخ الأوحد ـ الشيخ محمد حسنين السابقي: ص٤٤ (الهامش).

حسناً.. عزيزي القارئ

تبقى لدينا سؤالٌ أخيرٌ أود مناقشته معك في افتراض صحة هذا المدعى من عدمه.

فتعال معي لنرى ماذا يوجد فيه..

السؤال الثالث: أين هي الأدلة المعتبرة لأصحاب هذا المدعى؟

لو فرضنا صحة هذا المدعى.. فأين هي تلك الأدلة المعتبرة التي سطرها أصحابه في إثبات فساد أفكار ومعتقدات وآراء الشيخ أحمد الأحسائي؟

فالكلمات، أو الفتاوى، أو غير ذلك من الأمور التي صدرت منهم في حقه.. أليس من المفترض أنهم توصلوا إليها بعد استفراغ وسعهم في البحث؟

بمعنى آخر..

أنهم جاؤوا إلى كتبه فطالعوها، وفهموا معانيها ومقاصده منها، ثم قارنوا ما يوجد فيها مع نظائرها الموجودة بالشرع (الكتاب والسنة)[1]؛

---

(١) وهذا أحد المطالب التي أرسل بها السيد كاظم الرشتي تلميذه الميرزا حسن كوهر إلى الشيخ علي كاشف الغطاء بعدما انقلب ضده، وصار في مصاف خصومه بالنجف، فكان الأول: الحضور والاجتماع بشرط وجود الحكم من غير أهل العراق، والثاني المباهلة، والثالث: قال له: (واعرض عليه الأمر الثالث: وهو أن الحكم الذي نحن أردناه، إن كانت ليست له قابلية الحكومة؛ فهل عندهم في الدنيا عالم له قابلية الحكومة أم لا؟ فإن قال: لا، فقد أتى محالاً، وما أظنه يقول ذلك لمصالح وأمور خفية، وإن قال: بلى، فقل له: الاعتراضات التي لك على كلامه اكتبها؛ لكن بهذه الصورة، اكتب أولاً كلامه بألفاظه، ثم فسر مراده، وقل: إنما أراد من هذا الكلام هذا المعنى، ثم أورد اعتراضك، ثم ابعث كتابك إلي، فإني أكتب كلامي وأشرح مرامي، فإن وافق قبولك فهو المطلوب، وهيهات هيهات من ذلك، وإن لم يوافق فابعث ورقتي وورقتك إلى كل من تشاء وتعتقد أنه عالم بيد أمين مني وأمين منك، وكل ما يصدقه ذلك العالم الحكم فهو المصدق، فلا أنازعكم بعد هذا أبداً). [دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٦٧ـ٦٨].

فحكموا بتكفيره، وقاموا بإقصائه وتهميشه بعدما وجدوا الاختلاف بينهما.. أليس هكذا يجب أن يتم الأمر بطريقة العرض والنقد، كما يعرف في أدبيات المباحث العلمية[١]؟

فلو أردت إثبات خطأ فكرة أو نظرية أو رأي ما؛ فأول ما تقوم به هو العرض التحليلي المفصح عن جميع الجوانب، ثم مقارنتها بالمشابه الصحيح لها ليتسنى الحكم عليها.. فتكتمل دائرة المقام في النقد[٢].

---

(١) ولهذا يعرف النقد العلمي بأنه: دراسة الأعمال وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابه لها، والكشف عما فيها من جوانب القوة والضعف، والجمال والقبح، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها.

(٢) كما فعل الذين دافعوا عن الشيخ أحمد الأحسائي ـ أشرنا إلى طريقتهم في بداية هذا الموضوع ـ، حيث عرضوا نصوص الشيخ على منصة التحقيق التام، ومن ثم مطابقتها بما جاء في الكتاب والسنة والعقل المستنير بنورهما؛ للوصول إلى صحة أو خطأ ما جاء به. وحينما فعلوا ذلك، وصلوا إلى صداق ما قاله الشيخ أحمد الأحسائي عن مؤلفاته: (وأخذت تحقيقات ما علمت عن أئمة الهدى عليهم السلام، لم يتطرق على كلماتي الخطأ؛ لأني ما أثبت في كتبي فهو عنهم، وهم عليهم السلام معصومون عن الخطأ والغفلة والزلل، ومن أخذ عنهم لا يخطئ من حيث هو تابع). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص١٩٢]. وأبسط مثال على ذلك ما فعله الميرزا موسى الإحقاقي الحائري الإسكوئي ـ في تأليف كتاب "إحقاق الحق"ـ حينما وقف على جانب القادحين والمادحين في شخصية الشيخ أحمد الأحسائي، حيث يقول: (فجعلت أتتبع كتبه وتصنيفاته، وأدقق النظر في رسائله وعباراته، بعين الدقة والإنصاف، لا بعين الرضا ولا بعين السخط والاعتساف، مع أني لم أكن أجنبيًّا عن غالب رسائله وعبائره، لأنسي وعهدي بلحنه واصطلاحاته ورطنه، وقراءتي على الوالد الماجد العلامة قدس سره بعض كتبه، قراءة وتدريساً أياماً طويلة، ومدة غير قليلة، ومع ذلك كله لم أعتمد على ذلك، وجعلت أردد النظر فيها مرة بعد أخرى، وأرجع البصر كرة غب أولى، وأجلت سارح فكري بكمال الإمعان فيما اعترضوا وسطروا، وقابلت بغاية الإتقان بما ذكر وذكروا). [إحقاق الحق ـ الميرزا موسى الحائري الإسكوئي: ص٣٢ـ٣٣].

التأمل الفكري.. في إجابة السؤال الثالث

عزيزي القارئ، لو تم الأمر هكذا.. وهو من الواجب أن يكون هكذا مع أفكار ومعتقدات وآراء الشيخ أحمد الأحسائي؛ فأين هي تلك البحوث الواسعة والمعمقة التي قادتهم إلى تكفيره وإقصائه وتهميشه من منظومة الفكر الإسلامي؟

فإن لم يكن لها أي أثر على المستوى الفكري العام، على الأقل ليكن لها على المستوى الفكري الخاص المرتبط بأصحاب الفن منهم؛ خصوصاً وأن العدد الكبير من أصحاب هذا المدعى علماء، والتحقيق لعبتهم وفنهم الذي يجيدون التعامل معه.

علك تقول الآن:

من المحال ألا يكون هناك أية مباحث علمية تناول أصحابها أفكار ومعتقدات وآراء الشيخ أحمد الأحسائي بالطريقة التي ذكرناها!

وظنك صحيح.. فيوجد هناك العديد من تلك الكتابات.

ولكن.. ليس كل من جاء واستعرض أفكار ومعتقدات وآراء الشيخ أحمد الأحسائي، ثم قام بنقدها ـ وخصوصاً في تلك المسائل

الأربع ـ، قد وفق في الوصول إلى النتيجة الصحية الكاشفة عن حقيقة ما يتبناه في منهجه ـ وحقيقة شخصيته ـ.

فالمشكلة هنا أصعب مما تعتقد..

لماذا؟

لأنه من السهولة بمكان لأي إنسان أن يقوم بذلك؛ ولكن من الصعوبة بمكان وزمان أن يمتلك القدرة الكافية على نقد الموضوع، والكشف عن حقيقته.

فعملية النقد ـ بشكل عام ـ حتى تسير على الوتيرة الصحيحة تحتاج إلى أركان عديدة، لا يمكن أن يغفل عنها من يجيد هذا الأمر؛ أذكر لك ثلاثة منها فقط:

١ـ التخصصية المفضية إلى الإلمام الكافي بمجال وموضوع البحث. فالثقافة وسعة الاطلاع لا تعنيان أن الشخص قد أصبح مخولاً لخوض مضمار هذه العملية.

٢ـ الأسس والضوابط البعيدة جدًّا عن الارتجال والعشوائية؛ إذ إنها لا بد أن تكون خاضعة لمعطيات وأدوات الأصول العلمية المقررة.

٣ـ قد يتخطى الناقد هذه المراحل فيكون من أهل الاختصاص، ويقوم بنقد الموضوع بالآلية العلمية؛ فينال بحثه اعترافاً من قِبل المجامع

المتكفلة بذلك مثلاً ؛ ولكن ليس بالضرورة أن تكون النتائج التي وصل إليها صحيحة، وكاشفه عن حقيقة الموضوع، وحقيقة شخصية المنقود![1].. لماذا؟

لأن التخصصية واتِّباع الآلية مقدماتان لا تغنيان عن عناصر أخرى هامة تتدخل ـ أيضاً ـ في عملية النقد، ومنها:

أ ـ الملكة

وأقصد بها الصفة الراسخة في النفس التي يحصل عليها بعض المختصين في أعلى رتب مجالاتهم، فيغدون حينئذٍ أشخاصاً مفكرين ينفعلون انفعالاً عميقاً مع المواضيع الخاصة بهم، ويستطيعون اكتشاف أوهى روابطها، وتفكيك وإزالة إبهام تعابيرها ؛ حتى يمكنهم التقاط المعنى من وراء الصور المغشاة، لا مجرد مختصين يمتلكون القدرة على جمع المصادر وتحليلها والربط فيما بينها.

---

(١) وهنا نستبعد جميع الكتابات التي سكبت في دراسة شخصية الشيخ أحمد الأحسائي وأفكاره ومعتقداته ولم تحتو على الركائز العلمية في أصول الدراسة أو النقد، فلا شك أن هناك العديد من الكتابات من هذا النوع، وهي وإن كانت مقبولة عند من يجد فيها ما يريده ؛ سواء كان ضد أو مع الشيخ أحمد الأحسائي، فلا فرق هنا في استبعاد أي كتابة جاءت من طرف الذين تصدوا للرد عليه أو من طرف الذين دافعوا عنه ؛ فما دامت لم تستوفِ حقها في دائرة البحث العلمي، فإنها حتماً غير مقبولة عند من أراد إنصاف حقيقة هذه الشخصية وإقامة دستور العدالة على أفكارها ومعتقداتها.

ولعل مكلة الاستنباط التي يتحدث عنها الفقهاء في كتبهم خير مثال أورده لك الآن، فالفقيه لا يمكنه استنباط الحكم الشرعي بمجرد تعلم قواعد الأصول وقواعد الفقه؛ بل يجب أن تتوفر فيه ملكة الاستنباط[1].. والأمر هنا هكذا.

ب ـ التجرد من كل شيء

فحتى يستطيع الناقد استقبال النص المطلوب نقده وهو خالي الذهن عليه أن يتجرد من عدة جوانب؛ كالقومية، والانحياز إلى لغة أو طائفة معينة.. إلخ.

بل وفي ظروف معينة يتحتم عليه أن يتجرد حتى من الانحياز إلى الديانة ليستطيع فهم الطرف الآخر، ومن دون ذلك لن تسلم نتائجه من مسخ الواقع، وتشويه الحقيقة.

وحتى تفهم ـ عزيزي القارئ ـ ما أقصده من ذلك..

هناك رسالتان علميتان كتبتا في الشيخية، ونال مؤلفاها درجة الماجستير فيهما؛ أود ذكرهما هنا بصورة سريعة لبيان أهمية الملكة، والتجرد في عملية النقد، لا غير.

---

(١) الاجتهاد والتقليد ـ الشيخ فاضل الصفار: ج١ ص١٧ـ١٨.

أولاً: رسالة الماجستير[1] للسيد محمد حسن الطالقاني[2]

بالرغم من أن مؤلف هذه الرسالة اجتهد في إعدادها بناء على الأصول العلمية فأضحت ملجأً ومناراً يقصده كل من أراد التعرف على الشيخية ؛ إلا أن النتائج التي جاءت فيها لا يرقى معظمها إلى مستوى الكشف عن الجانب الحقيقي لشخصية الشيخ أحمد الأحسائي، ولا عن الصورة الحقيقية الجوهرية لما تبناه في منهجه من أفكار ومعتقدات وآراء!

والسبب؟

لأن مؤلفها انشغل بجمع المصادر وبكيفية الربط فيما بينها، أكثر مما انشغل بتحليلها فكريًّا لجلي الترسبات عنها للوصول إلى حقيقة النقطة التي يريدها ؛ فأصبح الحكم في نتائج رسالته يُدار بناء على ما توفر بين يديه من مصادر ؛ سواء كانت مخالفة أو موافقة لموضوعه.

---

(١) تحت عنوان " الشيخية ـ نشأتها وتطورها ومصادر دراستها"، نال بها المؤلف درجة الماجستير من الجامعة اليسوعية في لبنان عام (١٩٧٤م).

(٢) هو السيد محمد حسن بن عبدالرسول بن مشكور آل الطالقاني النجفي، ولد في سنة (١٣٥٠هـ) وتُوفِّي في سنة (١٤٢٤هـ)، رجل دين له العديد من المؤلفات من أهمها: الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها، سعادة المتأنق في توضيح حاشية المنطق، التواريخ المنظومة، وغيرها.

وبمعنى آخر.. إنه كان يغذي بحثه من المصادر المتوفرة أمامه، لا من دقة الحس الناجمة من ملكته كمختص في الموضوع الذي يتحدث عنه.

فهناك فرق كبير بين الحكم على موضوع ما من خلال بوصلة المصادر، والحكم عليه من خلال جعل تلك المصادر مادة غنية فقط، لا يتم قبول أي شيء منها إلا بعد إحالتها إلى منصة التحليل، وساحة الغربلة التي ترتكز على سطح الموسوعية العميقة التي يمتلكها الباحث في الموضوع نفسه.

وهذا الأمر واضح جدًّا في جميع مباني رسالته؛ ولا يحتاج إلى باحث دقيق ليكتشف ذلك منذ النظرة الأولى فيها.

وحتى أبين صحة ما ذكرته؛ لئلا يكون المدعى عليه من دون بينة، أستعرض أمرين فقط في تلك الرسالة، وهما:

الأمر الأول: حقيقية الطبيعة الفكرية والفقية لشخصية الشيخ أحمد الأحسائي.

الأمر الثاني: حقيقة ما تبناه الشيخ أحمد الأحسائي في منهجه من أفكار ومعتقدات وآراء.

فتعال معي لنرى نتائج مؤلفها في هذين الأمرين..

الأمر الأول في رسالة الطالقاني: حقيقة الطبيعة الفكرية والفقهية لشخصية الشيخ أحمد الأحسائي

حينما يريد الباحث تناول شخصية ما لدراستها، فأول ما يفعله هو تحديد طبيعة هذه الشخصية ليستطيع رسم خطوط المسارات العامة في دراسته.

ومن الواضح أن مؤلف هذه الرسالة لم يستطع اكتشاف أبسط المقومات في شخصية الشيخ أحمد الأحسائي، ومنها طبيعة اتجاهها الفكري، واتجاهها الفقهي!

الأول: طبيعة الاتجاه الفكري لشخصية الشيخ أحمد الأحسائي

أما في هذا الاتجاه فقد قال مؤلف هذه الرسالة:

(لا بد لنا في التمهيد لنشأة الشيخية وتطورها، من الإشارة إلى تاريخ الفلسفة في الفكر الإسلام، وعرض مراحل نمو الفكر الفلسفي في ثقافة المسلمين؛ لأن مؤسس الشيخية واحد من أبرز الفلاسفة المتأخرين في عصور الثقافة، وهو ممن تأثر بالفيلسوف المتصوف صدر الدين الشيرازي صاحب "الأسفار"، الذي نهج - فيما يبدو - طريق إخوان الصفا.

وقد اهتمت هذه الدراسة، وكذلك اهتم الشيرازي وتلميذه الأحسائي بالتوفيق بين الفلسفة والشريعة)[١].

ولا نعرف هل هذا اشتباه وقع فيه مؤلفها، أم عساه ماذا يكون؟ وكيف يكون اشتباهاً؟!

وواحدة من بديهيات الطبيعة الفكرية في شخصية الشيخ أحمد الأحسائي هي نقده لسلك الفلاسفة والصوفية.. وأبرز من انتقدهم في هذا الصدد هو الملا صدرا الشيرازي.

فقد قام بنقد نصوصه إلى حد أن قال فيها:

(وقد نبهت على كثير من بطلان دعواه هناك في شرحنا على المشاعر، وربما نذكر هنا شيئاً يظهر للناظر في بطلان هذه الدعوى في كثير كلامه، وأنه ما خرج عن طريقة الباحثين والمعلمين إلا في بعض المواضع، فإنه خرج عن بعض كلامهم إلى أسوأ مما قالوا، وأقبح مما ذكروا، وإن كان قولهم أكثره لا يجري على قواعد الدين، ولا ينطبق على سنة المرسلين "صلى الله عليه وآله أجمعين"، وذلك لأن دعواه أنه لا يقول إلا بقول محمد وأهل بيته الطاهرين "صلى الله عليه وآله الطيبين".

---

(١) الشيخية ـ الطالقاني: ص١٥.

ولو كان الأمر كما قال، لما ذهب إلى أن الخلق من الله سبحانه، وهذا المذهب عند أهل البيت عليهم السلام كفر وزندقة. ولما قال: بسيط الحقيقة كل الأشياء، ومعطي الشيء ليس فاقداً له في ذاته لا في ملكه، وأمثال ذلك مما ينكرونه ويبرؤون منه، وممن ذهب إليه)[١].

ألم يقرأ كتابيه شرح المشاعر وشرح العرشية؟[٢]

هذان الكتابان الشهيران يظهر من أسلوبهما، وطريقة تناول الأفكار فيهما؛ أنَّ الشيخ أحمد الأحسائي كان ينتقد ما ذكره الملا صدر الشيرازي.. حتى أعداؤه[٣] يعلمون بهذه النكتة، ويدركون أنه لم يكن متأثراً به، لا من قريب ولا من بعيد.

فكيف حكم عليه مؤلف هذه الرسالة بالتأثر لدرجة أن وَصَفَ ذلك بالتلمذة؟

شيء غريب.. أليس كذلك؟!

وإن كان المقصد مما قام به إلصاقه بالتصوف، ولعل هذا ما يريده.. بل هذا ما يريده المصدر الذي نقل منه هذه الفكرة[٤]؛ فقال بعد ذلك:

---

(١) شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٥١ـ٥٢.

(٢) كتاب المشاعر وكتاب العرشية للملا صدرا الشيرازي، قام الشيخ أحمد الأحسائي بشرحهما.

(٣) أعداء الشيخ أحمد الأحسائي.

(٤) مجلة البيان النجفية، السنة الأولى: ص٥٩٩ـ٦٠٠.

(وإذا أمعنا النظر في مؤلفات الأحسائي، وقرأناها بتدبر، وتأملنا أقواله ومعتقداته؛ لم نجده قد أتى بجديد.

وإنما هي الآراء والعقائد الإسلامية والشيعية ممزوجة بمشرب أخباري وذوق فلسفي وعرفاني خاص به اختاره لنفسه؛ فطغى على آرائه وأسلوبه.

وهو يختلف كل الاختلاف عما ألفه الفلاسفة والعرفاء، فهو ينقم على الفلاسفة، ويتطاول على الصوفية، فيسمي محيي الدين بن العربي بـ"مميت الدين"، ويسمي كتابه "الفتوحات المكية" بـ "الحتوفات"، ويطعن الشيخ محسن الفيض صهر صاحب "الأسفار" والقائم مقامه في نشر الفلسفة وإذاعتها.

لكنه[١] غارق إلى هامته في آرائهم محرّفة كما يحب ويرتئى، ويكاد يكون مقلداً لهما في أصول مقاصد الفلسفة الأشراقية، وإن اختلف معم في بعض فروعها وفي إبدال المصطلحات.

ولعل الخلاف بينه وبينهم في بعض المسائل لفظي، ولعل طعنه فيهم ناشىء عن التقية وحذراً من أن تنسب إليه مذاهبهم)[٢].

---

(١) يقصد الشيخ أحمد الأحسائي.

(٢) الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٣٩ـ٢٤٠.

فإن كان يريد ذلك ؛ فهذا الأمر أسوأ من إلصاقه بالملا صدرا الشيرازي ؛ لأنه :

أولاً : مثلما انتقد الشيخ أحمد الأحسائي كلمات الملا صدرا الشيرازي في التصوف ـ وغير ذلك ـ ، انتقد كذلك الصوفية أيما انتقاد في كل كتاباته التي تعرض فيها لذكرهم.

فها هو يعلن براءته ، ويبين موقفة المضاد منهم ومن أفكارهم ، ومن كل ما ينتسبون إليه في قوله :

(والحاصل ، من دان الله بدين غير ما أتى به محمد وآله ﷺ ، مما هو معلوم ظاهر بين شيعتهم مما عليه ظاهر المسلمين ، إذا كان ممن يشهد الشهادتين بلسانه فهو صوفي.

وأنا أبرأ إلى الله من هؤلاء ، ومن أتباعهمم ، ومن مال إليهم ، وتسمى بأسمائهم لغير تقية ، والذين يقولون فيمن هو ضد لهم ويعارضهم في المراتب والرياسات والتقرب إلى الملوك ، وجلب قلوب العوام ؛ فينسبون التصوف إلى أضدادهم ، وإن يعتقدوا شيئاً مما أشرنا إلى بعضه ، وإنما يتوصلون إلى الطعن عليهم بأن ينسبوهم إلى التصوف ، لأنه هو الذي يقبله منهم العوام والحكام ، فهؤلاء ليسوا بالمؤمنين ، وحالهم في فساد الاعتقاد كحال أضدادهم.

وأنا أبرأ إلى الله منهم، ومن أتباعهم، وأشهد الله وملائكته وأنبياءه ورسله وسماءه وأرضه ومن أسكنهما من خلقه؛ أني أبرأ إلى الله وإلى أوليائه من اعتقاد هذين الفريقين، وأدين الله بدين محمد وآله ﷺ، الذي أنزله على رسوله ﷺ في كتابه، وترجمه أولياؤه في أحاديثهم عليهم السلام: ﴿فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾.

هذا ما كتبته لجنابك، كتبته لخصمك بلا زيادة ولا نقصان، وستذكرون ما أقول لكم، فإذا اجتمعنا يوم القيامة بين يدي الله سبحانه، تقدمت معكم بخطي هذا، وما يدل عليه مما كتبت في سائر كتبي)[1].

وثانياً: من الواضح أن مؤلف هذه الرسالة لم يكن مُلمَّاً، بأنه في مواضع كثيرة قد يشترك الجميع في عناوين المواضيع، بل وحتى في بعض المصطلحات، السني والشيعي، الصوفي والعارف، الأصولي والأخباري.. إلخ؛ ولكن، لكل واحد منهم مقصداً أو مراداً في معناه يختلف تماماً عن الآخر.

فموضوع الإمامة عند السني تختلف معانيه عن الشيعي، ومصطلح الحقيقة المحمدية عند الصوفي يختلف معناه عن العارف، والشبهة

(١) مراسلة في جواب الآخوند ملا علي الرشتي في أمر الصوفية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١٠ ص١٤ـ١٥.

التحريمية عند الأصولي يختلف حكمها عن الأخباري.. وإن اشترك الجميع في عنوان الموضوع أو المصطلح.

وعلى ذلك..

لا يمكن نسبة الشيخ أحمد الأحسائي إلى التصوف بمجرد أنه تناول المواضيع نفسها، أو استخدم بعض المصطلحات المشتركة بينهما.

وها هو قد بين الاختلاف بينهما في قوله: (وإنما اختلفنا لاختلاف المرادات، لأن ألفاظ التعبيرات مشتركة، فكل يريد منها معنى ما يعتقده)[١].

الثاني: طبيعة الاتجاه الفقهي لشخصية الشيخ أحمد الأحسائي

قال مؤلف هذه الرسالة: (ولم يكد يمضي على قتل الميرزا محمد الأخباري زمن طويل، ولم تفتر الخصومات والحملات بعد حينما ظهر الشيخ أحمد الأحسائي.

ـ وهو شخصية أخبارية متطرفة ـ فأعلن عن وجهة نظره في بعض المعتقدات الإسلامية والمواضيع العلمية)[٢].

---

(١) شرح المشاعر ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٥٢.

(٢) الشيخية ـ الطالقاني: ص٤٥.

ثم قال: (هاجر الإحسائي إلى العراق في سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م، وعمره يومذاك عشرون سنة، وهبط النجف، وظل ينتقل بينهما وبين كربلاء؛ ملازماً لحضور دروس مشاهير الوقت، وهم الشيخ محمد باقر البهبهاني في كربلاء، والسيد مهدي بحر العلوم، والشيخ جعفر كاشف الغطاء في النجف، وغيرهم)[١].

وفي موضع آخر قال: (ليس للأحسائي في الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية ما خالف فيه النصوص، أو خرق فيها الإجماع، فهو كبقية فقهاء الإمامية، ما عدا بعض المسائل والفروع التي حاول إخضاعها للتأويل، وتفسيرها بغير المألوف)[٢].

والآن أريدك أن تتمعن جيداً في تعارض تلك الكلمات، ثم تجيب عن التالي:

ماذا يفعل أخباري متطرف في درس الشيخ الوحيد البهبهاني[٣]؛ في حين أن الحرب التي دارت بين الفرقة الأصولية والفرقة الأخبارية

---

(١) الشيخية ـ الطالقاني: ص٥٩.

(٢) الشيخية ـ الطالقاني: ص٧٠.

(٣) هو الشيخ محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني، ولد في أصفهان سنة (١١١٨هـ)، وقد تصدى في زمانه للدفاع عن المدرسة الأصولية ضد المدرسة الأخبارية بعد نزوله في مدينة كربلاء.

كانت في أوج نيرانها في فترة الشيخ الوحيد البهبهاني الذي يعتبر من أشد الواقفين ضد الفرقة الأخبارية، ومن أبرز المتصدين لها؟![1]

وكيف لإخباري متطرف لا يعتقد ولا يعتمد على قواعد الأصول في استنباط الأحكام الشرعية دراستها، وقد حكمت الأخبارية ـ خصوصاً في ذلك الوقت ـ بكفر دارسها ومدرسها، وبنجاسة الكتب الأصولية أيضاً؟![2]

وإذا كان أخباري متطرف.. فكيف يكون كبقية فقهاء الإمامية في استنباط الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية، ولم يخالفهم لا في النصوص، ولا في خرق الإجماع الذي أقروه؟!

بل كيف يكون أخباريًّا متطرفاً.. وفي الوقت نفسه نجد لديه رسائل تتحدث عن مواضيع أصولية بحتة:

كـ"الرسالة الحيدرية" التي تعتبر رسالة فقهية استدلالية، جمع فيها أقوال الفقهاء وما يتفرع على كل قول من المسائل، وأعطى رأيه في كل مسألة منها[3].

---

(١) انظر/ أصول الفقه ـ الشيخ المظفر: ج١ ص١٧.

(٢) انظر/ الشيخية ـ الطالقاني: ص٩. الطائفية والسياسة في العالم العربي ـ د. فرهاد إبراهيم: ص٥٧.

(٣) انظر/ الرسالة الحيدرية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٧.

وكـ"الرسالة الإجماعية" التي تحدث فيها عن حجية الإجماع بأقسامه، وحجية الشهرة، ورد على بعض المنكرين للإجماع[١].

ولديه (رسالة في نفي كون الكتب الأربعة ـ الكافي الاستبصار ومن لا يحضره الفقيه والتهذيب ـ في الحديث قطعية الصدور من الإمام، وهي رد على الأخباريين الذين يقولون بقطعية صدروها)[٢].

هذا التساؤلات وغيرها تظهر لنا حجم التعارض الموجود عند المؤلف في رسالته؛ وذلك لأنه كان يقتنص الأفكار من المصادر، ثم يقوم بسردها من دون أن يعرضها على سليقة ملكته في الموضوع الذي يبحث فيه.

بمعنى آخر.. لقد كان ينسخ الأفكار من المصادر ويلصقها بكلماته من دون أن يتحرى حجم التعارض الواقع فيما بينها.

ولو كان الأمر غير ذلك..

لأدرك أن الطبيعة الفقهية للشيخ أحمد الأحسائي تنتمي إلى النهج الأصولي، فهو ممن يستنبطون الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة

---

(١) انظر/ الرسالة الإجماعية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٤ ص٣٤٣.

(٢) فلاسفة الشيعة ـ الشيخ عبد الله نعمه: ص١٣١.

والإجماع والعقل الخالي من الشكوك والشبهات، كما هو حال فقهائنا الإمامية المتقدمين منهم والمتأخرين[١].

طبعاً.. ليس إخراج الشيخ أحمد الأحسائي من دائرة الفرقة الأخبارية وإدراجه تحت لواء الفرقة الأصولية؛ معناه أن الفرقة الأخبارية على باطل والأصولية على حق.

لا والله.. وحاشا أن يكون الأمر كذلك.

فإن كليهما على دين محمد وآله عليهم السلام، واختلاف أدوات الاستنباط، أو اختلاف مدى اتساع وضيق عملها، أمر راجع للفقيه نفسه.

ومؤلف هذه الرسالة نظر إلى المصادر التي تقول: بأن هناك بون شاسع بين الأصولية الأخبارية في استنباط الأحكام الشرعية، لدرجة

---

(١) يقول السيد كاظم الرشتي قدس سره ـ في جواب سؤال كيف قولكم في الأدلة الأربعة الأصولية ـ: (إن الطريقة المثلى من تلك الطرائق، والحقيقة الوسطى من هذه الحقائق؛ ما عليه محققو علمائنا الأصوليين، ومدققونا وفقهائنا المجتهدين من المتقدمين والمتأخرين ومتأخري المتأخرين، ممن سميتهم ولم تسمهم من أكابر العلماء الأجلاء، وأفاضل الفقهاء النبلاء من هذه الفرقة المحقة ـ قدس الله أرواحهم القدسية وطيب الله أنفاسهم الزكية ـ، من دوران استنباط الأحكام الإلهية الفقهية على هذه الأدلة الأربعة؛ أي: الكتاب، والسنة، وإجماع الفرقة المحقة، والعقل المستنير المتخلص عن الشك والشبهة، وحصول القطع المنزه عن وصمة الظن والريبة، وما يؤول إلى هذه الأربعة من التفريعات الحقيقة).[رسالة في جواب السيد حسن رضا الهندي في بيان الأدلة الأصولية الأربعة "جواهر الحكم" ـ السيد كاظم الرشتي: ج٩ ص٤].

أن بعضهم قال بأن الفروق بينهما تصل إلى أربعين فرقاً، والبعض الآخر أوصلها إلى تسعة وخمسين فرقاً[١]؛ فقسمهم المؤلف إلى فرقتين[٢] ليجد مأخذاً يستطيع من خلاله إدراج اسم الشيخ أحمد الأحسائي تحت عنوان المدرسة الأخبارية.

ولو كان مُلمًّا بوجوه الاختلاف ـ على فرض وجودها ـ لأدرك أنه ليس هناك تباين كلي يستوجب جعل الأخبارية على طرف نقيض مع الأصولية[٣]، في حين أن أصولهما التي تقع في طريق استنباط الأحكام الشرعية هي في الحقيقة ضمن إطار المذهب الواحد، وهو مذهب الشيعة الإمامية.

---

(١) رياض المسائل ـ السيد علي الطباطبائي: ج١ ص١٠٥.

(٢) الشيخية ـ الطالقاني: ص٣٣.

(٣) يقول الشيخ يوسف البحراني ـ وهو الذي كان يدعو المدرسة الإخبارية ويدافع عنها ضد المدرسة الأصولية التي دافع عنها الشيخ الوحيد البهبهاني في تلك الفترة ـ: (قد كنت في أول الأمر أنتصر لمذهب الأخباريين، وقد أكثرت البحث فيه مع بعض المجتهدين من مشايخنا المعاصرين، إلا أن الذي ظهر لي بعد إعطاء التأمل حقه في المقام، وإمعان النظر في كلام علمائنا الأعلام، هو إغماض النظر عن هذا الباب، وإرخاء الستر دونه والحجاب، وإن كان قد فتحه أقوام وأوسعوا فيه دائرة النقض والإبرام. أما (أولاً) فلاستلزامه القدح في علماء الطرفين... وأما (ثانياً) فلأن ما ذكروه في وجوه الفرق بينهما جله بل كله عند التأمل لا يثمر فرقاً..). [انظر/ الحدائق الناظرة ـ الشيخ يوسف البحراني: ج١ ص١٦٧ـ١٧٠].

نعم.. نستطيع أن نقول: إنَّ النهج الأصولي مدرسة لها مبانيها الخاصة في استنباط الأحكام الشرعية، والنهج الأخباري مدرسة لها مبانيها الخاصة كذلك.

ولكن.. لا نستطيع أن نقول: إنهما فرقتان مختلفتان؛ لأن ذلك يعني التباين في مصادر أصول استنباط الحكم الشرعي بينهما، وهذا ليس موجوداً بهذه الصورة حينما نفهم مغزى ذلك، من أن الأمر كله داخل في صغريات النزاع اللفظي لا الحقيقي.

إذ إنَّ هناك جهتين هامتين لابد من أخذهما بعين الاعتبار حين النظر إلى علمية استنباط الأحكام الشرعية، وهما:

الجهة الأولى: مفهوم حصر أدوات الاستنباط

يعتقد الكثير أن المدرسة الأخبارية تحصر أداة استنباطها للحكم الشرعي على الأخبار المروية عن أهل البيت عليهم السلام فقط، وتترك الأدوات الثلاث الباقية ـ ظواهر الكتاب والعقل والإجماع ـ؛ ولهذا السبب أطلق عليهم اسم الأخبارية.

كما قال تلميذ الشيخ الأعظم الأنصاري، الشيخ غلام رضا القمي ـ في تعليقه على فرائد أستاذه ـ: (إنهم لما أنكروا ثلاثة من الأدلة

الأربعة، وخصوا الدليل بالواحد منها أعني الأخبار، فلذلك سمّوا بالاسم المذكور)[١].

والأمر ليس كذلك بتاتاً...!

فإنهم يستخدمون الأدلة الأربعة في استنباطهم للحكم الشرعي[٢]؛ ولم ينكروا ذلك.

نعم.. يجعلون حجية الثلاثة منها ـ ظواهر الكتاب والعقل والإجماع ـ متوقفة على أخذ مضامينها مما ورد من أهل البيت عليهم السلام من الأحاديث، من دون الاستعانة بالقواعد العقلية والأصولية المعروفة؛ وذلك مخافة الاستغراق في الاعتماد على العنصر العقلي في الاجتهاد والابتعاد عن النصوص الشرعية، كما حدث ذلك لمدرسة الرأي عند فقهاء أهل السنة[٣].

ولكن مع هذا.. لا يمكن جعلهم فرقة قسيمه للأصولية، ونقوم بمحاولة ملء بطن النزاع الصغروي ـ لا الكبروي ـ الناشئ من عدم وضوح الرؤية الكافية عن طرق الاستنباط بينهما.

---

(١) قلائد الفرائد ـ الشيخ غلام رضا القمي: ص٧١.

(٢) لأستاذنا ـ المعاصر ـ الشيخ فاضل الصفار بحث موجز عن هذا الأمر، حققه في كتابه الاجتهاد والتقليد، تحت عنوان (الاجتهاد الأخباري). [انظر/ الاجتهاد والتقليد ـ الشيخ فاضل الصفار: ج١ ص١٨٥ـ١٩٤].

(٣) أصول الفقه ـ الشيخ محمد رضا المظفر: ج١ ص١٦.

الجهة الثانية: اتساع وضيق أدوات الاستنباط

يأخذ أمر الاتساع والضيق في أدوات الاستنباط دوراً هامًّا في مبنى الفقيه نفسه، وهو اختلاف جاري ليس بين المدرسة الأصولية والمدرسة الأخبارية فقط؛ بل إنَّ هذه الدائرة تتسع وتضيق حتى عند الأصوليين أنفسهم[١].

فمثلاً: ها هو السيد محمد باقر الصدر[٢] ـ وهو من علماء الأصولية المتأخرين ـ يقول:

(ونرى من الضروري أن نشير أخيراً بصورة موجزة إلى المصادر التي اعتمدنا بصورة رئيسية في استنباط هذه الفتاوى الواضحة، وهي كما ذكرنا في مستهل الحديث عبارة عن الكتاب والسنة النبوية الشريفة، بامتدادها المتمثل في سنة الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم أحد الثقلين الذين أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بهما، ولم نعتمد في شيء من هذه الفتاوى على غير هذين المصدرين.

---

(١) الاجتهاد والتقليد ـ الشيخ فاضل الصفار: ج١ ص١٨٩.

(٢) هو السيد محمد باقر بن السيد حيدر الصدر، ولد في عام (١٣٥٣هـ) بمدينة الكاظمية، واستشهد عام (١٤٠٠هـ) أثناء حكم الرئيس صدام حسين، له مؤلفات عديدة منها: فلسفتنا، المعالم الجديدة للأصول، اقتصادنا، فدك في التاريخ، وغيرها.

أما القياس والاستحسان ونحوهما فلا نرى مسوغاً شرعيًّا للاعتماد عليها تبعاً لأئمة أهل البيت عليهم السلام.

وأما ما يسمى بالدليل العقلي الذي اختلف المجتهدون والمحدثون في أنه هل يسوغ العمل به أو لا؟ فنحن وإن كنا نؤمن بأنه يسوغ العمل به؛ ولكنا لم نجد حكماً واحداً يتوقف إثباته على الدليل العقلي بهذا المعنى؛ بل كل ما يثبت بالدليل العقلي فهو ثابت في نفس الوقت بكتاب أو سنة. وأما ما يسمى بالإجماع فهو ليس مصدراً إلى جانب الكتاب والسنة ولا يعتمد عليه؛ إلا من أجل كونه وسيلة إثبات للسنة في بعض الحالات.

وهكذا كان المصدران الوحيدان هما الكتاب والسنة، ونبتهل إلى الله تعالى أن يجعلنا من المتمسكين بهما ومن استمسك بهما ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1])[2].

فإذا لم يعتمد السيد محمد باقر الصدر على كافة أدوات المصادر الأربعة في استنباطه؛ فهل هذا يعني أنه أخباري المنهج؟

هذا ما أقصده من أمر اتساع وضيق أدوات الاستنباط.

---

(١) سورة البقرة ـ الآية: (٢٥٦).

(٢) الفتاوى الواضحة ـ السيد محمد باقر الصدر: (مصادر الفتوى) ص١٥.

الأمر الثاني في رسالة الطالقاني: حقيقة ما تبناه الشيخ أحمد الأحسائي في منهجه من أفكار ومعتقدات وآراء

تعتبر الشمولية من ركائز الأبحاث العلمية، ومؤلف هذه الرسالة لم يغفل عن ذلك، فقد ختم بحثه بالمؤاخذات على الشيخية، وتحدث عن أربع منها فقط، وهي: (مسألة المعاد الجسماني، مسألة المعراج النبوي، مسألة الغلو والتفويض، ومسألة الإمام الناطق والركن الرابع)[1].

وما دمنا ننظر إلى رسالته ونتحدث عن مستوى جدوى آليته في العرض والنقد، فيكفي تناول مسألة واحدة لاكتشاف ما نريد.. ولتكن مسألة المعاد الجسماني.

فكيف عرض ونقد هذه المسألة؟

وما هو الحكم الذي أصدره بحق اعتقاد الشيخ أحمد الأحسائي؟

تعال معي لنتعرف على ذلك.. ولننطلق من هذه النقطة:

لقد بدأ المؤلف بذكر الآراء الاعتقادية العامة في هذه المسألة ليثبت اعتقاد مذهب الشيعة الإمامية فيها بكلمات تسمح له بالولوج إلى اعتقاد أو رأي الشيخ أحمد الأحسائي فيما بعد، فقال:

---

(١) الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٤٢.

(ويعتقد الشيعة الإمامية ـ كما يعتقد سائر المسلمين ـ أن الله ﷻ يعيد الخلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء، وأن المعاد هو الشخص بعينه، وجسده وروحه؛ بحيث لو رآه الرائي لقال: هذا فلان. فهم ممن يقول بإثبات المعادين الجسماني والروحاني)[١].

ثم ذكر الاتهام الذي وجهه الخصوم للشيخية، وهو:

(القول بأن المعاد هو الروح وحدها، وأن القول بإعادة الجسد يقتضي القول بإعادة المعدوم، وهو محال)[٢]، وأردف كلمات بعضهم[٣].[٤]

وذكر بعد ذلك قول فلاسفة الشيعة، الذين قالوا: (بالمعاد الجسماني، لكنهم صرحوا أن للجسم أجزاءً أصلية هي المعنية بالبعث والمعاد، وأجزاء تضمحل وتذهب ولا تعاد)[٥]، وذكر كلمات بعضهم[٦].

---

(١) الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٥٠.

(٢) الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٥١.

(٣) وهي كلمات الشيخ محمد رضا الهمداني في كتابه هدية النملة إلى مجدد الأمة ص٣٣ـ٣٤، وكلمات السيد مهدي القزويني في كتابه بوار الغالين ص٦٥ـ٦٦.

(٤) وهذا القول ليس بصحيح، فالشيخ أحمد الأحسائي ـ وتلامذته وأتباعه ـ لم يقل باستحالة إعادة المعدوم.

(٥) الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٥٣.

(٦) كالشيخ نصير الدين الطوسي في تجريد الاعتقاد: ص٢٥٥. وشارح كلامه العلامة الحلي في شرح التجريد: ص٢٥٥ـ٢٥٦.. وغيرهم.

أما الملا صدرا الشيرازي فاعتبر في قوله الاضطراب: (فهو في القول الأول[١] يعترف بكثافة الأجسام التي تعود للحشر في الأرواح، وبأجساد أخرى مثلها تقوم مقامها، وفي القول الثاني[٢] يرى المعاد بالجسم الأثري، وأن الجسد العنصري مستحيل فاسد، ويبدو في القول الثالث[٣] مرائياً خائفاً مدارياً لمعتقد الظاهريين معترفاً بأن هذا البدن بعينه هو المحشور لا غيره كما قاله هو)[٤].

---

(١) قوله في الأسفار الأربعة: (وأما ما تزين به محققو الملليين وأفاضل المسلمين، فهو: إن مع هذه الأجساد جواهر أخرى في أشرف وأنور، وليست هي بأجسام كثيفة بل هي أرواح لطيفة تخرج عن هذه الأبدان عند الموت، فلا يتصور عندهم أمر البعث والقيامة إلا برد تلك الأرواح إلى تلك الأجساد، أو أجساد أخرى مثلها تقوم مقامها، يحشرون ويثابون أو يعاقبون بما عملوا من خير أو شر، فهذا الرأي أجود وأقرب إلى الحق). [الحكمة المتعالية ـ الملا صدرا الشيرازي: ج٢ ص١٨١].

(٢) قوله في الأسفار الأربعة: (عن الأبدان الأخروية متوسطة بين العالمين جامعة للتجرد والتجسم مسلوب عنها كثير من لوازم هذه الأبدان الدنيوية، فإن البدن الأخروي كظل لازم للروح وكحكاية ومثال له، بل هما متحدان في الوجود بخلاف هذه الأبدان المستحيلة الفاسدة). [الحكمة المتعالية ـ الملا صدرا الشيرازي: ج٢ ص١٨٣].

(٣) قوله في الأسفار الأربعة: (إن من تأمل وتدبر لم يبق له شك وريب في مسألة المعاد وحشر النفوس والأجساد، ويعلم يقيناً ويحكم بأن هذا البدن بعينه سيحشر يوم القيامة بصورة الأجساد، وينكشف له أن المعاد في المعاد مجموع النفس والبدن بعينهما وشخصهما، وأن المبعوث في القيامة هذا البدن بعينه لا بدن آخر مباين له عنصريًّا كما ذهب إليه جمع من الإسلاميين، أو مثاليًّا كما ذهب إليه الإشراقيون، فهذا هو الاعتقاد الصحيح المطابق للشريعة والملة الموافق للبرهان والحكمة). [الحكمة المتعالية ـ الملا صدرا الشيرازي: ج٢ ص١٩٧ـ١٩٨].

(٤) الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٥٦.

وقبل أن يأتي برأي الشيخ أحمد الأحسائي قال: (وإذا رجعنا إلى كتب العقائد عند الشيخية وإلى أقوال علمائهم في هذه المسألة، وقرأناها بتدبر لم نجد فيها شيئاً جديداً من تفرد بقول أو ابتكار لرأي مما يمكن اعتباره خرقاً لإجماع الطائفة أو خروجاً عن معتقداتها بحيث يستحق هذا التهويل، بل وجدناهم يجترون أقوال الأوائل ويعيدون أفكارهم مع بعض الاختلاف في المصطلحات والتغيير في الألفاظ)[١].

وقد يبدو للقارئ من هذه الكلمات أن المؤلف يذهب إلى عدم مخالفة الشيخ أحمد الأحسائي لمعتقدات علماء الشيعة الإمامية في مسألة المعاد.. فهذا ما يظهر من قوله[٢].

وفجأة.. يتحول إلى رأي آخر في اعتقاد الشيخ أحمد الأحسائي فيقول: (يبدو لنا أن الأحسائي كان يرى ما رآه بعض قادة الفكر وفلاسفة الشيعة من قبل[٣]، من أن المعاد روحاني أو بالجسد المثالي، وأنه لا علاقة للجسد الدنيوي فيه مطلقاً)[٤]!!

---

(١) الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٥٦.

(٢) بقرينة قوله (خرقاً لإجماع الطائفة أو خروجاً عن معتقداتها)، فحتماً لا يقصد بذلك إلا علماء الشيعة الذين قالوا بالمعاد الجسماني، والفلاسفة الذين فصلوا ذلك، لا الملا صدرا الشيرازي الذي قال بالمعاد الروحاني؛ لأن الإجماع لم ينعقد على كلماته، ولأنه خرج عن معتقد الإمامية في هذا المسألة.

(٣) ويقصد بذلك الملا صدر الشيرازي، وهذا رأي خصومه، ومنهم البرغاني الذي افترى عليه ذلك في بداية تكفيره، كما مر سابقاً.

(٤) الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٥٦.

وأخذ يجر كلمات الشيخ أحمد الأحسائي بشتى الطرق إلى القول بالمعاد الروحاني على رأي الفلاسفة.

فاختلق أعذاراً لذلك ومنها:

١ـ إن الشيخ أحمد الأحسائي كان متحفظاً عن الاعتراف بالمعاد الروحاني بصراحة، فقال: بأن هناك جسدان: جسد عنصري تألف من العناصر الزمانية، وهذا يضمحل وتعود عناصره إلى أصلها، وجسد أصلي من أرض هورقليا، وهو الباقي الذي يعاد فيه الإنسان[١].

٢ـ إن الشيخ أحمد الأحسائي كان يقول بالمعاد الروحاني بالجسد الهورقليائي، ولما كُفر تبرأ وتراجع عن ذلك، (عاد فقال: إنه لا يريد بقوله مخالفة الرأي السائد بعودة هذه الأجسام، فالجسم المعاد هو هذا العنصري لكن بعد تصفيته)[٢].

٣ـ في كلام الشيخ أحمد الأحسائي تناقضات ومغالطات في مسألة المعاد، فهو يحاول أن (يراوغ ويلف ويدور ويعود إلى حيث بدأ. فهو يقول: إن الجسد الأول يتلاشى بعد الموت ويتحلل فيلحق كل جزء

(١) الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٥٧.

(٢) الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٥٨.

بأصله، ومعنى ذلك أنه لا يعود. ثم يقول: إننا نريد بالجسد الثاني المعاد هذا المرئي الملموس بعينه الذي هو جسد الآخرة)[١].

٤ـ عند الشيخ أحمد الأحسائي رأي غريب في مسألة المعاد، وهو تجسم الأعمال، وأن الإنسان يحشر على صورة عمله[٢].

وعلى ذلك.. استنتج المؤلف أنَّ الشيخ أحمد الأحسائي أنكر المعاد الجسماني، فحكم عليه في قوله: (وخلاصة القول في مسألة المعاد عند الأحسائي: أنه قال بالمعاد الروحاني في الجسد الهورقليائي، وأنكر المعاد الجسماني بالبدن العنصري، وقوله في ذلك صريح لا يقبل التأويل، ولا يحتمل التعليل)[٣]!!

فما رأيك في طريقته في العرض والنقد؟

وما رأيك بالحكم الذي أصدره بحق اعتقاد الشيخ أحمد الأحسائي في هذه المسألة؟

حسناً..

دعنا نتناول ذلك مع قليل من التحليل.

---

(١) نفس المصدر السابق: ص٢٦٠.

(٢) ليس رأياً غريباً، وقد بحثنا هذا الموضوع عند الشيخ أحمد الأحسائي في كتابنا "تجسم الأعمال على ضوء مباني الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي"

(٣) الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٦٠.

ولكن.. أحتاج أولاً بيان هذه النقطة:

لقد اتفق الجميع ـ من علماء وفلاسفة، من الظاهريين والمفصلين لباطن هذه المسألة ـ في أمر وقوع المعاد الروحاني؛ فلنستبعده من دائرة بحثنا لأنه ليس مورد الخلاف.

ولكنهم اختلفوا في أمر إثبات كيفية وقوع المعاد الجسماني:

فقال علماء الشيعة الإمامية: إنه من الضرورة أن يكون هناك معاد جسماني لظاهر النصوص الصريحة بذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمﷺقُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم﴾[1].

وقال بعض الفلاسفة: باستحالة المعاد الجسماني بناء على القاعدة الفلسفية "استحالة إعادة المعدوم"، وبناء على شبهة "الآكل والمأكول".

وقال بعض آخر من الفلاسفة (ومنهم بعض المتكلمين والعرفاء): هناك معاد جسماني؛ ولكنهم فصلوا في رأيهم لبيان ظاهر قول علماء الشيعة الإمامية[2]، فقالوا:

---

(١) سورة يس: (٧٨-٧٩).

(٢) وللرد والإجابة على قول الفلاسفة الذي قالوا باستحالة المعاد الجسماني بناء على قواعدهم وشبهاتهم الفلسفية.

إنَّ هناك جسداً لا يعود وهو المكون من العناصر الزمانية، وجسد يعود وهو الجسد الأصلي.

واصطلحوا على كل واحد منهمت بمصطلحات، فسموا الأول: الأعراض، الأجزاء الغريبة، الأجزاء المضافة، الجسد العنصري، الجسد الدنيوي، الجسد الأولي.. إلخ. وسموا الثاني: الجوهر، الأجزاء الأصلية، الجسد الأصلي، الجسد الثاني.. إلخ.

ولا مشاحة في الاصطلاح ما دام كل واحد منهم قد بين مقصوده ومعناه[١].

ورأي الشيخ أحمد الأحسائي في الأجساد هو كهؤلاء[٢].. فهو يقول بالمعاد الروحاني وبالمعاد الجسماني؛ ولكنه فصل في رأيه، ولم يبقه على ظاهر ما عليه علماء الشيعة الإمامية.

ولكن المؤلف لم يقبل بهذا التصريح واعتبره مداهنة لخصومه، وتراجعاً عن قوله بالمعاد الروحاني، فقال:

(غير أنه لما انتقد من قبل خصومه وشهر به وكفر أردف الرأي الأول بأقوال مفادها القول بالمعاد الجسماني، وأن المُعاد في المَعاد

---

(١) انظر/ إحقاق الحق ـ الميرزا موسى الحائري الإسكوئي: ص٤٩ـ٥٦.

(٢) وقد قبل وأخذ المؤلف برأيهم، ولم يعترض عليهم. [انظر/ الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٥٣ـ ٢٥٦].

هذا الجسم الدنيوي المرئي المحسوس بعد تصفيته وذهاب كدورته والأعراض الغريبة التي لحقته في عالم الحياة.

وهو تراجع صريح عن رأيه الأول، ومداهنة جارى بها خصومه المتزمتين، خلافاً لرأيه الأول الذي اتبع فيه من سبقه من الفلاسفة، والتعليلات التي برر بها رأيه، والاتهامات التي ألصقها بغيره من عدم فهم مقصوده، واعتذاره بأنه اصطلاح غير مأنوس، أو أنه كتب لأهله ونحو ذلك من الأقوال الواهية، إنما هي تمحل صرف وتهرب من واقع ملموس لا يقبل الإنكار.

فقد صرح هو وغيره من قدامى ومحدثين أن الجسم يتألف من العناصر الأربعة، وأنه إذا فارقته الحياة تلاشى، وأكلته الأرض، ولحق كل جزء بأصله من تراب وماء ونار وهواء)[1].

فلماذا لم يقبل من الشيخ أحمد الأحسائي ذلك واعتبره تراجعاً ومداهنة لخصومه لما كفروه؟

بالرغم من أنه بين في جميع نصوصه ـ في مسألة المعاد ـ أن هناك جسدين: عنصريًّا، وأصليًّا[2].

---

(١) الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٦٢ـ٢٦٣.

(٢) والشيء الغريب أن جميع النصوص التي نقلها المؤلف تذكر ذلك.

بل بغض النظر عن تفصيلات الشيخ أحمد الأحسائي الأكثر عمقاً واتساعاً في هذه المسألة، ومصطلحاته التي اختص بها في بيانها؛ فلا ريب أنه قد وافق أولئك الفلاسفة الذين قبل وأخذ برأيهم المؤلف، وهم الذين قالوا بوجود الجسدين.

فلماذا قبل تفصيلهم في مسألة المعاد، ولم يقبله من الشيخ أحمد الأحسائي؟

ولماذا حكم عليه بالقول بالمعاد الروحاني، ولم يحكم عليهم أيضاً؟

لأنه ـ عزيزي القاؤئ ـ:

أولاً: لم يكن مُلمًّا بمسألة المعاد عند الشيخ أحمد الأحسائي إلماماً دقيقاً؛ فوقع فيما وقع فيه غيره حينما تعرضوا له فيها، واصطدموا مع مصلطح هورقلياء، وقاموا بربطه بمسألة المعاد لديه!

فالشيخ أحمد الأحسائي يقول: إن للإنسان جسمين وجسدين:

الجسم الأول: الأصلي الذي نزل به من عالم الغيب، وهو الحامل للروح.

الجسم الثاني: العرضي أو المثالي أو الهورقليائي الذي تخرج به الروح بعد الموت وتبقى به في عالم البرزخ، وتخلعه بعد نفخة الصور، وهو المخلوق من أعراض عناصر عالم هورقليا.

الجسد الأول: العنصري المخلوق من عناصر هذه الأرض الأربعة الكثيفة (الماء، النار، الهواء، التراب)، ويضمحل بعد الموت؛ أي: تعود عناصره إلى ما منه بدأت.

الجسد الثاني: الأصلي المخلوق من أرض عالم هورقليا، أي: من أسفل ذلك العالم (أصول عالم الأجسام)، وهذا يبقى في القبر مستديراً، وتلجه الروح في يوم القيامه بالجسم الأصلي، فيخرج الإنسان بجسمه وجسده الأصليين.[1]

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (هذا الإنسان له جسدان وجسمان: فالجسد الأول: من العناصر المحسوسة، ونريد به هذه الصورة والتركيب في الدنيا؛ لأنه إذا مات وكان تراباً ذهبت هذه الصورة، فإذا أعيد على هذه الصورة بعينها ليست هي الأولى، مثل ما مثلنا لك في الخاتم، ومثل ما مثل الإمام عليه السلام باللبنة، وهذه الصورة هي الجسد الأول الذي لا يعود وهو مخلوق من العناصر المحسوسة وهو الكثافة. والجسد الثاني: هو الباقي وهو الذي يعود وهو مخلوق من عناصر هُورقليا، أعني العالم الذي قبل هذا العالم؛ معناه: ملك آخر، وهذا اسم لتلك الأفلاك، وفي أرضها بلدان جابرسا وجابلقا. والجسم الأول: هو الذي يلبسه الروح في البرزخ ما بين الموت إلى نفخة الصور الأولى، فإذا نفخ في الصور وبطل كل روح وكل متحرك أربعمائة سنة طهر ذلك الجسم عن أوساخ البرزخ وكثافته بالنسبة إلى عالم الآخرة، وهذه الكثافات هي مرادنا من الجسم الأول الذي لا يعود. ويبقى الجسم الثاني الجوهري الصافي حتى تحله الروح وتمضي معه إلى الجسد الثاني بين أطباق الثرى فتدخل بجسمها فيه فيخرج في النشور من القبور والحساب بجسمه وجسده الصافيين، وهما هذا الجسم والجسد الموجود في الدنيا؛ وإنما يظهر، لعن الله من قال بغير هذا). [رسالة في جواب بعض الأخوان في المعاد الجسماني "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٥ ص٥٣١].

فلو تأملت جيداً في هذا المختصر..

ستدرك عدم وجود الارتباط بين عالم هورقلياء، ومسألة المعاد الجسماني عند الشيخ أحمد الأحسائي بتاتاً.. لا من قريب ولا من بعيد.

وما سبب له ـ ولغيره ـ الاشتباه في هذه المسألة، هو عدم تفريقه بين الجسم الهورقليائي (الثاني) الذي تخرج به الروح في البرزخ بعد الموت، وبين الجسد الأصلي الذي يبقى في القبر مستديراً، وهو المخلوق من أرض عالم هورقلياء؛ أي: من تلك العناصر الحسية اللطيفة التي تمتنع رؤيتها بسبب كثافتنا.

فالجسم الهورقليائي تخرج به الروح في عالم البرزخ، ومكان هذا العالم في دائرة عوالم الوجود قبل يوم القيامة الذي يكون فيه المعاد الجسماني[1].

والجسد الأصلي، وإن قال بأنه قد خلق من أرض عالم هورقليا، فلا يعني ذلك تجرده، لأن طبيعة أرض هذا العالم (طبيعة أسفله)

(١) انظر/ كتابنا "عالم هورقلياء عند الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي"، فقد بينا الفرق بين مسألة عملية الموت التي تبحث في البرزخ، وبين مسألة المعاد التي تبحث في يوم القيامة.. وفيه بيان كافٍ لرفع الاشتباه والإشكالات على الشيخ أحمد الأحسائي في هذا الأمر.

حسية لطيفة، وليست مجردة كطبيعة أعلاه الملاصق لعالم الدهر.. وقد أكد مراراً على حسيته[١].

ثانياً: المؤلف من الأساس كان يبني مبحثه في هذا المسألة على المصادر التي تقول بأن الشيخ أحمد الأحسائي قال بالمعاد الروحاني، وأنكر المعاد الجسماني؛ فكانت مقدمته خاطئة!

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (وأما الجسد الثاني: فهو الجسد الباقي، وهو الطينة التي خلق منها ويبقى في قبره، إذا أكلت الأرض الجسد العنصري وتفرق كل جزء منه ولحق بأصله، فالنارية تلحق بالنار، والهوائية تلحق بالهواء، والمائية تلحق بالماء، والترابية تلحق بالتراب، يبقى مستديراً كما قال الصادق عليه السلام، وقال علي عليه السلام في النفس النباتية: «فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدِئَتْ عود ممازجة لا عود مجاورة»، وعنى بها الجسد العنصري الذي ذكرنا. وأما الثاني الباقي هو الذي ذكره الصادق عليه السلام، تبقى طينته التي خلق منها في قبره مستديرة؛ أي: مترتبة على هيئة صورته، أجزاء رأسه في محل رأسه، وأجزاء رقبته في محلها، وأجزاء صدره في محله، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾، وهذا الجسد هو الإنسان الذي لا يزيد ولا ينقص يبقى في قبره بعد زوال الجسد العنصري عنه الذي هو الكثافة والأعراض، فإذا زالت الأعراض عنه المسماة بالجسد العنصري لم تره الأبصار الحسية، ولهذا كان رميماً وعدم لم يوجد شيء، حتى قال بعضهم: إنه يعدم، وليس كذلك، وإنما هو في قبره إلا أنه لم تره أبصار أهل الدنيا لما فيها من الكثافة، فلا ترى إلا ما هو من نوعها.. وهذا الجسد الباقي هو من أرض هورقليا، وهو الجسد الذي فيه يحشرون ويدخلون به الجنة أو النار.. وأما الجسمان فالأول: هو ما تخرج به الروح وهو مع الروح ويفارق الجسد الباقي، والموت يحول بينهما، وهو مع الروح في جنة الدنيا عند المغرب، وتأتي فيه إلى وادي السلام وتزور فيه بيته ومحل حفرته. وروح المنافق مع ذلك الجسد في نار الدنيا عند مطلع الشمس، وعند غروبها تأوي فيه إلى برهوت، وتسري فيه في وادي الكبريت في المركبات المسخوطات الملعونات. وذلك حال الفريقين إلى نفخة الصعق، ثم تبطل الأرواح فيما بين النفختين وتبطل كل حركة من الأفلاك، ومن كل ذي روح ونفس حيوانية أو نباتية، وذلك مدة أربعمائة سنة ثم يبعثون في الأجسام الثانية، وذلك لأن تلك الأجسام تصفى وتذهب كثافتها، وهي الأجسام الأولى كما قلنا في الأجساد حرفاً بحرف، ويحشرون في الأجساد الثانية، وهي هذه التي في الدنيا بعينها لا غيرها وإلا لذهب معها ثوابهم وعقابهم، ولكن هذا الجسم الذي في الدنيا هو بعينه هذا المرئي لطيف وكثيف). [شرح الزيارة الجامعة "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٤ ص٣٤ـ٣٨].

ولو كان ملمًّا بجوانب هذه المسألة في الوسط الفلسفي وعند الشيخ أحمد الأحسائي إلماماً دقيقاً، بحيث يستطيع تحليل الأقوال فيها، ويكتشف الفروقات الجوهرية بينها؛ لأدراك أن نصوص الشيخ أحمد الأحسائي هي هي، قبل وبعد تكفيره، لم يتغير رأيه فيها بتاتاً.

نعم.. كان منها مجمل، ومنها مفصل مبثوث في كتبه ورسائله، ولا يعني ذلك أن هناك اختلافاً بينها يجعلنا نفهم أنه قال بالمعاد الروحاني، ثم تراجع بعد تكفيره مداهنة لخصومه فقال بالمعاد الجسماني بالصورة الظاهرية التي قال بها علماء الشيعة الإمامية.

والمؤلف نفسه يعترف بقصوره في إدراك معاني المصطلحات الهامة في هذه المسألة؛ فها هو يسأل بعدما حكم على الشيخ أحمد الأحسائي، فيقول:

(فما هو معنى التصفية؟

وأي جزء من هذه الأجزاء يترك وأيها يعود؟

وما هي الكدورة والعرض؟

وما هو الجوهر؟)[1]!!

---

(١) الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٦٣.

وحتماً.. إن إجابات هذه الأسئلة لن يجدها في عملية جمع المصادر والربط فيما بينها، بل سيصل إليها حينما تكون لديه الملكة في الموضوع الذي يبحث فيه.

وبناء على ذلك..

لا يمكن أن نعتني بجميع النتائج التي جاءت في رسالته؛ لأن عملية العرض والنقد تم بناؤه على سلم جمع المصادر والربط فيما بينها، لا على عملية التفكير العميق الذي ينبع من عنصر الملكة، وقوة الناقد في الوصول إلى الحقائق الصحيحة.

هذا ما كنت أقصده من وجوب توفر الملكة في عملية النقد؛ أما بالنسبة إلى العنصر الثاني، وهو التجرد من كل شيء؛ فسوف تفهم ما أرمي إليه في أثناء حديثنا عن الرسالة الثانية.

فتعال معي لنتعرف على ذلك..

ثانياً: رسالة الماجستير[1] لخالد فواز محمد الحارثي[2]

حينما تقرأ هذه الرسالة بتدبر مع إمعان النظر إلى الطريقة التي اتبعها المؤلف في عملية عرضه ونقده؛ ستجد أنه قد جعل المصادر هي مدار الحكم فيها؛ فوقع في الأمر نفسه الذي وقع فيه السيد محمد الطالقاني في رسالته.

وعلى ذلك.. لم يكن موفقاً - أيضاً - في الكشف عن حقيقة شخصية الشيخ أحمد الأحسائي، ولا عما تبناه من أفكار ومعتقدات وآراء بالصورة البحثية العلمية التي ترضي من يلتفت إلى هذه النقطة.

فالكلام نفسه المار في تلك الرسالة من ناحية أهمية توفر عنصر الملكة ينطبق هنا بطوله.. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى.. لم يكن مؤلف هذه الرسالة منصفاً في بحثه بتاتاً، فحينما نغض النظر عن مصادر الأفكار، ونتحدث عن التركيبة البنائية لرسالته؛ فسوف نجد أنها:

---

(١) نال مؤلفها درجة الماجستير من جامعة أم القرى (السعودية) عام (١٤٣٥هـ). وطبعت الطبعة الأولى في عام (١٤٤٠هـ) بالسعودية، عن دار الأوراق الثقافية للنشر والتوزيع، تحت سلسلة الرسائل العلمية عدد رقم (٤٩).

(٢) لم أجد ترجمة له، ولكن الظاهر أنه سعودي معاصر.

أولاً: الرسالة برمتها تناولت خمسة فصول تحدثت عن ثلاثة مواضيع أساسية، وهي:

١ـ التعريف بجماعة الشيخية وبرئيسها وتلامذته وأتباعه وكل من انتسب إليها[١].

٢ـ المعتقدات التي وافقت فيها الشيخية الشيعة الإمامية؛ كتحريف القرآن، والإمامة، والعصمة..[٢].

٣ـ المعتقدات التي كان للشيخية فيها طريقة استدلال تختلف عن طريقة الشيعة الإمامية؛ كالمعاد الجسماني، المعراج..[٣].

ومن الواضح أن الموضوع الذي طغى على مبحثه فأخذ الجزء الأكبر من رسالته هو الثاني، فتحول بحثه من دراسة معتقدات وأفكار وآراء فرد إلى دراسة معتقدات وأفكار وآراء مذهب بكامله!

وهل يعقل تحميل الشيخ أحمد الأحسائي الخلاف المذهبي بين الشيعة والسنة في تلك المواضيع، وكأنه فقط من يمثل التشيع بأكمله؟!

---

(١) في الفصل الأول وفي الفصل الثاني من صفحة رقم (٣٣) إلى صفحة رقم (١٥١).

(٢) في الفصل الثالث من صفحة (١٥٣) إلى صفحة (٣٩٥).

(٣) في الفصل الرابع من صفحة (٤١٣) إلى صفحة (٤٨٦). والفصل الأخير تحدث فيه عن نسبة البابية والبهائية إلى الشيخية، ذلك الافتراء الذي ألصقه خصوم الشيخية بها من صفحة (٤٨٩) إلى صفحة (٤٩٥).

ثانياً: لقد قام بقراءة فكر الشيخ أحمد الأحسائي ونقده من خلال منطلقاته المستندة على مباني المذهب السني.

وهذا خلاف مبنائي.. غير علمي، ولا يعتنى بنتائجه في أصول النقد عند أهله.

وكان من المفترض أن يقوم بقراءة فكره ونقده من خلال منطلقاته القائمة على مباني المذهب الشيعي، وهو ما يسمى بالخلاف البنائي الذي يُعتمد عليه في علمية النقد الصحيحة.

فمثلاً: لو أردت نقد الفكر الغربي:

فنقدك لن يكون له اعتبار إن تم من خلال مبانيك الإسلامية، كنقده من خلال القرآن أو السنة؛ لافتقارهم إلى هذه المباني في أصولهم، وإنما يجب أن تقرأ أفكارهم جيداً ثم تقوم بنقدها من خلال منطلقاتهم أومبانيهم التي يستندون إليها؛ كنقد النصارى من خلال الإنجيل، واليهود من خلال التوراة.. وهكذا.

فتوجب على المؤلف:

١ـ أن يلتفت إلى هذه النقطة وهي الفرق بين الخلاف المبائي والخلاف البنائي، وأيهما المعتمد عليه في أصول النقد العلمي.

٢ ـ أن يطلع على الفكر العام للمذهب الشيعي ؛ فيقرأه قراءة جيدة، وينقده من خلال منطلقاته.

٣ ـ أن يطلع على الفكر الخاص للشيخ أحمد الأحسائي ؛ فيقرأه قراءة جيدة، ثم يقوم بنقده من خلال منطلقاته الفكرية.

هكذا فقط نستطيع القول: إنَّ المؤلف حاول أن يكون حياديًّا أو متجرداً ولو بصورة معينة، أما بالطريقة التي قام بها فلا شك أن لنتائج رسالته عدم الاعتبار عند العارف بأصول النقد وأساساته.

وعلى أي حال..

وإن كان هناك الكثير من هذا النوع من الكتابات ضد الشيخ أحمد الأحسائي ؛ إلا أنه من المحال أن تجد فيها الأدلة المعتبرة التي تم بناؤه على معاريض أصول النقد العلمي.

وهذا الأمر يضع أصحاب هذا المدعى في موقف صعب جدًّا، ويضيق عليهم دائرة دعواهم، وإن أطنبوا في تداولها عليه.

خصوصاً، أنهم يقولون: أنَّ فساد أفكاره ومعتقداته وآرائه في منهجه جاءت في الضروريات الشرعية![1]

(١) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ٦٤.

والحاصل ـ عزيزي القارئ ـ في الحكم على هذا المدعى:

بعد افتراض صحته، والبحث في إجابات تلك الأسئلة الثلاثة التي تم تناولها سابقاً، من المؤكد أنه غير صحيح، وأن السبب الذي استند إليه أصحابه لتكفير وإقصاء وتهميش منهج ـ وشخصية ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ وهو وجود الأفكار والمعتقدات والآراء الفاسدة في منهجه ـ لا يمكن أن نُسلم بكونه سبباً حقيقًّا يخولهم لفعل ذلك معه.

فهل سنجد في المدعى الأخير سبباً حقيقيًّا لذلك؟

هذا ما سنتناوله في الموضوع القادم..

المدعى الثالث:

فساد تلامذة وأتباع الشيخ أحمد الأحسائي

هناك من اعترفوا بشخصية الشيخ أحمد الأحسائي ومكانته العلمية فلم يطعنوا في ذات شخصيته أو في أفكاره ومعتقداته وآرائه ؛ بل اعتبروه من نخبة علماء وفلاسفة الشيعة الإمامية.

ولكنهم قاموا بإقصاء وتهميش شخصيته ومنهجه من منظومة الفكر الإسلامي لسبب آخر في مدعاهم، وهو:

الفساد الذي نشأ من بعض تلامذته وأتباعه[1]!

---

(١) يقول الشيخ الملا حبيب الله الشريف الكاشاني: (الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي بن إبراهيم بن صقر بن داغر بن راشد بن دهيم بن شمروخ بن آل صقر الأحسائي، كان عالماً فاضلاً زاهداً مرتاضاً عابداً صالحاً، ذا يد طولى في تتبع الأخبار وفهمها..

وظني أنه كان لزهده خالياً من الأغراض الدنيوية حيث Yنه لم يأل جهداً في تحصيل العلوم الشرعية، ولم يطعن على علمائنا في شيء من كتبه، وإنما نشأ الغرض وصدر الطعن عن بعض من ينتسب إليه من أتباعه، ومن هذا حاله كان المرجو من الله ألا يؤاخذه على عثراته وزلاته في المطالب العلمية، كيف ومراتب رياضاته وعباداته وزهده وانقطاعه عن الدنيا وأهلها معروفة مشهورة، وقد أجازه جملة من الأساطين من الفقهاء والمجتهدين ومدحوه بما لا مزيد عليه..

وبالجملة نسبة هذا الشيخ الجليل إلى بعض ما لا ينبغي ولا سيما ممن لا يطلع على مطالبه واصطلاحاته جرأة عظيمة، نعم فيمن ينتسبون إليه ممن يزعمون أنهم من أتباعه جهال لا يبالون بأمر الدين فيطعنون على الفقهاء والمجتهدين، والشيخ المذكور بريء منهم ومما يفترون). [لباب الألباب في ألقاب الأطياب ـ الكاشاني: ص٥٢ـ٥٤].

وعلى رأسهم تلميذه الأول السيد كاظم الرشتي، وكريم خان الكرماني الذي كان تلميذاً للسيد كاظم الرشتي[١]، والسيد علي محمد الشيرازي (الباب)[٢].[٣]

فهل هذا المدعى صحيح؟

وهل السبب الذي قدموه حقيقيٌّ يخولهم إقصاء وتهميش شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي من منظومة الفكر الإسلامي؟

---

(١) مرت ترجمته، وسوف تأتي الإشارة إليه لاحقاً.

(٢) سوف تأتي الإشارة إليه لاحقاً.

(٣) يقول السيد محمد شفيع الجابلقي البروجردي عن الشيخ أحمد الأحسائي وتلامذته وأتباعه: (والشيخ المذكور كان ذاكراً ومتفكراً لا يتكلم إلا في العلم والجواب عن السؤالات العلمية أصولاً وفروعاً وحديثاً، وكان مشغولاً بالتدريس ويدرس أصول الكافي والاستبصار، ولا نرى منه إلا الخير.. وأكثر الفساد نشأ من أجل تلامذته السيد كاظم الرشتي، والمنقول عن هذا السيد مذاهب فاسدة لا أظن أن يقول الشيخ بها، بل المنقول أن السيد علي محمد الشيرازي المعروف بالباب الذي يدعي دعاوي فاسدة هو سماه الباب، وكذا سمى بنت حاجي الملا صالح القزويني بقرة العين). [الروضة البهية في الإجازة الشفيعية ـ السيد محمد شفيع الجابلقي: ص٩٠ـ٩١].

ويقول الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء: (والحق أنه من أكابر علماء الإمامية وعرفائهم، وكان على غاية من الورع والزهد والاجتهاد في العبادة كما سمعناه ممن نثق به ممن عاصره ورآه، نعم له كلمات في مؤلفاته مجملة متشابهة لا يجوز من أجلها التهجم والجرأة على تكفيره بها، ولكن تلميذه الكرماني والرشتي قد خرجا عن الجادة القويمة، وزاغا زيغاً عظيماً، ولكن لا أدري هل بلغ ذلك بهما إلى حد الكفر والخروج عن الدين أم لا، نعم أدخلا على الشيعة الإمامية أشد محنة وأعظم بلية، ومنها نشأت بلية البابية، وإن كان كريم خان قد كفر (الباب) ورد عليه، فلا حول ولا قوة إلا بالله). [الآيات البينات في قمع البدع والضلالات ـ الشيخ محمد آل كاشف الغطاء: القسم الرابع ص١٨].

حتى نكتشف ذلك..

لا بد أن نفهم علاقة تلك الشخصيات بهذا المدعى ؛ فنحتاج أن نتحدث عن دورها مع شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي أولاً ؛ ثم نتمعن في ذلك ليتضح لنا الأمر منها.

فتعال معي لنلقي نظرة على أدوار تلك الشخصيات..

دور السيد كاظم الرشتي مع منهج الشيخ أحمد الأحسائي

ليس من الغريب أن يكون للشيخ أحمد الأحسائي الكثير من التلامذة، فهو رجل تمتعت شخصيته بمزايا علمية فريدة جعلتها محط اهتمام الكثيرين في زمانه ـ وبعده ـ، وخصوصاً طلبة العلم الذين كانوا يتسارعون إلى قرع أبواب درسه.

وبالرغم من كثرة تلامذته إلا أن منهم من تتلمذ على يديه ولم يحمل فكره؛ كالشيخ مرتضى الأنصاري[1]، والشيخ هادي السبزواري[2].. إلخ.

ومنهم من حمل فكره ودافع عنه؛ كأبرز تلامذته السيد كاظم ابن السيد قاسم ابن السيد أحمد ابن السيد حبيب الحسيني الموسوي الرشتي[3].

---

(١) مرت ترجمته سابقاً.

(٢) هو الشيخ هادي مهدي بن هادي بن مهدي السبزواري، المعروف بـ(ملا هادي السبزواري)، ولد في عام (١٢١٢هـ) في مدينة سبزوار، وتُوفّي في عام (١٢٨٩هـ)، من مؤلفاته: منظومة في الحكمة مشهور بمنظومة السبزواري، الرحيق في علم البديع، أسرار العبادة في الفقه.

(٣) ينتسب السيد كاظم الرشتي من جهة الأب إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن جهة الأم إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام. [الوصية "مجموعة رسائل" ـ السيد كاظم الرشتي: ج٢ ص٢.

وقد ولد السيد كاظم الرشتي في مدينة رشت شمال إيران عام (١٢٠٥هـ ـ ١٢١٢هـ)[١]، ومنذ أوائل طفولته ظهرت عليه علامات

(١) لا يوجد هناك تاريخ مضبوط لولادة السيد كاظم الرشتي، فاختلف الباحثون في ذلك.

فمنهم من قال: بأنه ولد في تاريخ (١٢١٢هـ) كما قاله الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي وغيره. [انظر/ فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد الأحسائي ـ الإبراهيمي: ج١ ـ ص١٤٦. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ـ الخوانساري: ج١ ص٢٢٥].

ومنهم من قال: بأنه ولد في تاريخ (١٢٠٥هـ)، كالشيخ زين العابدين بن عبد الرضا إبراهيمي. توصل إليه من خلال تدقيق قال فيه: (وولد السيد المرحوم ـ يقصد السيد كاظم الرشتي ـ في سنة الألف ومائتين واثني عشرة هجرية، وهذا ما نقل من المرحوم السيد جواد الهندي، وما عثرنا على مأخذ هذا التاريخ. وأما على ما تحقق عند راقم هذه السطور من الأدلة والقرائن المتعددة المنادية بأن السيد المرحوم سافر إلى يزد للتشرف بخدمة أستاذه العالم الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي ـأعلى الله مقامه ـ وهو ابن سبع عشرة سنة تقريباً، وكان هذا في سنة (١٢٢٣هـ) ظاهراً، فتكون ولادته الشريفة حوالي سنة (١٢٠٥هـ) أو (١٢٠٦هـ)، وعلى ما كتب صاحب نور الأنوار أن عمره الشريف كان خمساً وخمسين سنة، ومعلوم عندنا أن وفاته (اع) في ليلة الحادي عشر من ذي الحجة سنة (١٢٥٩هـ)، فيكون ولادته الشريفة في حدود سنة (١٢٠٤هـ) أو (١٢٠٥هـ)، ويؤيد هذا ـ أيضاً ـ ما رأيته في بعض ما يروي العالم المحدث الفقيه السيد حسين اليزدي ـ رحمه الله ـ في غير موضع من مصنفاته وتواريخه، وقد ذكر صاحب مكارم الآثار ـ أيضاً ـ اسمه الشريف في عداد مواليد سنة (١٢٠٥هـ)، وبناءً على هذه وغيرها من القرائن تكون ولادته حوالي سنة (١٢٠٥هـ) أو قبلها أو بعدها بسنة، وليس في سنة (١٢١٢هـ)، والله أعلم).[جواهر الحكم ـ السيد كاظم الرشتي: المقدمة ص(ج)].

ومنهم من لم يرضَ بكلا التاريخين كالسيد محمد الطالقاني، حيث قال: (ويبدو للباحث أن كلا التاريخين غير صحيح؛ لأن عمره يكون يوم وفاة أستاذه الأحسائي تسعاً وثلاثين سنة! وهو مستبعد لأن بعض المجتهدين من كبار تلامذة أستاذه كالشيخ حسن جوهر قد تتلمذ عليه، واستجازه كما سيأتي بيانه، ولأن عمره يكون يوم وفاته ستاً وأربعين سنة، وإن إنتاجه العلمي ومؤلفاته الكثيرة بحاجة إلى زمن أطول لا سيما إذا عرفنا فيما يأتي أنه قضى فترة غير قصيرة من عمره، خصوصاً بعد وفاة أستاذه في اضطراب وقلق ومضايقه من جراء المهاترات والخصومات وحرب الأعصاب، التي كان يشنها عليه معارضوه، ومع ذلك ظهر له من الإنتاج الغزير ما يتطلب عادة وقتاً طويلاً). [الشيخية ـ الطالقاني: ص١١٨ـ ١١٩].

النبوغ، فأحضر له والده معلماً ليعلمه القراءة والكتابة.. وقبل بلوغه سن التكليف حاز على أعلى درجات العلم والكمال[١].

وللقاء السيد كاظم الرشتي بالشيخ أحمد الأحسائي قصة يرويها بنفسه قائلاً:

(إني في أواني سني قبل التكليف، كنت متسلطاً في المقدمات، بحيث كتبت حواشي على بعض كتبها، والناس كانوا يقصدوني من مكانات بعيدة لأجل الدرس والبحث معهم، فإذا بيوم خطر في قلبي أنك كملّت المقدمات فلابد لك من الترقي والتدرج في سائر العلوم، وتحصيل النتيجة من تلك المقدمات، فتفكرت في أمري، فقلت في نفسي: إن العادة جرت فيما بين الناس أنهم إما يميلون إلى الحكمة أو الفقه، فلابد لك من اختيار أحدهما.

ثم قلت في نفسي: إن شرف العلم يُعلم من حامله، انظر إلى حملتها، فنظرت إلى الحكماء فإذا هم في اللهو واللعب، والميل إلى الظلمة، وأنواع الفسق والفجور ظاهرة منهم، وأنهم ليسوا بمعتنين بالشريعة، فقلت لا خير فيهم وتركتهم.

---

(١) الإجازة بين الاجتهاد والسيرة ـ الميرزا موسى الحائري الإسكوئي: ص٨١.

ومضيت إلى الفقهاء، فإذا هم في طلب الرئاسة وإظهار التشخص والتعين، وجمع الأموال، وآثار الكبر فيهم بينة، وطلب الدنيا فيهم ظاهرة، حتى لو أراد بعضهم أن يخرج ورأى عنده جمعاً قليلاً من أصحابه وخدامه امتنع من الخروج، ورجع أو صبر إلى إن اجتمع عنده عشرون أو ثلاثون ومضى إلى شأنه.

فلما رأيتهم كما وصفت أعرضت عنهم، وبقيت متحيراً لا أهتدي إلى طريق، فحزنت حزناً شديداً حتى تركت بحوثي، وتغيرت أحوالي، وأذيب لحمي، والناس يحسبون أن ما بي من كثرة الاشتغال، وسهر الليل والمطالعة في كتب العلم، وما أظهرت لأحد ما أنا فيه من الحيرة والفكر وإلا لسفهوني، فلم أزل على هذه الحالة حتى تمرضت، وطرحت في الفراش مدة أربعين يوماً، وأتوا إلي بطبيب وآذوني بشرب الدواء، ومرضي يوماً فيوماً في ازدياد، ومع ذلك ما أظهرت لهم حالي وما في ضميري وبالي، إلى أن انحصرتُ وضاف قلبي ضيقاً لا يوصف.

فقلت في نفسي: أخرج من البلد وأرى إن أمري إلى أي شيء يؤول.

فاحتلت لأهلي بأن قلت لهم: يقولون إن في المكان الفلاني عين حارة، والمريض إذا غاص فيها طاب، فأذنوا لي أن أسافر إلى البلد الذي هي فيه لعل تطيب حالي ويفرج الله عني.

فرضوا بذلك وأذنوا لي، فسافرت وكان الفصل فصل الشتاء، وفي الطريق وحلٌ كثير، حتى انتهيت إلى ذلك البلد، وشرعت في ختم "دعاء توسل خاجه نصير الطوسي" وختمه قسمان، وأنا قرأتهما إلى أن سمعت في الطيف قائلاً يقول: ما تريده عند الشيخ أحمد، فانتبهت من نومي وقلت: من الشيخ أحمد، ومن أين أعرفه؟

وإذا أنا في الطيف ـ أيضاً ـ مرة أخرى سمعت قائلاً يقول: مقصودك عند الشيخ أحمد في يزد.

فانتبهت من نومي، وقلت: الشيخ أحمد في اليزد، من هو؟

والقائل في الطيف من يكون؟

وهذا النداء هل هو من الشيطان أم من الرحمن؟

وإذا أنا في الطيف مرة ثالثة بأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام قد حضروا، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: مطلوبك عند الشيخ أحمد الأحسائي الساكن في يزد، وهو عالمنا في الأصول والفروع، وهو عالنا في الظاهر والباطن.

قلت: يا مولاي، صف شكله حتى أكون على بصيرة، فوصفه لي عليه السلام من رأسه إلى قدمه.

قلت: من أين يمكن لي المسافرة.

قال عليه السلام: يتيسر لك.

فقلت: يا سيدي، من كان الذي يناديني مرتين قبل هذا؟

قال عليه السلام: أنا كنت أناديك.

فانتبهت من نومي فرحاً مسروراً ورجعت إلى بلدي وبيتي.

وقلت: أريد المسافرة إلى يزد لتحصيل العلم، فأنكروا عليّ نهاية الإنكار.

وقالوا: إن تريد العلم فامض إلى كربلاء المشرفة، أو أصفهان فما شأنك في يزد.

وقالوا أيضاً: إن هذا الوقت وهذا الفصل ليس وقت السفر والخروج من البلد.

قلت: لا بد لي من ذلك، والسفر إلى يزد، وما أظهرت لهم مما في ضميري، وما رأيت في طيفي شيئاً.

ولما رأوا إصراري في هذا الأمر بنوا على الاستخارة، فأخذت كلام الله المجيد وفتحته، فإذا بالآية المباركة: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، فسكتوا عني.

---

(١) سورة الزمر: (١١-١٢).

فعزمت على السفر، وخرجت من البلد مسافراً حتى دخلت يزد، وتشرفت بخدمة الشيخ، ورأيته على ما وصفه لي الأمير عليه السلام في الطيف)[١].

فقصته مع الشيخ أحمد الأحسائي بدأت حينما التقى به في مدينة يزد، ومن هناك لازمه حضراً وسفراً لينتهل من دروسه في المعقول والمنقول حتى صار من أشهر تلامذته؛ فنال الإجازة منه[٢]، ومن غيره من العلماء؛ كالشيخ موسى ابن الشيخ جعفر الجناحي صاحب كتاب "كشف الغطاء"[٣]، والسيد عبدالله شبر الكاظمي[٤].. وغيرهما.

كما تتلمذ على يديه مجموعة كبيرة من التلامذة، أجاز البعض منهم؛ كالشيخ حسن كوهر[٥]، والشيخ محمد أبو خمسين الأحسائي[٦].. وغيرهما.

---

(١) الإجازة بين الاجتهاد والسيرة ـ الميرزا موسى الحائري الإسكوئي: ص٨١ـ٨٥.

(٢) الإجازة بين الاجتهاد والسيرة ـ الميرزا موسى الحائري الإسكوئي: ص٨٧، ٩٨ـ٩٩.

(٣) هو الشيخ موسى ابن الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر كاشف الغطاء، النجل الأكبر للشيخ جعفر الكبير، ولد في القرن الثاني عشر بمدينة النجف، وتُوفي عام (١٢٤١هـ).

(٤) هو السيد عبدالله ابن السيد محمد رضا شبر الحسيني النجفي الكاظمي، ولد بالنجف عام (١١٨٨هـ)، من تلامذة الشيخ أحمد الأحسائي، عرف بكثرة مؤلفاته، وتُوفي في عام (١٢٤٢هـ) بمدينة الكاظمية.

(٥) انظر/ إجازات العلامة الكبير الميرزا حسن كوهر: ص١١.

(٦) هو الشيخ محمد ابن الشيخ حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمد الكبير بن أحمد بن أحمد بن إبراهيم ابن علي بن عبد النبي بن راشد بن سالم بن صقر بن أبي بكر بن سالم الخماسيني الودعاني الهمداني الدوسري الأحسائي الهجري. [في محراب الشيخ ـ موسى الهادي: ص٤٧]. حصل على إجازة معنعنة بالرواية والدراية من السيد كاظم الرشتي. [انظر/ في محراب الشيخ ـ موسى الهادي: ص٧٩].

والسؤال الذي ينبغي طرحه حول دور السيد كاظم الرشتي مع شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي هو:

من المعلوم أن خصوم الشيخ أحمد الأحسائي تعرضوا من بعده لجمع غفير من تلامذته، وعلى مستويات مختلفة، وبالرغم من كثرة الذين حملوا فكره ودافعوا عنه، كالميرزا حسن كوهر[1]، والميرزا محمد ابن حسين المامقاني التبريزي (الكبير)[2].. إلا أنه:

لم يتم توجيه الدعاوى إليهم بالقدر الذي حصل مع السيد كاظم الرشتي؟

ولم تذكر كذلك أسماؤهم في الفتاوى التي أُحدثت ضد الشيخية؟

فهل هناك ما تميز به عن غيره من التلامذة؟

يمكن التوصل ـ عزيزي القارئ ـ إلى إجابة هذا السؤال من خلال عدة أمور، ومنها هذان الأمران:

---

(١) هو الميرزا حسن بن علي الحائري القراجه داغي، من أبرز تلامذة الشيخ أحمد الأحسائي والسيد كاظم الرشتي، ولد في قرية أوشتبين من مناطق (قره داغ) و (أرسباران) في (آذربيجان)، من مؤلفاته: المخازن، اللمعات في أحوال المبدأ والمعاد، وشرح حياة الأرواح.. وتُوفّي في مكة المكرمة، ودفن في وادي قريش في سنة (١٢٦٦هـ). [شرح حياة الأرواح ـ الميرزا حسن كوهر: المقدمة ص٣ـ١٠].

(٢) هو الميرزا محمد بن حسين بن زين العابدين المامقاني التبريزي، المشهور بحجة الإسلام، ولد في مامقان جنوب مدينة تبريز الإيرانية، وتُوفّي في سنة (١٢٦٩هـ)، من مؤلفاته: الشقشقية في سر القدر والجبر والاختيار، والرسالة العملية.

الأمر الأول: زعامة السيد كاظم الرشتي في مدينة كربلاء

إن مدينة كربلاء كانت أحد أهم المدن ضراوة في تكفير الشيخ أحمد الأحسائي بأواخر حياته.

وبعد رحيله إلى جوار ربه كان تلميذه السيد كاظم الرشتي مقيماً فيها، فلما آلت الزعامة إليه أتاح موقع إقامته الجغرافي ومنصبه الديني السيل لمهاترات الخصوم.

فكانت تأتيه رشق سهامهم مباشرة ـ وتخصه بالذات ـ؛ لأنه الأقرب إليهم من بقية التلامذة الذين كانوا منتشرين في بقاع الأرض.

الأمر الثاني: تصدي السيد كاظم الرشتي لخصوم أستاذه بعد رحيله

تمثل الدور الذي قام به السيد كاظم الرشتي مع منهج أستاذه بعد رحيله في إحيائه بالتدريس، وشرح مسائله.. إلخ.

فبالرغم من عمره القصير مقارنة بعمر باقي التلامذة إلا أنه خلف وراءه ثروة فكرية ضخمة[1]، حينما نتأملها نجد أن القسم الكبير منها قد تجلى في مهمة ذلك الدور.

وكذلك دافع عنه بصرامة وهمة عالية في أثناء حياته وبعد وفاته؛ وقد كان لهذا الأمر الأثر الكبير في تحول معارضة الخصوم إليه وتكفيره بعد وفاة أستاذه.

فما أنْ علم خصوم الشيخ أحمد الأحسائي في مدينة كربلاء بدور السيد كاظم الرشتي مع منهج أستاذه حتى بعثوا إليه بترك ما يفعله، ولما بين لهم مضمون درسه، وهو التكلم في المعارف الإلهية والحقائق الربانية..[2].

---

(١) جمع الشيخ أبو القاسم الإبراهيمي ما كتبه السيد كاظم الرشتي؛ فبلغ عددها (١٦٦) رسالة، وخطبتين، وثلاث فوائد، ومراسلة، في (١٧٢) مجلداً، (٦٤) منها مفقود. [فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٦٧.٨٦].

(٢) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٤٥ـ٥١.

قالوا له: (بأن لا نريد منك ترك البحث والدرس في هذه المعارف؛ إلا أنك سلكت مسلك الشيخ[١]، ونهجت منهجه، وقلت بقوله)[٢].[٣]

ومع إصراره على موقفه حشد السيد مهدي الطباطبائي الحشود[٤]، ووحد الصفوف ضده، فأحضروه وحيداً بمجلس لهم في يوم الجمعة.. ولكثرة عددهم وصفهم بالألوف[٥].

فسألهم: (لماذا هذا الاجتماع؟

وما الموجب لهذه الغوغاء؟

هل سمعتم ورأيتم مني خلافاً للشرع أو العرف أو الدين أو المذهب اجتمعتم لتثبتوه عليّ وتقيموا الحد؟

فقالوا: لا)[٦].

فقال لهم: (فأي شيء إذن اجتماعكم وغوغاؤكم وضوضاؤكم؟

---

(١) أي: الشيخ أحمد الأحسائي.

(٢) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٥١.

(٣) أشرنا إلى أحداث ما جرى بين السيد كاظم الرشتي والخصوم في أثناء حديثنا عن المدعى الثاني.

(٤) لم يذكر السيد كاظم الرشتي اسم السيد مهدي الطباطبائي حينما تطرق لهذا الموقف، ولكنه حينما بدأ الحديث عن موقف أهل النجف معه ذكر اسمه. [انظر/دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٥٨].

(٥) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٥٥.

(٦) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٥٥.

قالوا: نريد أن نسألك عن عبارات الشيخ، ونبين أنها كفر)[١].

فقال لهم: (فهلا سألتم منه في اليوم الأول لما طلب منكم ذلك حتى يفسرها لكم، وبعدما أبديتم الفضيحة وأظهرتم الشناعة و ملأتم الأمكنة والأصقاع من القول الباطل والمذهب العاطل آلآن وقد عصيتم قبل، ثم إن الرجل قد انتقل من دار الدنيا إلى الدار الآخرة، ليس له حضور حتى يبين لكم مكنون ضميره، ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[٢].

قالوا: لابد من أن ننظر إلى كلماته بعد مماته، ونسألك عنها)[٣].

فقال لهم: (إن أهل الباطل من الأموات كثيرون؛ فهل صنعتم في عبارة أحد من الأموات مثل صنيعكم هذا؟

قالوا: إن له تبعة يعتقدون معتقدة فيضلون)[٤].

فقال لهم: (وكذلك أموات من أهل الباطل لهم تبعة ومريدون يتبعون اعتقادهم ويتجاهرون بها، وهم قبل الشيخ؛ فهلا أحضرتموهم

---

(١) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٥٥.

(٢) سورة المائدة: (١٠٥).

(٣) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٥٥.

(٤) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٥٥.

وأتباعهم حتى تثبتوا عليهم فساد معتقد شيخهم ليرتدعوا ويرجعوا إلى الحق، وإن لم تعرفوهم فإني أعرفكم بأسمائهم وكتبهم ومقالاتهم وعباراتهم، ثم ثنوا بالشيخ وأتباعه.

قالوا: مالك إلا ذلك من سبيل لا بد من بيان هذه العبارات)[١].

فقال لهم: (إنا لله وإنا إليه راجعون هاتوا ما عندكم)[٢].

فأعادوا له مؤاخذاتهم على الشيخ أحمد الأحسائي في تلك المسائل الأربع[٣].

وبينها لهم مشافهة بعدما أوضح معانيها ومطابقتها لما عليه من ضرورة الإسلام في رسالة أسماها بـ(كشف الحق)[٤]، وكان ذلك قبل اجتماعه معهم.

وهكذا سار النقاش بين الطرفين..

---

(١) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٥٥ـ٥٦.

(٢) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٥٦.

(٣) وهي مسألة العلم، ومسألة العلل الأربع، مسألة المعاد، ومسألة المعراج، التي بحثنا في مدعاها سابقاً.. وقد طلبوا منه بيانها أول ما بعثوا إليه قبل اجتماعهم معه في هذا الموقف، ولهذا قال في كتابه دليل المتحيرين ص (٥٦): "فاظهروا تلك العبارات التي سبق مضمونها".

(٤) انظر/ كشف الحق "جواهر الحكم" ـ السيد كاظم الرشتي: ج٨ ص١٩٧.

ولما لم يستطيعوا أثبات شيء من الباطل عليه في ذلك المجلس - وغيره -[1] ازداد حقدهم وإيذاؤهم له ولأتباعه.

فكفروه.. ونشروا ذلك لإبعاد الناس عنه، فشاعت الفتنة في مدينة كربلاء.

---

(١) تكررت الجلسات والمواقف بين السيد كاظم الرشتي وخصومه في كربلاء، ولكنه لم يذكر منها في كتابه دليل المتحيرين إلا الموقف الذي بعثوا له بترك ما يفعله، والجلسة التي ذكرناها، وموقف آخر، وهو حينما صاحوا بالناس وجمعوهم في حرم الإمام العباس لإخراجه من كربلاء من دون ذنب.

أما الشيخ محمد حمزة شريعة مدار فقد ذكر أنه كانت هناك ثلاث جلسات، حضر منها الجلسة الأولى، ولما استمع إلى ما دار فيها من نقاش بين السيد كاظم الرشتي والسيد مهدي الطبطائي وأتباعه صرح بأنهم كانوا جهلاء في الحكمة وفي فهم كلمات الشيخ أحمد الأحسائي في كتابه شرح الزيارة الجامعة، ولم يحضر الجلستين الأخيريتين. [شيخيكري بابيكري - مرتضى جهار دهي: ص١١٢].

أما المازندراني فقال - ما ترجمته -: (إن الجلسة الثالثة انعقدت في دار السيد علي سادن روضة الحسين ﷺ، وحضرها السيد كاظم الرشتي وحده، وتألف الفريق الخصم من السيد مهدي الطباطبائي، وشريف العلماء المازندراني، والشيخ محمد جعفر الإسترابادي، وغيرهم، وقد عجزوا جميعاً عن مناقشة الرشتي إذ لم تكن لهم معرفة في الفلسفة وقواعدها التي هي فن الشيخ الأحسائي.

وقد تقدم السيد مهدي بسؤال إلى الرشتي عن بعض الجمل والعبارات من كتابه "شرح الزيارة" للأحسائي فأوضحها له الرشتي ببيان واف، ولما لم يفهمها ولم يستوعب ما قاله له توجه للرشتي قائلاً: (إن ظاهر كلمات شرح الزيارة الذي تعتقد به مخالف للشرع والدين، وبهذا الظهور والمظنة أظن فيك وفي شيخك الأحسائي الكفر، وأعتقد أن الكفر الظني كفر، ويعرف الآخرون تكليفهم). فاضطرب المجلس على ضخامته). [الشيخية - الطالقاني: ص ١٤٣، نقلاً عن أسرار الشهادة - المازندراني: ص٩٣].

أما أهالي النجف..

ففي بداية الأمر كان لهم موقفٌ مشرفٌ مع السيد كاظم الرشتي ؛ فقد وقفوا في صفه، ودافعوا عنه وعن أستاذه بحرارة، حتى أنهم عابوا على ما يقوم به السيد مهدي الطباطبائي ـ وأتباعه ـ من الفتن ضده في مدينة كربلاء[١].

---

(١) يقول السيد كاظم الرشتي: (ثم الخطب الأفضع، والأمر الأعجب الأشنع، قصة أهل النجف. فإنهم بعدما كانوا ينقمون على السيد مهدي وأتباعه بأنه إلى الآن ما جرى في الشريعة الأحمدية، ولا ذكر في الطريقة المحمدية ـ على الصادع بها آلاف سلام وتحية ـ أن يوقعوا هذه الفتنة الصماء، والداهية الدهماء ؛ لأجل عبارات ينادي صاحبها بعدم إرادته ما يتراءى من ظاهرها، ولا شك أن كل متكلم مصدق في إرادة مراده من كلامه، والعبارة والكتابة ليس لها تأثير إلا بقراين كاشفة عن أن مراد قائلها هو الظاهر منها، وإلا فلا يصح التعويل عليها، لاسيما إذا كان قائلها ينص على مراده، وينفي الذي يفهمه غيره، لا سيما إذا كان الغير ممن ليس له أهلية لفهم المراد.

ولا يزالون [أي: أهل النجف] يلهجون بهذه الكلمات نصرة للحق، وينقمون على مخالفينا، بل ينسبون بعض الأوقات جناب السيد مهدي إلى هيجان المرة السوداء.

ولم يزل ذلك دأبهم وشأنهم إلى أن صار ما صار ـ مما لست أذكره ـ فظن شراً ولا تسأل عن الخبر، عثروا على عبارة في الرسالة التي صنفتها في علم الأخلاق وتهذيب النفس وما يكون العبد المؤمن عليه في أفعاله وأقواله وحركاته وسكناته ولحظاته وجلساته وسائر أحواله، وعثروا فيها على عبارة هذه صورتها: (وأعرض عن كتب القوم، لاسيما العامة العمياء) فلما رآها ونظر إليها صاح وناح وعرف من هذه العبارة أني أنكر الاجتهاد والتقليد، وأنكر طريقة المجتهدين، وأنكر الكتاب والسنة، وأني قد اخترعت مذهباً آخر، فشيعه في الناس، وأدخل في قلوبهم الوسواس، وأوقعهم في شبهة والتباس، حتى إن الناس قد تشوشت قلوبهم وزاغت، ومالت إلى الباطل.

مع أنا قبل هذا الكلام بشهر اجتمعنا في مشهد الحسين ﷺ مع كامل المودة والمحبة والأنس، ثم لما رجع إلى المشهد عمل هذا العمل في موسم زيارة المولود). [دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٥٨].

وفجأة.. ومن دون سابق إنذار

تبدل موقفهم معه، وضموا صوتهم الذي تمثل في الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء[١] إلى أصوات خصومه في مدينة كربلاء!

فبعدما كان الشيخ علي كاشف الغطاء على كامل المودة والمحبة مع السيد كاظم الرشتي، ودأبه الدفاع عنه وعن أستاذه؛ كما كان يفعل أخوه الشيخ موسى[٢]؛ أخذ بكتابة الرسائل

---

(١) هو الشيخ علي ابن الشيخ جعفر بن خضر كاشف الغطاء، ولد في النجف عام (١١٩٧هـ)، تصدى للمرجعية بعد وفاة أخيه الشيخ موسى، وتوفي في سنة (١٢٥٣هـ).

(٢) يقول السيد كاظم الرشتي: (وقد نهاهم الشيخ الأجل، والأفضل الأكمل، قدوة العلماء وزبدة المجتهدين الفقهاء، الشيخ موسى ابن المرحوم الشيخ جعفر عن تلك الأفعال القبيحة، والأقوال الشنيعة، فما انتهوا من نهيه، وأصروا على تشييع الفاحشة في الذين آمنوا ليستوجبوا بذلك العذاب الأليم في الدنيا والآخرة. ثم لما رآهم لا يرتدعون عن غيهم، ولا يستقيمون عن اعوجاجهم، قال لي ذات يوم: أعرض بخدمة الشيخ أن يكتب صريح العقايد الحقة التي هو عليها، والتي هي مرجع تلك العبارات؛ بصريح العبارة، ويرشمه بخاتمه الشريف، وائتني بالمكتوب حتى أطفئ تلك النايرة، وأسكن هيجان تلك الثايرة؛ لأن المتكلم إذا بين مراده يجب تصديقه بالضرورة من الدين، وهؤلاء الجماعة لا يخالفون الضرورة، ولعلهم جاهلون بمراد الشيخ في الحقيقة. فاستحسنت رأيه، وأتيت إلى مولانا الشيخ وعرضت عليه بخدمته ما قاله الشيخ موسى. فكتب (أعلى الله مقامه) في ساعته بخطه الشريف صريح العقائد، وأن جميع عباراته وكلماته ترجع إلى هذا المعنى، وتؤدي هذا المؤدى، ورشمه بخاتمه الشريف، وأعطاني فأخذته إلى جناب الشيخ، الشيخ موسى، فاستحسنه وجعله عنده وأراهم إياه، وما زاداهم إلا نفوراً و ﴿اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾، فجزى الله جناب الشيخ موسى عن الفرقة المحقة خيرا...

ثم بعد تعرضهم بي ـ وفعلهم معي بعض ما شرحته لك سابقاً ـ التمس مني جناب الشيخ العلي، الشيخ علي ابن الشيخ جعفر ما التمس أخوه المرحوم (تغمده الله برحمته) قبل ذلك من كتابة صريح الاعتقاد، وبيان حقيقة المراد، وأنه مرجع تلك العبارات، فكتبتها، ورشمت المكتوب بخاتمي، وبعثته إليه، ثم جعلت تلك النسخة نسخاً متعددة فرقتها في الأطراف والأكناف إتماماً للحجة لئلا يقول قائل: إني لم أطلع، ثم ازداد جناب الشيخ علي التماس أخيه بأن قال لي: اصعد المنبر وبين للناس العقايد الحقة، ونزل نفسك كما ينسبونه إليه من الأشياء الفاسدة والعقايد القبيحة). [دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٧١ـ ٧٢ـ٧٣].

والمكاتيب ضده، وقام بإرسالها إلى جميع مدن العراق[١]؛ وخارجها[٢]، تتضمن الإعراض عنه، والإفتاء بعدم جواز تقليده!

ويعود هذا التحول المفاجئ من طرف الشيخ علي كاشف الغطاء إلى المكيدة التي دبرها الخصوم للإيقاع بينه وبين السيد كاظم الرشتي.

فقد جاؤوا إليه ببعض العبارات المكتوبة في الرسالة التي صنفها في علم الأخلاق وتهذيب النفس[٣]، فعثر فيها على هذه الجملة: (وأعرض عن مطالعة كتب القوم سيما العامة العمياء)[٤]؛ فلما رآها

---

(١) يقول السيد كاظم الرشتي في رسائل أهل النجف إلى مدن العراق التي كتبها الشيخ علي آل كاشف الغطاء: (ولقد وقع بيدي أحد الخطوط التي أرسلها إلى البصرة، بأني لم أجوز لأحد أن يرجع إلى السيد كاظم الرشتي في أمر من أمور الدين من الأصول والفروع). [دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٦٠].

(٢) يقول السيد كاظم الرشتي في رسائل أهل النجف إلى البلدان خارج العراق برشم الشيخ علي آل كاشف الغطاء: (ثم بعد سنتين بعدما ملؤوا الأصقاع وأطراف البلاد بخطوطهم ورسلهم حتى إلى الهند والسند، وقد بعث إليّ بعض رؤساء الهند صورة كتابهم، وذكر أني كنت أحب أن أموت ولا أسمع ولا أرى هذا الكتاب، ومضمونه: أن السيد كاظم الرشتي خرج من الدين وعن مذهب المسلمين، وقد أعرض عنه جميع العلماء وعدل عن تقليده جميع المؤمنين الأذكياء؛ فوجب علينا إعلامكم بأنه لا يجوز تقليده، ولا أخذ مسألة من المسائل الدينية عنه، فمن فعل ذلك لن يغفر الله له أبداً، ولن تقبل له توبة، وقد رشم عالمهم بخاتمه). [دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٦١ـ٦٢].

(٣) رسالة في السلوك إلى مقام القرب "جواهر الحكم" ـ السيد كاظم الرشتي: ج١١ ص١٠ـ٤٨.

(٤) رسالة في السلوك إلى مقام القرب "جواهر الحكم" ـ السيد كاظم الرشتي: ج١١ ص٤٥.

أعتقد أن السيد كاظم الرشتي ينكر الاجتهاد والتقليد وطريقة المجتهدين، وينكر الكتاب والسنة، وأنه اخترع مذهباً خاصًّا به؛ فكفره، وأخذ يشيع الناس عليه، ويدعوهم إلى خصومته[١].

فماذا حدث بعد ذلك؟

حاول السيد كاظم الرشتي تدارك الموقف معه بشتى الطرق؛ فكتب إليه يذكره بموقفه ضد من كان ينقم عليه، ولكنه لم يجب، ثم شرح له تلك الكلمات في رسالة مفصلة[٢]، فلم يلتفت إليها أو يجب عليها، فطلب منه بعد ذلك لقاءه ومخاطبته؛ واعرض عن ذلك أيضاً![٣]

ولما تصاعد الموقف كثيراً بينهما فأحدث ضجة واسعة في الأوساط ـ خصوصاً حينما بالغ الشيخ علي كاشف الغطاء وأتباعه كثيراً في تكفير السيد كاظم الرشتي، وفي الوقت نفسه ما زال صامداً أمام الاتهامات والتقولات التي تشن عليه من كل جانب ـ؛ سعى خصومه في النجف إلى إيجاد المبررات لأفعالهم ومدعايتهم عليه، وشرح ما وقعوا فيه من

(١) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٥٨.

(٢) انظر/ رسالة في تنبيه بعض علماء النجف لسوء فهمه عبارة منه (اع)، اسم المورد الشيخ علي ابن الشيخ جعفر النجفي "جواهر الحكم" ـ السيد كاظم الرشتي: ج١١ ص١٠١.

(٣) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٥٩ـ٦٠.

موقف حرج وصعب مع الانقسام الذي بدأ واضحاً لجميع الناس ؛ فإما أن يثبتوا كفره ، وإما أن يكفوا عن فعلهم ضده.. فطلبوا منه الاجتماع لإسكات الناس[١].

وفي أثناء زيارة السيد كاظم الرشتي لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام ـ في الزيارة الغديرية ـ، أرسلوا إليه رسولاً من طرفهم يدعوه للاجتماع معهم ؛ ولكن بعد الذي فعلوه معه لم يأمن لهم ، ولم يطمئن خاطره لنواياهم ومقاصدهم ، فطلب منهم تدخل طرف ثالث بينهم من غير علماء العراق ؛ ليكون محايداً في رأيه ، ومقبولاً في حكمه إذا حكم.

فأشار السيد كاظم الرشتي إلى بعض العلماء الذين نزلوا مدينة النجف في تلك السنة للزيارة ؛ كالشيخ محمد آل عبد الجبار[٢]، والسيد حسين ابن السيد عبدالقاهر البحراني[٣]، والشيخ أحمد ابن الشيخ

---

(١) ذكر السيد كاظم الرشتي بعض الكلمات التي تشير إلى موقف خصومه في النجف الذي بات واضحاً مكشوفاً، مما جعل الناس تتفحص عن حقيقة ما يقولون عليه : (وبالجملة بعدما كتبوا إلى البلاد ونشروا بين العباد ؛ ولكن لأجل إسكات الناس لئلا ينحرفوا عنهم ، أردوا الاجتماع حتى يبينوا للناس إنا جلسنا معه واجتمعنا به وتبين لنا كفره). [دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي : ص٦٢].

(٢) هو الشيخ محمد ابن الشيخ عبد علي ابن الشيخ محمد بن عبد الجبار القطيفي البحراني ، من أساطين علماء الإمامية وأكابر فقهاء الشيعة الحقية في الإحاطة بالعلوم العقلية والنقلية. [أنوار البدرين ـ الشيخ علي البحراني : ص٢٥٤].

(٣) وهو المحقق السيد حسين ابن السيد عبدالقاهر البحراني ، سكن البصرة وبها تُوفّي. [أنوار البدرين ـ الشيخ علي البحراني : ص٢٤٧].

خلف آل عصفور[١].. وكانوا جميعهم على درجة من الفضل والعلم والثقة، يقولون حقًّا ويتكلمون صدقاً، ونسبتهم عند الطرفين متساوية، لا ميل عندهم لطرف دون آخر.

فرجع رسولهم مع رسول آخر من طرف السيد كاظم الرشتي لإخبارهم بطلبه، ولكنهم رفضوا ذلك، وأبوا أن يجعلوا أولئك العلماء طرفاً للتحكيم فيما بينهم[٢]، واحتجوا بعدم قابليتهم للحكومة![٣]

---

(١) هو الشيخ أحمد ابن الشيخ خلف آل عصفور الزبور، من العلماء الكبار أولي الكمال والعلوم. [أنوار البدرين ـ الشيخ علي البحراني: ص٢١٦].

(٢) حينما لم تتم المحاكمة ألف أحد العلماء ـ الذين أشار إليهم السيد كاظم الرشتي ليكون طرفاً في التحكيم وهو الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي ـ رسالة في توضيح الجواب وبيان الصواب من كلا الرأيين، يبين فيها مظلومية السيد كاظم الرشتي مما ألصق به، يقول: (ولقد آل الأمر منهم إلى نسبة أقوال للسيد لا يقول بها، ويتبرأ منها في المجالس العامة والخاصة، يشبهون بذلك على الجهال كالقول بالتفويض إليهم عليهم السلام، وأنه يقول باستقلالهم عليهم السلام، ونحو ذلك مما هو بريء منه، ولا سمعنا منه إلا خلافه... ولما انتشر هذا الخلاف وظهر في الآفاق حتى أوجب تلبيساً على الجهال، وتشكيكاً في مجملات المذهب، أوجبت على نفسي القيام لنصرة الحق فهو به أولى، وأحق لله وفي الله.. ولست من أتباع أحد الفريقين بل خارج عن الجميع، وسمعنا أنهم طلبوا السيد كاظم في عام الخمسين المناظرة فأجابهم بشرط الرجوع إلى حكم خارج عن الفريقين ونلتزم بحكمه أو يكتب كل منا ما عنده ونرسل الجميع إلى عالم في الآفاق نرتضي به ونلتزم بحكمه.. فأبى أهل النجف جميع ذلك). [ثلاث رسائل ـ الشيخ محمد آل عبد الجبار: مقدمة المحقق ص١٠، ويوجد صورة عند المحقق كما أشار بالهامش].

وكذلك كتب رسالة يدافع فيها عن السيد كاظم الرشتي وعن معتقدات أستاذه الشيخ أحمد الأحسائي، أسماها "منبع الأسرار وسيف الله على الأشرار". [ثلاث رسائل ـ الشيخ محمد آل عبد الجبار: مقدمة المحقق ص١١، ويوجد صورة عند المحقق كما أشار بالهامش]

(٣) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٦٢ـ٦٤.

فقال لهم السيد كاظم الرشتي: (يا سبحان الله، أنتم تنازعونني بأني أنكرت ضروري الدين، والضروري هو الذي لا يخفى على أحد من أهل الإسلام؛ كبيرهم وصغيرهم، رجالهم ونسائهم، بالغهم وغير بالغهم، إذا كان الأمر في الظهور إلى هذا الحد، وهؤلاء العلماء ليست لهم قابلية أن يعرفوا هذا المقدار؟!)[1].

فماذا حدث بعد ذلك؟

نشر خصوم السيد كاظم الرشتي ـ في النجف ـ خبراً مفاده؛ أنهم أرسلوا إليه تسعة عشر رسولاً ليطلبوا منه الاجتماع فأبى!

فلما وصل إليه الخبر لم يقف مكتوف اليدين، فأمر بنصب منبر له في صحن أمير المؤمنين عليه السلام، ولما صعد عليه بعد صلاة الظهر أخذ يبين آراءه ومعتقداته أمام الملأ، وحقيقة ما داره بينه وبين خصومه في أمر طلبهم للاجتماع معه، وكيف أن الرفض قد جاء من طرفهم في قبول تحكيم أولئك العلماء الذين اختارهم، أما هو فما زال على موقفه من قبول الاجتماع معهم بالشرط الذي ذكره.

وحينما نزل من منبره قام الخصوم بخطوة أخرى معه.. أرسل له الشيخ علي كاشف الغطاء في وقت المغرب من ذلك اليوم نفسه ثلاثة

(١) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٦٤.

رسل ينقلون له طلبه في الاجتماع معه مرة أخرى، فخيره السيد كاظم الرشتي هذه المرة بين ثلاثة أمور في المحاكمة:

الأمر الأول: الحضور والاجتماع معه بالشرط الذي طلبه سابقاً، وهو حضور حكم بينهما من خارج العراق.

الأمر الثاني: المباهلة في أي مكان أراد، في صحن أمير المؤمنين عليه السلام أو حرم الإمام الحسين عليه السلام أو حرم العباس، على أي نحو يطلبه سرًّا أو جهراً.

الأمر الثالث: اختيار الحكم الذي يريده من أي مكان في العالم ما دام لم يقبل بحكومة العلماء الذين أشار إليهم سابقاً؛ فيكتب اعتراضاته عليه؛ ولكن بشرط أن تكون طريقة الكتابة على النحو التالي:

أن يقوم الشيخ علي كاشف الغطاء بكتابة كلمات السيد كاظم الرشتي بألفاظها، ثم يفسرها ويبين المراد الذي فهمه منها، ويذكر بصريح العبارة أن السيد كاظم الرشتي أراد من هذه الألفاظ هذا المعنى، ويورد بعد ذلك اعتراضه عليها، ثم يرسل كتابه إلى السيد كاظم الرشتي فيبين مراده من تلك الألفاظ، فإن وافق بعد ذلك المعنى المراد بينهما فلا داعي للخلاف، وإن لم يوافق، فيبعث الشيخ علي

كاشف الغطاء بكلا الكتابين بيد رسول من طرفه ورسول من طرف السيد كاظم الرشتي إلى من يختاره من العلماء لينظر فيهما، وسيقبل السيد كاظم الرشتي بحكمه مهما كانت نتائجه.

وحتى لا يقع الخلط والغلط من قِبل رُسل الشيخ علي كاشف الغطاء في بيان هذه الخيارات الثلاثة أرسل السيد كاظم الرشتي معهم تلميذه الشيخ حسن كوهر ليكون البيان منه أوفى وأتم.. وقد أخبر السيد كاظم الرشتي تلميذه قبل ذهابه بأنه سيختار الأمر الثالث[١]، وبالفعل هذا ما حصل.

ولكن هل قام الشيخ علي كاشف الغطاء بالأمر الذي اختاره؟

بالرغم من العمر الطويل إلا أنه لم يفِ بوعده بفعل الأمر الذي اختاره، ولم يكف كذلك عن خصومته للسيد كاظم الرشتي[٢].

ويمكن أن نستشف من كلماته في كتابه "دليل المتحيرين" مدى ما وصلت إليه تلك الخصومة من مستوى في التطرف والإساءة نحوه، ونحو أتباعه، فيقول:

---

(١) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ٦٧.

(٢) تُوفِّي الشيخ علي كاشف الغطاء في عام (١٢٥٣هـ) قبل السيد كاظم الرشتي الذي تُوفِّي في عام (١٢٥٩هـ).

(ففرقوا الأولاد عن آبائهم، والزوجات عن أزواجهم، والإخوة عن أخواتهم، والبنات عن أمهاتهم، باينوا بين مسالكهم، ورخصوا غيبة من ينسب نفسه إلى الشيخ ـ أعلى الله مقامه ـ[1] وإليّ، وأوجبوا تعزير من يقلدنا، وحرموا مجالستهم، فإذا حضرنا مجلساً هم فيه يتفرقون تفرق المعز إذا شد عليها الذئب، أو كأن صاعقة نزلت عليهم، أو بلية حلت فيهم، ولا يبالون بمجالسة الكفار والنصاب وأهل الفسق والفجور؛ بل يجالسونهم ويخالطونهم بلا مبالاة ولا اكتراث، وإذا حضر واحد منا يتفرقون ولا يقعدون، وإذا مروا بواحد منا لا يسلمون، ويتقصدون ضررنا بكل وجهٍ يمكنهم في مال أو عرض أو نفس على حسب مكانتهم وطاقتهم، ويرموننا بالعظائم من القبائح والشنايع، ويرخصون لأصحابهم بأن يفتروا علينا، ويتقولون علينا بالبهتان والكذب والزور.

لقد حاولوا قتلي مرات عديدة سرًّا وجهراً، والله سبحانه بفضله وكرمه يدفع عني حتى يبلغ الكتاب أجله. فوالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة قد أخبرني واحد ممن كان من المباشرين لقتلي في بيت هاشم خان، خال نظام الدولة ـ أيده الله بتوفيقه ـ في ملأ من

(١) أي: الشيخ أحمد الأحسائي.

الناس، وجاءني يظهر التوبة والندامة ويستبرئ مني الذمة، ويطلب العفو مني حيث كان من ذلك اليوم إلى يوم ملاقاتي شملته النكبة وأصابه الفقر والفاقة لعل الله يحسن حاله ويرده إلى ما كان عليه من ثروة واتساع.

ورموني بالرصاص جهراً في حضرة الحسين عليه السلام في الصحن المقدس، ودفعه الله عني وأصاب في يد بعض أصحابي، وأخذوا العمامة من رأسي في حضرة الحسين عليه السلام عند ضريحه، مرة في يوم الجمعة في السجدة الثانية من الركعة الثانية من صلاة الظهر في ملأ من الناس، ومرة أخرى في السجدة الثانية من الركعة الثانية في صلاة الفجر؛ وقد رأت الناس، وقد سكتت.

وإهانات أُخر صدرت عليّ أخفيتها وسكت عنها واحتسبتها عند الله؛ لأن ما يفعلون كله بعين الله ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء)[1].

وهكذا عاش السيد كاظم الرشتي شطراً من حياته في معاناة مع خصومه، حتى دس له والي بغداد ـ نجيب باشا[2] ـ سُمًّا في القهوة أثناء

(١) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص ٦٩ـ٧٠.

(٢) من ولاة الدولة العثمانية، تولى ولاية بغداد خلفاً لعلي رضا باشا.

زيارته للعتبات المقدسة، فساءت حالته، وعجل أصحابه بحمله إلى كربلاء، وتُوفِّي في الحادي عشر من ذي الحجة عام (١٢٥٩هـ)[١].

(١) الإجازة بين الاجتهاد والسيرة ـ الميرزا موسى الحائري الإسكوئي: ص٨٦.

ما فعله الخصوم بعائلة السيد كاظم الرشتي بعد وفاته

ومع كل ما جرى على السيد كاظم الرشتي من خصومة له لدفاعه عن شخصية ومنهج أستاذه، ومن كمية المعاناة والأسى التي واجهها في حياته.. هل شفى غليل خصومه عليه بعد وفاته؟

بعد رحيل السيد كاظم الرشتي إلى جوار ربه، أخذ مكانه في كربلاء ابنه السيد أحمد[1] الذي نشأ تحت رعايته فحاز على نصيب وافر من الفضل والعلم.

وكانت علاقته الاجتماعية جيدة مع أهالي كربلاء إلى حد كبير؛ فأحبوه والتفوا حوله.. ولكن البعض منهم نصب له العداء بعد أن صار طرفاً في قضية سدانة الروضة الحسينية!

فقد كانت تولية السدانة بيد عائلة آل طعمة[2]، ولما هجم والي بغداد نجيب باشا على كربلاء عام (١٢٥٨هـ) فر سادنها السيد

---

(١) هو السيد أحمد ابن السيد كاظم الرشتي، ولد في كربلاء عام (١٢٢٩هـ)، وتُوفِّي عام (١٢٩٥هـ)، والأسرة التي تعرف اليوم بآل الرشدي في كربلاء منسوبة إليه. [عشائر كربلاء وأسرها ـ السيد سلمان هادي آل طعمة: ج١ ص١٠٥].

(٢) من أقدم الأسر والبيوتات العلوية التي قطنت كربلاء، وتولت سدانه الروضتين الحسينية والعباسية. [عشائر كربلاء وأسرها ـ السيد سلمان هادي آل طعمة: ج١ ص١٤٢].

عبدالوهاب بن محمد علي آل طعمه[١]، فأوكل الوالي سدانة الروضة إلى الحاج مهدي كمونة[٢]، وبعد وفاته انتقلت إلى أخيه حسن كمونة.

وبعد وفاة حسن كمونة حدث نزاع عائلي بين كل من الشيخ محمد ابن حسن كمونة، والحاج محسن ابن الحاج مهدي كمونة على توليه السدانة.

فلجأ الأعيان إلى دار السيد أحمد الرشتي لإيجاد حل لهذا الخلاف، وقرروا بالإجماع إعادة تولية السدانة إلى عائلة آل طعمة[٣]، فسعوا إلى الوالي لتصديق الإقرار الجماعي، فعادت سدانة الروضة إليهم مرة أخرى.

---

(١) هو السيد عبدالوهاب ابن السيد محمد علي ابن السيد عباس ابن السيد نعمة الله آل طعمة، تولى سدانة الروضتين في الفترة (١٢٤١هـ) إلى سنة (١٢٥٨هـ). [عشائر كربلاء وأسرها ـ السيد سلمان هادي آل طعمة: ج١ ص١٤٤].

(٢) هو الحاج مهدي بن محمد بن إبراهيم ابن الشيخ عيسى كمونة، تولى سدانة الروضة الحسينية بأمر من نجيب باشا سنة (١٢٥٨ هـ) حتى سنة (١٢٧٢هـ)، وتُوفِّي وأعقب ولده الحاج محسن المتوفى سنة (١٣٢٥هـ). [عشائر كربلاء وأسرها ـ السيد سلمان هادي آل طعمة: ج٢ ص٥٢٨].

(٣) أعيدت إلى السيد جواد بن حسن بن سليمان بن درويش بن أحمد بن يحيى بن خليفة آل طعمة تولي سدانة الروضة الحسينية في سنة (١٢٩٢هـ). [عشائر كربلاء وأسرها ـ السيد سلمان هادي آل طعمة: ج١ص١٤٤].

وهكذا حقد الحاج محسن كمونة على السيد أحمد الرشتي فدبر لاغتياله ؛ فقتل غيلة ليلة الاثنين في زقاق باب السدرة عام (١٢٩٥هـ) على يد جعفر بن باخيه.

وكان مشاركاً معه الحاج حسين شبيب، وسليمان الصائغ، وأحد أفراد أسرة الفتوني، وجماعة غيرهم. ودفن مع أبيه في رواق الحسين[١].

كما اغتيل بعده بقليل صاحبه الملازم له الشاب الشيخ محمد بن فليح[٢].

ففي أثناء اغتيال السيد أحمد حاول الشيخ محمد فليح التصدي والدفاع عنه، ولما لم يستطع فر هارباً إلى دار السيد أحمد وأخذ ابنه السيد قاسم فأخفاه عن أعين الخصوم الذين كانوا يريدون اجتثاث كل ذرية للسيد كاظم الرشتي، ثم عاد ليتفقد الأوضاع فأردوه قتيلاً في الصحن الحسيني[٣].

---

(١) مدينة الحسين ـ محمد آل كليدار: ج١ ص٨١ـ٨٢.

(٢) هو الشيخ محمد بن فليح بن حسون بن رحيم، ولد في كربلاء سنة (١٢٧٢هـ)، وقتل مع أستاذه السيد أحمد في سنة (١٢٩٥هـ). كان شاعراً مرهف الحس، مبثوث العاطفة في شعره. [عشائر كربلاء وأسرها ـ السيد سلمان هادي آل طعمة: ج٢ ص٣٣٨].

(٣) طبقات أعلام الشيعة ـ الطهراني: ج٢ ص١٠٢.

وهل انطفأت الأحقاد على عائلة السيد كاظم الرشتي بعد كل ما حدث، أما أنها ما زالت تدور في ضغائن النفوس؟

بعد وفاه السيد أحمد الرشتي تولى ابنه السيد قاسم مكان أبيه، وقد كان وجهاً بارزاً في مدينة كربلاء، ومن أهل العلم والفضل والأدب الغزير.

وفي عام (١٣٣٥هـ أو ١٣٣٦هـ) كانت عائلة كمونة تحتمي بسلطة الإنجليز (البريطانيين) أيام الحرب العالمية الأولى. فهجم الشيخ فخري كمونة[١] على دار السيد قاسم بمساعدة بعض الأعراب من أطراف كربلاء.

ففر السيد قاسم هارباً إلى بغداد ثم إلى إسطنبول ليحتمي بالسلطان العثماني محمد رشاد؛ فتم نهب كل ما في الدار، وحرق ما تبقى منها، ثم هجموا على الموضع المدفون فيه السيد كاظم الرشتي بالرواق الحسيني، فاقتلعوا صخرة قبره، ونهبوا ما كان هناك من نفائس ثمينة، وبعد ذلك اقتلعوا الشباك الفاصل بين الحرم والرواق ليكون مدخلاً يداس منه قبره بالأقدام[٢].

---

(١) هو فخر الدين بن حسن بن مهدي، عين قائماً لكربلاء خلال الانتداب البريطاني على العراق، وتُوفّي في سنة (١٣٥٥هـ). [عشائر كربلاء وأسرها ـ السيد سلمان هادي آل طعمة: ج٢ ص٥٢٩].

(٢) فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد أحسائي ـ أبو القاسم الإبراهيمي: ج١ ص١٥٥-١٥٧.

التأمل الفكري.. في دور السيد كاظم الرشتي مع منهج الشيخ أحمد الأحسائي

والآن قل لي ـ عزيزي القارئ ـ:

هل يمكن أن نقبل بالسبب الذي اتخذه أصحاب هذا المدعى لإقصاء وتهميش منهج الشيخ أحمد الأحسائي، وهو ـ لو صح الأمر ـ الفساد الذي نشأ من جانب تلميذه السيد كاظم الرشتي الذي قام بالزيادة والخلط في منهج أستاذه؟

أم بعد إطلاعنا على الدور الذي قام به في دفاعه عن أستاذه، وشرحه لكلماته، وبيانه لمصطلحات منهجه، ووقوفه في وجه خصومه، ومقاومته لهم بصبر وجلد ورباطة جأش عالية، فحاربوه، وكفروه، وخصوه في فتاواهم بالذات.. إلخ.

جميع تلك الأمور ـ وغيرها ـ تجعلنا نرفض سبب هذا المدعى، وذلك لأنه:

١ـ بالرغم من التفاني الذي قام به السيد كاظم الرشتي في منهج الشيخ أحمد الأحسائي، إلا أنه لم يأتِ بحرف زائدٍ على ما جاء به أستاذه.

وهو يعترف بذلك في قوله: (أما كتب الحقير ومصنفاتي وإن لم تكن لها قابلية الاندراج في سلك كتب مولانا العلامة، وذكرها معها؛ إلا أنها حيث كانت مأخوذة عنه أعلى الله مقامه)[١].

وها هو السيد محمد الطالقاني ينتبه لهذه الحقيقة فيقول: (وظل يواصل نشر أفكاره ويدافع بحماس عن شيخه وآرائه، والحقيقة أنه لم يضف جديداً إلى عقائد شيخه الأحسائي، فقد كان يدرس مؤلفاته ويوضح آراءه، وقد قضى السنين التي عاشها بعد أستاذه داعية له ومروجاً لطريقه ومدافعاً عنه، ومؤلفاته على كثرتها لم تأت بجديدٍ لم يسبقه إليه أستاذه أو لم يتعرض له بالإشارة على الأقل، وقد فصل الرشتي مجملها ووضح غوامضها)[٢].

نعم، كان للسيد كاظم الرشتي أسلوبٌ مختلفٌ في التعبير عن أفكار ومعتقدات وآراء أستاذه، وطريقةٌ ومذاقٌ خاصٌ به اتَّخذه في عملية الشرح والتبيان؛ إلا أن ذلك لا يعني بأنه زاد أو خلط فيه.

فقد يكتب الشيخ أحمد الأحسائي ـ مثلاً ـ رسالة في المعاد الجسماني في خمسين سطراً، ويأتي السيد كاظم الرشتي ـ أو غيره ـ ويشرح تلك

---

(١) دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص١٠٩.

(٢) الشيخية ـ الطالقاني: ص١٥٣.

الكلمات ويأخذ منه ألف سطر ؛ وهذا الأمر لا يختلف عليه اثنان ؛ فكم من النصوص القصيرة التي لا تتعدى عشرات السطور وقع شرحها في مجلدات عديدة.

٢ـ بالرغم من وضوح حقيقة افتراء الخصوم على السيد كاظم الرشتي بإفساد منهج أستاذه ؛ فما ذلك إلا انتقاماً منهم لما قام به معهم.. إلا أننا لنفرض جدلاً أن الزيادة والخلط قد وقعا منه فعلاً!

فهذا ـ أيضاً ـ لا يسوغ لهم إقصاء وتهميش منهج الشيخ أحمد الأحسائي من منظومة الفكر الإسلامي ؛ لأن منهجه ليس متوقفاً على شروحات السيد كاظم الرشتي، فهناك العدد الذي لا بأس به من المصنفات والكتب والرسائل الموجودة بخط يده.

فإذا كانت لديهم مشكلة مع كلمات تلميذه ؛ فما هي المشكلة إذاً مع كلمات أستاذه الشيخ أحمد الأحسائي؟

فليأخذوا أفكاره ومعتقداته وآراءه منه مباشره، وليتركوا ما عدا ذلك.

ولكن.. كما قلت لك سابقاً، هناك أمراً آخر وراء هذه المدعيات!

دور الشيخ محمد كريم خان الكرماني مع منهج الشيخ أحمد الأحسائي

بعد رحيل السيد كاظم الرشتي إلى جوار ربه كان الشيخ محمد كريم خان الكرماني[1] مستقرًّا في مدينة كرمان الإيرانية.. فأعلن مرجعيته، وتبعه بعض الشيخية فيها[2].

وهو ابن إبراهيم خان[3] بن مهدي قلي خان بن محمد حسن خان ابن فتح علي خان القاجاري، المولود في كرمان سنة (١٢٢٥هـ)[4]، والمتوفى في سنة (١٢٨٨هـ)، في طريق زيارته إلى سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام، في قرية تهرود بالقرب من كرمان، وأودع جثمانه

---

(١) هو أول من تزعم مدرسة شيخية كرمان، ثم أولاده محمد خان وزين العابدين خان، وأبو القاسم خان، ومن بعده ولده عبدالرضا خان، ثم انتقلت إلى البصرة إلى السيد علي بن عبدالله الموسوي، وبعد وفاته الظاهر أن زعيم الشيخية في البصرة ولده جناب السيد عبد العالي بن علي الموسوي، وفي كرمان جناب الآغا زين العابدين عبدالرضا الإبراهيمي، ولا نعلم هل هما زعيمان للشيخية الكرمانية في الوقت نفسه، أم أن أحدهما أعلى من الآخر، والثاني نائباً له؟

(٢) وسميت جماعته بعد ذلك بالكرمانية نسبة إلى كرمان، وكذلك بالركنية نسبة إلى قول زعيمهم اللشيخ محمد كريم خان ـ وابنه ـ بالركن الرابع، أو بوحدة الناطق، كما سيأتي لاحقاً.

(٣) ظهير الدولة الذي كان والياً على كرمان وبلوجستان من قبل ابن عمه السلطان فتح علي شاه القاجاري، وكان من أشد المعجبين بالشيخ أحمد الأحسائي آنذاك.

(٤) شيخيكري بابيكري ـ مرتضى جهار دهي: ص١٢٩ـ١٥٣. فهرست كتب مرحوم شيخ أحمد الأحسائي ـ أبو القاسم الإبراهيمي: ج١ ص٨٢.

في قرية لنجر، وحمل بعد مدة إلى مدينة كربلاء، فدفن مما يلي رجل الشهداء خلف مرقد السيد كاظم الرشتي.

وقد نشأ محاطاً برعاية والده، فلما شب أحضر له المعلمين ليعلموه القراءة والكتابة.

وظل يتلقى العلوم حتى طلب الحكمة، فلاقى بعض تلامذة الشيخ أحمد الأحسائي[١].. وقيل: دلوه على رجل حضر درس السيد كاظم الرشتي في كربلاء يدعى بالحاج إسماعيل، فحدثه في محضر درسه عن شخصية أستاذه، ومكانته العلمية البارزة في الحكمة الإلهية وسائر العلوم الأخرى؛ فأعجب به الشيخ محمد كريم خان الكرماني إعجاباً شديداً، فشد الرحال إلى مدينة كربلاء للقائه[٢].

ولما هبط فيها لازم درس السيد كاظم الرشتي طيلة إقامته هناك حتى عاد إلى وطنه كرمان.

وقد وقع جدل كبير في أمر حصوله على الإجازة من أستاذه السيد كاظم الرشتي، فشيخية كرمان يدعون ذلك[٣].

---

(١) مكارم الأبرار ـ محمد كريم خان الكرماني: مجلد ١ص١ (المقدمة).

(٢) الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٠٦.

(٣) مكارم الأبرار ـ محمد كريم خان الكرماني: مجلد ١ص٥ (المقدمة).

أما شيخية تبريز فينفونه، ويقولون: إنه لم يحصل على أيَّة إجازة منه، لا دراية ولا رواية، مستدلين باعترافه الصريح في كتابه (فصل الخطاب) من أن الإجازات التي حصل عليها كانت من التلامذة المجازين من السيد كاظم الرشتي[١]، وهما ملا محمد شريف الكرماني وملا حسين الكنجوي... وما بأيدي بعض أتباعه من الإجازات المنسوبة إلى السيد كاظم الرشتي فهي مجعولة مزورة[٢].

ولجناب المولى الميرزا حسن الحائري الإحقاقي[٣] تحقيق لطيف

---

(١) قال بذلك الميرزا موسى الحائري الأسكوئي. [انظر/ إحقاق الحق ـ الميرزا موسى الحائري الإسكوئي: ص٢٣١ـ٢٣٢].

(٢) قال بذلك الميرزا علي الحائري الأسكوئي الإحقاقي: (أما الحاج كريم خان الكرماني فإنه ليس من تلامذة الشيخ الأوحد، ومن ذكر أنه من تلامذته فإنه اشتباه صرف وقلة اطلاع، وإنما هو من تلامذة السيد كاظم الرشتي، بمعنى أنه حضر مدة في بحثه، لكن لم يحصل من أستاذه إجازة، لا رواية ولا دراية؛ لصريح كلامه واعترافه في الصفحة التاسعة من كتابه (فصل الخطاب) أن إجازته من الملا حسين الكنجوي والملا شريف الكرماني المجازين من أستاذهما السيد الرشتي، ونقل صورة إجازة السيد لهما في الكتاب المذكور تيمناً وتبركاً، ولو كان له إجازة من السيد ـ رحمه الله ـ لتبرك بذكرها وتباهى بها، والذي داولوها من بعض الإجازات عند أولاده وتبعته وأظهروها للناس فيه مجعولة مزورة لا أصل لها، ونحن نعرف أصلها وفرعها ونعرف من كتبها وزورها لا حاجة لنا بذكره).[عقيدة الشيعة ـ الميرزا علي الحائري الإحقاقي: ص٦١ـ٦٢].

(٣) هو الإمام المصلح والعبد الصالح آية الله المعظم المولى الميرزا حسن ابن المرجع الديني آية الله الميرزا موسى ابن المرجع الديني آية الله الميرزا محمد باقر ابن الميرزا محمد سليم الأسكوئي الإحقاقي، ولد في كربلاء عام (١٣١٨ هـ)، له العديد من المؤلفات منها: الرسالة الإنسانية، الدين بين السائل والمجيب.. وتُوفِّي في طهران عام (١٤٢١ هـ) عن عمر ناهز المائة وأربع (١٠٤) سنوات، ودفن في جنة الزهراء في طهران.

في هذا الأمر، أفرده في كتاب بعنوان "منظرة الدقائق على تبيان الحقائق"[١].

وأيًّا كان ما يدور حول إجازات الشيخ محمد كريم خان الكرماني من جدل؛ فلا شك أنه كان من تلامذة السيد كاظم الرشتي، ومن الذين تأثروا بعقائد وأفكار وآراء الشيخ أحمد الأحسائي؛ فهذا الأمر واضح في جملة مصنفاته التي بلغ عددها (٢٤٦) مصنف[٢].

---

(١) جاء في مقدمته: (فيقول الحقير الفقير الفاني حسن بن موسى الحائري الأسكوئي الإحقاقي، عفا الله عن جرائمهما، وأمطر شآبيب رحمته على ساحتهما. إنه قد بعث إلي بعض الأصحاب من أهل الكويت كلمات يسيرة، منسوبة إلى بعض أرباب الفضل والكمال من أهل كرمان، صانه الله من طوارق الحدثان، باسم تبيان الحقائق، مترجمة من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية، متضمنة الذب عن بعض ما يتوجه عليهم من الأعراض، وتدارك ما يزلزل بنيانهم من الأساس، وطلب من الأحقر كشف النقاب عن وجه الحقيقة والصواب. فكتبت هذه النبذة على سبيل العجلة، لأني على جناح السفر إلى إيران، لا يسعني التفصيل والإطناب، وإعطاء حق ما ينبغي في هذا الباب، قائلاً: صدر جنابه ـ سلمه الله تعالى ـ رسالته بسواد إجازتين منسوبتين إلى السيد الأمجد السيد كاظم الرشتي ـ قدس سره ـ لوالده رحمة الله عليه، أولهما فارسية والأخرى عربية، وذلك لما سبق التنبيه ـ من الحقير الفاني فيما كتبت في الرحلة باللغة الفارسية ـ على أن والده جناب الحاج كريم خان ـ رحمه الله ـ لم يكن مجازاً من السيد الأمجد، واستدللت عليه باعترافه في كتاب فصل الخطاب في الصفحة التاسعة منه، بأن إجازته من ملا شريف الكرماني، وملا حسين الكنجوي المجازين من السيد الأمجد. وقد أدرج ـ رحمه الله ـ سواد إجازته منهما في كتابه المذكور تيمناً وتبركاً. فلو كان مجازاً من السيد الأمجد بلا واسطة لما تشبث بالواسطة، ولكان الأولى نقل تلك الإجازة، وكان أجدر بالتبرك والتيمن). [منظرة الدقائق على تبيان الحقائق ـ الميرزا حسن الحائري: ص٢١ـ٢٢].

(٢) مكارم الأبرار ـ الشيخ محمد كريم خان الكرماني: ص٢ (المقدمة).

ولكن.. هذا التأثر لم يكن بمعزل عن بعض الآراء الخاصة التي انفرد بها[١]، ومنها القول بوحدة الناطق أو بالركن الرابع.

وهو أشهر ما أخذ عليه لدرجة أن التصقت مفردة "الركينة" به، وبأتباعه من بعده، واتهم بسبب هذا القول بالخروج عن الجادة القويمة وبالضلال[٢].. بل وحكم البعض بكفره[٣].

ولعلك تتساؤل الآن:

ما مدخلية قول الشيخ محمد كريم ـ وابنه ـ بوحدة الناطق أو بالركن الرابع فيما نحن فيه؟

لقد استغل بعض خصوم الشيخ أحمد الأحسائي هذا القول؛ فنسبوا بذرته إليه، وإلى تلميذه السيد كاظم الرشتي[٤]، واعتبروا ما قاله الشيخ كريم خان الكرماني مجرد تفصيل لمجمل كلماتهما في هذه

---

(١) انظر/ عقيدة الشيعة ـ الميرزا علي الحائري الإحقاقي: ص٦٢.

(٢) يقول الشيخ فرج العمران القطيفي: (إن الركنية طائفة ضالة مضلة، قد أضلهم الشيطان وطبع على قلوبهم فهم لا يهتدون، أعاذنا الله وإياكم من هذه الاعتقادات الفاسدة والمقالات الكاسدة، وإنَّ رئيسهم الركن وهو كريم خان، ويطلق عليه الركن الرابع). [الأزهار الأرجية ـ الشيخ فرج العمران: ج١٤ ص١١٨].

(٣) الأنوار الجلية في رفع الشبهات عن الشيخية ـ السيد عبدالله الموسوي: ص٥.

(٤) هدية النملة إلى مجدد الملة ـ محمد رضا الهمداني: ص٤ـ٦.

المسألة[1]؛ فقدموه كسبب حقيقي في مدعاهم؛ لتكفير وإقصاء وتهميش منهجه من منظومة الفكر الإسلامي.

وقبل أن ننتقل إلى تأملنا الفكري في هذه الجزئية؛ دعنا نتعرف أولاً على معنى هذا المصطلح (وحدة الناطق)، ولو بصورة مختصرة..

(١) هذا ما استنتجه الطالقاني في رسالته عن الشيخية ـ في نتيجة بحثه حول مسألة الركن الرابع ـ، وهو ليس بصحيح، وتحدثنا عن نتائج رسالته سابقاً ـ حيث قال: (والخلاصة: إن مسألة الإمام الناطق والركن الرابع مما اختصت به الشيخية، فقد ظهرت نواتها الأولى في مؤلفات الشيخ أحمد الأحسائي، وتلقاها من بعده خليفته السيد كاظم الرشتي فوضحها أكثر من ذي قبل، وقربها إلى الأذهان بعض الشيء. وقد تنكرت للفكرة شيخية تبريز منذ أن اختلف اتجاهها بعد وفاة الرشتي، فلم يقبل بها أحد منهم إطلاقاً، بل عمدوا إلى ما يدل عليها في كتب الأحسائي والرشتي، ففسروه تفسيراً آخر، وصرفوه وأولوه إلى معان لا تتبادر إلى الذهن، ولما قامت مدرسة كرمان أقبل عميدها الحاج محمد كريم خان على الفكرة ففرعها ووسعها ودونها بالتفصيل، واستدل على صحتها ووجوب القول بها معقولاً ومنقولاً. وبعد وفاته ورثها ولده الحاج محمد خان الذي خلفه على مقامه، فقال بها، ودونها في غير واحد من مؤلفاته وأجوبة مسائله) ـ [الشيخية ـ الطالقاني: ص٣٣١ـ٣٣٢].

مصطلح وحدة الناطق أو الركن الرابع

يدور مصطلح وحدة الناطق أو الركن الرابع[1] ـ أو تدور مسألته ـ حول حدود ولاية الفقيه التي اختلف فيها العلماء اختلافاً كبيراً ما بين موسع لها ومضيق.

ولنفهم هذا الأمر جيداً.. فإن لأستاذنا المحقق الشيخ عبدالمنعم العمران الأحسائي"حفظه الله"[2]، بحث مختصر مبسط استوفى فيه الكلام

---

(١) يبين الميرزا موسى الحائري الإسكوئي معنى هذا المصطلح "وحدة الناطق أو الركن الرابع" في قوله: (لزوم وجود رجل واحد ناطق غير إمام الزمان في كل عصر وأوان، يعني يجب أن يكون في كل عصر وزمان رجل كامل من جميع الجهات غير إمام الزمان، عالم بكل العلوم، ومتصرف في الكون، وواسطة بين الإمام والرعية في إيصال الفيوضات الكونية والشرعية من الإمام إلى محاله من الخلق، ومرجع لتمام المخلوقات من جميع المراتب، ولا يجوز لأحد من العلماء مع وجوده ادعاء استقلال واجتهاد، بل يجب عليهم أن يدعوا الخلق إليه، ويجب على المكلفين معرفة ذلك، ولو ماتوا ولم يعرفوه ماتوا ميتة جاهلية وميتة كفر ونفاق، ويسمون هذا الرجل في كتبهم ورسائلهم بأسماء عديدة: كالناطق، والإمام، والنائب الخاص، والشيخ، والسلطان، والحاكم، والإمام الناطق، والوزير، والنائب الكلي، والرب، ومؤسس الأساس، ومقنن القانون، والرحمن، والإله، والشهيد، والنذير، والباب، والركن، والقطب، وسلطان الدنيا والآخرة، والحجة الكلية). [إحقاق الحق ـ الميرزا موسى الحائري الإسكوئي: ص٢٢٣].

(٢) هو أستاذنا المعاصر المحقق الشيخ عبدالمنعم بن عبدالمحسن بن صالح العمران الأحسائي، من أجلاء المشايخ الذين عاصرناهم، ورأينا فيهم درجة من العلم والحكمة، والورع والتقوى، والأخلاق النبيلة، قام بتدريس وتربية العديد من طلبة العلم، وله العديد من التحقيقات في مصنفات مدرسة الشيخ أحمد الأحسائي، وهو أحد أهم وكلاء شيخية الإحقاقي في الأحساء اليوم.

عن حدود ولاية الفقيه، وبين نقطة الارتباط بينها وبين مسألة وحدة الناطق[١].

ففي هذا البحث.. وضح جانباً هامًّا من الجوانب التي تقود إلى فهم تعقيد المسألة، وهو الفرق بين المنزلة والوظيفة التي يقوم بها الفقيه، أو نائب الإمام الحجة عجل الله فرجه.

فقال: (أما المنزلة؛ فالفقيه لا يمكن له أن يصل إلى منزلة الإمام عليه السلام، إذ إنَّ للإمام منزلة ودرجة لا يصل إليها أحد..

وأما الوظيفة، فهي محل الخلاف بين العلماء، ومرجع الخلاف هو الخلاف في المجعول للفقيه، هل هو وظيفة القضاة؟ أو أنه منصوب لوظيفة الولاة؟

فمن قال بأن المجعول له وظيفة القضاء اقتصر على ذلك، وقال بعدم جواز تصديه لغيره، ولا ينفذ منه لو تصداه. ومن قال بأن وظيفة الولاة مجعولة للفقيه، أجاز للفقيه القيام بما يقوم به الولي)[٢].

ثم جاء بالأقوال في ذلك، وهي:

---

(١) كتب هذا البحث كمقدمة على تحقيقه وتعليقه لكتاب "دعوة وحدة الناطق" للشيخ حبيب بن قرين الأحسائي: ص٥٧ـ٥٤.

(٢) انظر/ دعوة وحدة الناطق ـ الشيخ حبيب القرين: (المقدمة) ص٤٤ـ٤٦.

(١ـ ما ذهب إليه السيد الخوئي قدس سره، من أن للفقيه الإفتاء والقضاء، وأما ولاية التصرف في الأموال والأنفس فلا يحق له ذلك. نعم، إذا كان المال والنفس في معرض التلف له أن يتصدى لذلك، ولكن بعنوان دخولها في الأمور الحسبية.

٢ـ وهو ما قال به الإمام الخميني قدس سره، وهو أن كل ما كان من وظائف النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة عليهم السلام فهو من وظائف الفقيه. قال الإمام الخميني قدس سره: (فالفقهاء اليوم هم الحجة على الناس، كما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حجة الله عليهم، وكل ما كان يناط بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد أناطه الأئمة بالفقهاء من بعدهم. فهم المرجع في جميع الأمور والمشكلات والمعضلات، وإليهم قد فوضت الحكومة وولاية الناس وسياستهم والجباية والإنفاق، وكل من يتخلف عن طاعتهم، فإن الله يؤاخذه ويحاسبه على ذلك.

٣ـ وهو ما قال به الحاج محمد كريم خان الكرماني قدس سره، وابنه الحاج محمد خان قدس سره، وحاصل كلامهما: إن الفقهاء على قسمين:

الأول: فقيه يأخذ عن الإمام عليه السلام مباشرة، فهو نائب خاص، ويتميز بعدة أمور:

١ـ أنه واسطة بين الإمام والرعية في إيصال الفيوضات الكونية والشرعية، فالفيض يجري عليه أولاً، وهو يوصله إلى غيره.

٢ـ أن معرفته وولايته شرط للنجاة، وقبول الأعمال.

٣ـ أن الله تعالى لا يؤتى إلا به.

وخلاصة الكلام: إن هذا الوصف لا ينطبق إلى على واحد، فهو الرئيس على الكل، والنائب الخاص، وأول مستفيض، وهو الحاكي عن الإمام في الأمور التشريعية والتكوينية، وهو المعبر عنه بالناطق، والركن الرابع.

الثاني: الفقهاء الذين يأخذون عن الفقيه الناطق، ولا يمكنهم الاستقلال عنه؛ لأنه واستطهم، ورئيسهم)[1].

وبعد ذلك ذكر بعض النتائج الهامة، وهي ما نريده لفهم الارتباط بين حدود ولاية الفقيه ومصطلح الركن الرابع؛ حيث قال:

(هذا حاصل كلامهما[2]، إلا أن الكلام يرد عليه إشكالات كثيرة.. لا بأس ببيان بعض الأمور:

أولاً: إن هذا القول ناشئ من الخلط بين منزلة الإمام عليه السلام

(١) انظر/ دعوة وحدة الناطق ـ الشيخ حبيب القرين: (المقدمة) ص٤٧ـ٤٩.

(٢) الشيخ محمد كريم خان وابنه.

ووظيفته، وذلك أن القول بأن الفقيه أو الناطق واسطة بين الإمام والناس في الفيض، وأن لولاه لما جرى الفيض على الناس، هو إثبات منزلة الإمام عليه السلام للفقيه [وهذا غير ممكن، بل ومحال]..

ثانياً: إن ولاية المعصومين عليهم السلام شرط في صحة الأعمال، وأما أن تكون معرفة الفقيه الناطق شرط في ذلك مما لم يظهر من أحاديثهم عليهم السلام، بل قد ورد عنهم عليهم السلام أن هناك أشياء لها دخل في العمل والإيمان، وليس هذا منها..

ثالثاً: إن هذا القول يلتقي مع مَن يقول بتقليد الأعلم في وحدة المرجع، ويختلف عنه في أن من يقول بالأعلم لا يوجب على الفقهاء الأخذ عنه، وأن من يقول بالأعلم لا يدعي للأعلم منصب التصرف في التكوين من حيث هو أعلم، بل قد يكون عنده نوع محصور من ذلك، ولكن من حيث أنه ولي.

رابعاً: لا يصح نسبة هذا القول للشيخ أحمد الأحسائي قدس سره، أو السيد كاظم الرشتي قدس سره؛ لأنه لا يتناسب مع أفكارهم)[1].[2]

---

(١) انظر/ دعوة وحدة الناطق ـ الشيخ حبيب القرين: (المقدمة) ص٤٩ـ٥٢.

(٢) وأورد بعد ذلك الأدلة؛ ثم قال في نهاية تحقيقه: (وخلاصة كلام السيد الرشتي قدس سره: إن كل عالم قد اجتمعت فيه شروط مخصوصة يستحق أن يكون نائباً من نواب الإمام الحجة عليه السلام. وليس هذا محصوراً في شخص معين). انظر/ دعوة وحدة الناطق ـ الشيخ حبيب القرين: (المقدمة) ص٥٤].

التأمل الفكري.. في دور الشيخ محمد كريم خان الكرماني مع منهج الشيخ أحمد الأحسائي

إذا فهمت ـ عزيزي القارئ ـ معنى هذا المصطلح، ومنشأ الخلاف على القائلين به.. فما رأيك بذلك؟

وهل يمكن أن نعتبر السبب الذي قدموه حقيقيًّا؛ فنحكم على مدعاهم بالصحة؟

بالطبع.. لا يمكن ذلك لأسباب، ومنها:

الأول: إن الشيخ أحمد الأحسائي وتلميذه السيد كاظم الرشتي لم يقولا بوحدة الناطق أو بالركن الرابع مطلقاً.

وقد حقق في هذا الأمر العديد من العلماء، ونفوه عنهما، ونزهوا ساحة أفكارهما منه بالتفصيل[1].

الثاني: إن زعامة الشيخية لم تحط رحالها في شخصية واحدة؛ بمعنى أن يكون هناك ناطق واحد فقط عن الجميع، ويتمتع بجميع تلك

---

(١) انظر/ إحقاق الحق ـ الميرزا موسى الحائري الحائري الإسكوئي، فقد أورد المؤلف فصولاً محققة في نفي ذلك عنهما (ص ٢٤٣ـ٢٦٣). وانظر/ دعوى وحدة الناطق أدلة بطلانها من كتب الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي ـ الشيخ حبيب بن قرين الأحسائي، فالمؤلف قد فصل في نفي ذلك تفصيلاً مطولاً، مستدلاً عليه بصريح كلماتهما.

المزايا التي جاءت في هذا المصطلح، من كونه المستفيض الأول، وواجب المعرفة.. لا في زمان الشيخ أحمد الأحسائي ولا بعده.

فلو فرضنا صحة تأسيس الشيخ أحمد الأحسائي لنواة وحدة الناطق في كلماته؛ فهنا تأتي تساؤلات هامة حول ذلك، ومنها:

لماذا لم يقم الشيخ أحمد الأحسائي بهذا الأمر في أثناء حياته؟

فها هو يجيز ويأمر بعض العلماء التصدي للزعامة والإفتاء في بلدانهم، ويرجع الناس إليهم في كافة شؤونهم من دون الرجوع إليه؛ كالشيخ عبدالإمام بن صالح آل سيف[١]، والشيخ عبد علي آل عبد الجبار القطيفي[٢]، والعلامة الآخوند آغا علي الأوردبادي[٣]، والميرزا محمد الكبير حجة الإسلام المامقاني التبريزي[٤].. وغيرهم الكثير.

ولماذا لم يقم كذلك تلميذه السيد كاظم الرشتي بهذا الأمر، فينفرد بزعامة جماعة أستاذه من بعد رحيله؟

---

(١) عالم فقيه ومجتهد، تتلمذ على يد الشيخ أحمد الأحسائي، تُوفِّي في سنة (١٢٠٩هـ)، وتصدر للإفتاء في الأحساء بأمر منه.

(٢) عالم فقيه مجتهد، تتلمذ على يد الشيخ أحمد الأحسائي، وله أسئلة وجهها إليه، توفى في سنة (١٢١٨هـ) وعلى قول (١٢٣٠هـ).

(٣) من تلامذة الشيخ أحمد الأحسائي، وصار مرجعاً ومقلداً في أوردباد.

(٤) عالم فقيه مجتهد، حصل على رتبة الاجتهاد قبل أن يلتقي بالشيخ أحمد الأحسائي، وكان زعيماً ومرجعاً في تبريز أثناء حياة الشيخ وبعدها، وتُوفِّي سنة (١٢٦٩هـ). وقد مرت ترجمته.

ألم يكن من أشد المدافعين عنه وعن أفكاره، ومن أكثر المتمسكين بمعتقداته وآرائه؟

فرأي كهذه يجب أن يحمله على محمل الأهمية لديه؛ ولكننا لا نجد ظلالاً لمسألة وحدة الناطق في أثناء حياته.

فحينما كان زعيماً ومرجعاً للشيخية في كربلاء كان هناك الشيخ علي نقي ابن الشيخ أحمد الأحسائي[١] زعيماً ومرجعاً في كرمان شاه، وكان هناك الميرزا محمد الكبير حجة الإسلام المامقاني التبريزي زعيماً ومرجعاً في تبريز[٢]، وغيرهما.

وبعد رحيل السيد كاظم الرشتي..

في الوقت الذي كان فيه الميرزا حسن كوهر[٣] مرجعاً وزعيماً في كربلاء، كان هناك الميرز محمد حسين المامقاني[٤] زعيماً ومرجعاً في

---

(١) هو الشيخ علي نقي ابن الشيخ أحمد الأحسائي المعروف ببدر الإيمان، كان من العلماء البارزين والفضلاء المتبحرين، له العديد من المؤلفات: منهاج السالكين في السلوك والأخلاق، مشرق الأنوار في الحكمة، رسالة في المعاد الجسماني، توفي في كرمان شاه سنة (١٢٦٤هـ).

(٢) كان زعيماً ومرجعاً أثناء حياة الشيخ أحمد الأحسائي وأثناء حياة السيد كاظم الرشتي وبعد وفاته.

(٣) هو الميرزا حسن الشهير بكوهر، ولد في قرية (أوشتبين) من مناطق (قره داغ) و (أرسباران) في آذربيجان، من أشهر مؤلفاته: المخازن، اللمعات، شرح حياة الأرواح. تُوفّي في مكة في سنة (١٢٦٦هـ)، ودفن تحت المدرجات المتصلة بحائط مرقد عبدالمطلب وعبد مناف وأبي طالب (رضوان الله عليهم). أصبح مرجعاً في عصره بعد وفاة أستاذه السيد كاظم الرشتي.

(٤) مرت ترجمته.

تبريز بعد وفاة والده، وكان هناك الشيخ محمد أبو خمسين[١] مرجعاً وزعيماً في الأحساء (الهفوف)، وكان هناك في الآن نفسه ـ في الأحساء ـ السيد هاشم ابن السيد أحمد السلمان الموسوي الأحسائي في المبرز[٢]، والشيخ محمد ابن الشيخ عبدالله العيثان الأحسائي في القارة[٣].. وغيرهم.

وفي الوقت نفسه الذي كان فيه الميرزا موسى الحائري الإسكوئي مرجعاً وزعيماً في كربلاء، كان هناك الشيخ موسى أبو خمسين في الأحساء (الهفوف)[٤]، والسيد ناصر ابن السيد هاشم السلمان في الأحساء أيضاً (المبرز)[٥].. وغيرهم.

فنكاد لا نجد أي تحقق لمصطلح أو مسألة وحدة الناطق ـ النيابة الخاصة ـ في كل تلك الفترات عند الشيخية ـ بغض النظر الآن عن شيخية كرمان أتباع الشيخ محمد كريم خان الكرماني ـ؛ بل نرى

---

(١) مرت ترجمته.

(٢) أحد مراجع التقليد في عصره، تُوفِّي في سنة (١٣٠٩هـ)، وله رسالة في الدفاع عن الشيخ أحمد الأحسائي، "كشف الغطاء عن الحق بالتحقيق".

(٣) أحد مراجع التقليد في عصره، تُوفِّي في سنة (١٣٣١هـ)، يلقب بـ"شمس الشموس"، من مؤلفاته: جواب المسائل الكويتية في علم الحكمة ومراتب الأئمة.

(٤) أحد مراجع التقليد في عصره، تُوفِّي في سنة (١٣٥٣هـ).

(٥) أحد مراجع التقليد في عصره، تُوفِّي في سنة (١٣٥٨هـ) وهو والد ـ المعاصر ـ السيد علي السلمان.

بوضوح أن كل من اجتمعت فيه شروط مخصوصه استحق أن يكون نائباً من نواب الإمام عجل الله فرجه، ولم يكن هذا محصوراً في شخص معين.

الثالث: سواء قال الشيخ محمد كريم خان الكرماني وابنه بوحدة الناطق[١]، أو تراجعا عن ذلك[٢]، أو قصدا من هذا المصطلح معنى مغايراً لما يظهر من كلماتهما؛ كموالاة أولياء آل محمد عليهم السلام، والبراءة من أعدائهم، كما يصرح بذلك أتباعهم بأن هذا هو حقيقة مرادهم في حالة الدفاع ورد هذا القول عنهم[٣].

---

(١) انظر/ إحقاق الحق ـ الميرزا موسى الحائري الإسكوئي: ص٢٢٥ـ٢٣٧. فقد أورد العديد من كلماتهما العربية والفارسية في مؤلفاتهم التي تدل على قولهم الصريح بوحدة الناطق.

(٢) الذريعة ـ آغا بزرك الطهراني: ج٢٥ ص١٦٩. الشيخية ـ الطالقاني: ص٣١٩.

(٣) يقول الحاج أبو القاسم خان الإبراهيمي الكرماني ـ في جواب سؤال: ما مقصودكم من الركن الرابع، وهل هو شخص بعينه ـ: (مقصود علمائنا وأساتيذنا من الركن الرابع، الولاية والبراءة اللذان ذكرهما جميع علمائنا المتقدمين والمتأخرين، واعتقدوا وجوبهما، وليس المقصود منه شخصاً معيناً؛ بل المراد منه موالاة أولياء آل محمد عليهم السلام، والبراءة من جميع أعدائهم، وهو عقد القلب الذي ذكرتم من أن جميع المسلمين لابد وأن يكون في نيتهم وعملهم بينهم وبين الله موالاة أولياء أهل البيت، ومعاداة أعدائهم، والله القاهر الغالب شاهد عليّ، وعلى أساتذتي، صدق الناس أم لم يصدقوا أنه لم يكن لنا قصد غير هذا ولا يكون، غاية الأمر يوجد فرق واحد، وهو أن جماعة من العلماء المتقدمين ـ لا كلهم ـ عدوا الولاية والبراءة من الفروع وجماعة آخرين من العلماء المتقدمين، ومشايخنا عدوها من أصول الدين، ولا ريب أن لهم أدلة على ذلك البتة، وأما أن مرادنا من الركن الرابع شخص معين، فهو تهمة ألصقوها بنا، وإشاعة أشاعوها لتشويش الأذهان علينا، وإلقاء الاختلاف بيننا، ومعاداة الحكام والعلماء لنا، وعلى الله إظهار كذب هذه التهم، وإن الله لا يصلح عمل المفسدين). [الفلسفية ـ الحاج أبو القاسم خان الإبراهيمي الكرماني: ص١٣٠ـ١٣١].

فلا يمكن مؤاخذة الشيخ أحمد الأحسائي أو تلميذه السيد كاظم الرشتي بذلك ؛ فلا ﴿تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1].

فلو صح ذلك:

لصح ـ مثلاً ـ تحميل النبي الأعظم محمد ﷺ أوزار وتبعات كل من شت وضل من أمته ؛ وهذا ما لا يمكن بالبداهة الفطرية.

فسببهم وإن قرب من الحقيقية في جانب ثبوت ذلك، وهو أن الشيخ محمد كريم خان الكرماني وابنه قالا بوحدة الناطق ؛ إلا أنه في الجانب الآخر الذي نسبوا فيه قوله المفصل إلى إجمال قول الشيخ أحمد الأحسائي وتلميذه كاظم الرشتي في وحدة الناطق في كلماتهما بعيدٌ كل البعد عن الصحة والحقيقة.

وعلى ذلك..

فإن مدعاهم ليس بصحيح.

---

(١) سورة الأنعام: (١٦٤).

دور السيد علي محمد الشيرازي "الباب" مع منهج الشيخ أحمد الأحسائي

من المؤكد أن لدوي مؤسس البابية أصداء واسعة في كتب التاريخ، خصوصاً في تلك المتصدية لبيان الفرق والنحل الباطنية الفاسدة.

فمن هو الباب؟

هو السيد علي محمد ابن السيد محمد رضا الشيرازي، المولود في شيراز سنة (١٢٣٥هـ).

كفله خاله بعد وفاة والده في صباه، فأرسله بعد بلوغه سن السادسة إلى أحد المعلمين ليعلمه القراءة والكتابة.. ولما شاهد عزوفه عن الدرس أشركه معه في تجارة الأقمشة في شيراز، ثم انتقل به لممارسة التجارة في بوشهر[١].

وقيل: إن أستاذه الذي تعلم منه القراءة كان من الشيخية، فغرس في نفسه أفكار الشيخ أحمد الأحسائي.

ولما سافر إلى كربلاء في أيام شبابه لزيارة العتبات المقدسة أخذ يتردد في حضور دروس السيد كاظم الرشتي؛ فسمع حديثه عن الإمام المهدي المنتظر، وقرب ظهوره، ودنو قيامه.. إلخ.

---

(١) البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم ـ السيد عبدالرزاق الحسني: ص٩٨.

وبمجرد أن عاد إلى شيراز انكبَّ على حياة التقشف، وممارسة الرياضات الروحية.. حتى وصله نبأ وفاة السيد كاظم الرشتي، فطوى بساط تجارته، وعاد إلى رأس مسقطه شيراز[١].

وفي الليلة الخامسة من جمادى الأولى سنة (١٢٦٠هـ) أظهر دعوته[٢]، وقال ـ في بادئ الأمر ـ : بأنه الباب إلى الإمام الغائب المهدي المنتظر عجل الله فرجه.

واستطاع في خلال مدة قصيرة جمع بعض الأنصار والمؤيدين له من مناطق متفرقة، بلغ عددهم (١٨) شخصاً، أطلق عليهم لاحقاً بحروف الحي[٣]، وهم:

١ـ الملا حسين البشروئي ٢ـ أخوه محمد حسن ٣ـ محمد باقر الصغير ابن عمه ٤ـ الملا علي البسطامي ٥ـ الملا خدا بخشي القوجاني المعروف بملا علي الرازي ٦ـ الملا حسين بجستاني ٧ـ السيد حسين اليزدي ٨ـ الميرزا محمد روضخاني اليزدي ٩ـ السيد سعيد الهندي ١٠ـ الملا محمد الخوئي ١١ـ الملا جليل ارومي ١٢ـ الملا أحمد بدال المراغي

---

(١) البابية ـ إحسان إلهي ظهيري: ص٥٢ـ٥٦.

(٢) يسمي البابية هذا اليوم "بعيد البعث"، ولا يزالون يقدسونه ويحرمون تعاطي الأعمال فيه. [البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم ـ السيد عبدالرزاق الحسني: ص٨ـ٩].

(٣) في حساب أبجد، الحاء تساوي (٨)، والياء تساوي (١٠)، ومجموع الحرفين يساوي: (١٨).

١٣ـ الملا باقر التبريزي ١٤ـ الملا يوسف الأردبيلي ١٥ـ الميرزا هادي القزويني ١٦ـ الميرزا محمد علي القزويني ١٧ـ الطاهرة المعروفة بقرة العين ١٨ـ الحاج محمد علي البارفروش المعروف بالقدوس[١].

وبدأت دعوة أتباعه إليه بصورة متكتمة وحذرة؛ ولكن بعدما أعلن مهدويته (أي: إنه الإمام المهدي المنتظر)[٢]؛ أظهروا تأييدهم له علناً، وحرضوا الناس على الانضمام تحت لوائه والدخول في دينه الجديد.. فمال إليهم البسطاء.

ومن هنا تغيرت حياة الباب وأتباعه..

فقد قضى أواخر حياته في السجون مع محاكمات علماء الدين له بعد اعتقاله[٣]. وقضى أتباعه أيامهم في صراعات ومعارك داميه مع

---

(١) الشيخية ـ الطالقاني: ص٥٠.

(٢) يقول الميرزا محمد حسين المامقاني: (كما قد ظهر في هذه الأيام رجل في شيراز اسمه الميرزا علي محمد الشيرازي، وقد أثار الفتنة الكبرى في الإسلام في ادعاءاته المزورة الباطلة، حيث رفع صوته عالياً بادعاء البابية، والنيابة عن حضرة صاحب الأمر ﷺ؛ بل ادعى في آخر الأمر أنه هو صاحب الأمر، وكان يقول: أنا هو صاحب الأمر). [علم المحجة ـ الميرزا محمد حسين المامقاني: ص١٧٧].

(٣) من العلماء الذين تصدوا لمحاكمة الباب، الميرزا محمد المامقاني الكبير "حجة الإسلام"، والشيخ محمود الخوئي التبريزي "نظام العلماء". [علم المحجة ـ الميرزا محمد حسين المامقاني: ص١٧٨]. والشيخ محمد كريم خان الكرماني.

الحكومة الإيرانية[١] التي رأت أنهم قد أسرفوا في دعوتهم إلى الدين الجديد، وأصبحوا خطراً على أمن البلاد وهدوئها.

وفي صبيحة يوم الاثنين الموافق (٢٧ شعبان) من سنة (١٢٦٥هـ)، أعدم رمياً بالرصاص في ميدان التجنيد العام[٢]، ورميت جثته على حافة خندق خارج المدينة[٣].

وفي الليل عمد خُلص أتباعه إلى جثته، فأخذوها وأخفوها في صندوق ـ ظلوا يتناقلونه في أماكن سرية في إيران لئلا يُمثِّل به أعداؤه ـ؛ حتى نقل جثمانه إلى فلسطين، فدفن على سفح جبل الكرمل بحيفا، وله مزار كبير، يزوره أتباعه هناك[٤].

حسناً.. علك تلمست ـ عزيزي القارئ ـ من هذه السطور البسيطة والمختصرة بعض الشذرات اليسيرة التي توصلك إلى فهم كلمات من قام بربط البابية بالشيخية.

---

(١) من أشهر الحوادث التي خاضها أتباع الباب مع الحكومة الإيرانية: حادثة قلعة الطبرسي، قادها الملا حسين البشروئي "باب الباب" مع الحاج محمد علي "القدوس"، حادثة تبريز قادها السيد يحى ابن السيد محمد الدارابي، حادثة زنجان، قادها الملا محمد علي الزنجاني. [انظر/ البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم ـ السيد عبدالرزاق الحسني: ص٣٣ـ٤٢].

(٢) الكواكب الدرية ـ عبدالحسين آواره: ص٣٣٧.

(٣) أعدم معه أحد محبيه، وهو السيد محمد علي الزنوزي. [مفتاح باب الأبواب ـ د. محمد مهدي: ص٢٢٩].

(٤) البابية ـ إحسان إلهي ظهيري: ص١٧٠ـ١٧١.

فالبعض ادَّعى أن البابية هي الولادة الطبيعية التي ظهرت من رحم الشيخية بناء على أمرين، وهما:

الأول: تأثر السيد علي محمد الشيرازي ـ الذي ادَّعى البابية أولاً ثم المهدوية ـ بأفكار أستاذه[١] الشيخ أحمد الأحسائي.

فهي (الشيخية) المصدر الأساسي لبذرة هذا المعتقد، ولتعاليمه التي جاء بها الباب[٢].

ثانياً: إن السيد محمد علي الشيرازي كان من تلامذة السيد كاظم الرشتي[٣]؛ بل ومن أشد المقربين له!

---

(١) من الأخطاء الفادحة قول البعض بتتلمذ الباب على يد الشيخ أحمد الأحسائي، فعدوه من تلامذته، وسوف يأتي بيان ذلك في تأملنا الفكري في هذا الأمر.

(٢) للأسف سرى هذا الإفتراء ـ بسبب عدم دقة التحقيق، وصدق الإنصاف ـ إلى داخل الكتب التي تحدثت عن الشيخية، سواء كان من طرف الشيعة أو السنة. فيقول ـ من طرف الشيعة ـ السيد محمد حسين الحسيني الطهراني: (كان الشيخ أحمد الأحسائي واضع حجر الأساس لطائفة الشيخية، وهو معلم السيد كاظم الجيلاني الرشتي ومربيه، وهذا كان معلم ومربي السيد علي محمد الباب مؤسس الطائفة البابية، وأخيراً البهائية). [معرفة الإمام ـ الطهراني: ج٥ ص١٧٤ـ١٧٥]. ويقول ـ من طرف السنة ـ الدكتور إحسان ظهيري: (طائفة الشيخية إحدى الطوائف الشيعية الغلاة التي أحدثها الشيخ أحمد الأحسائي المتوفى في سنة (١٢٤٢هـ (١٨٢٦م)، وقوى بنيانها وروجها في إيران وعراق العجم تلميذه السيد كاظم الرشتي المتوفى عام (١٢٥٩هـ) (١٨٤٣م)، الفرقة التي تأسست على أفكارها وتعليماتها ومعتقداتها وعلى أكتاف أبنائها وأتباعها البابية). [البابية عرض ونقد ـ إحسان إلهي ظهيري: ص٣٢].

(٣) وهذا من الأخطاء الفادحة التي قام بها مؤلف كتاب الشيخية الطالقاني، حيث أدرج اسمه ضمن قائمة تلامذته. [انظر/ الشيخية ـ الطالقاني: ص١٢٩].

وحتى يجري هذا الافتراء في مجراه الطبيعي ألصقوا إعجاب السيد كاظم الرشتي بجماله[١]؛ وأنه كان يوحي لتلاميذه ـ في أثناء حضوره ـ بأنه الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف![٢]

شيء غريب.. أليس كذلك؟

دعنا ننتقل إلى تأملنا الفكري في هذه الجزئية لنكتشف صحة ذلك من عدمه.

(١) البهائية وجذورها البابية ـ الدكتور عامر النجار: ص١٩.

(٢) يقول السيد محمد شفيع الجابلقي: (وأكثر الفساد نشأ من أجل تلامذته السيد كاظم الرشتي، والمنقول عن هذا السيد مذاهب فاسدة لا أظن أن يقول الشيخ بها، بل المنقول أن السيد علي محمد الشيرازي المعروف بالباب الذي يدعي دعاوي فاسدة هو سماه الباب، وكذا سمى بنت حاجي الملا صالح القزويني بقرة العين).[انظر/ الروضة البهية في الإجازة الشفيعية ـ السيد محمد شفيع الجابلقي: ص٩٠-٩١].

التأمل الفكري.. في دور السيد علي محمد الشيرازي "الباب" مع منهج الشيخ أحمد الأحسائي

ما رأيك ـ عزيزي القارئ ـ في نسبة البابية إلى الشيخية؟

من المؤكد أن قبول ذلك يحتاج إلى هدم الأدلة القوية المتوفرة بين أيدينا، ومنها:

أولاً: حتماً أن السيد علي محمد الشيرازي لم يكن تلميذاً للشيخ أحمد الأحسائي[1].

فولادته كانت في عام (١٢٣٥هـ)، ووفاة الشيخ أحمد الأحسائي كانت في عام (١٢٤٢هـ)؛ فيصبح عمره عندئذٍ سبع سنوات تقريباً![2]

---

(١) لعدم دقة التحقيق: عد البعض السيد علي محمد الشيرازي من تلامذة الشيخ أحمد الأحسائي، وهذا ليس بصحيح. ومنهم الشيخ جعفر السبحاني. [انظر/ فتاوى في الشيخية ـ السيد مهدي الموسوي: ص٧٣]. والسيد محسن الأمين. [أعيان الشيعة ـ الأمين: ج٨ ص٤٠١].

(٢) يقول الميرزا علي الحائري الإحقاقي: (ومن الواضح الذي لا ينكر، والمحقق الذي لا يمترى، أن الباب المذكور لم يكن من تلامذة الشيخ أحمد بن زين الدين قطعاً، وهذا ثابت عند أهل المعرفة ومن له أدنى تفحص في هذا الباب؛ بل إنما هو على التحقيق من تلامذة السيد كاظم الرشتي قدس سره، وما كان من المقربين عند السيد، وما كان حضوره في بحثه مستمراً ومنظماً، بل المعروف أنه يحضر أياماً دون أيام، ووقتاً دون وقت، بل ما استقام في كربلاء إلا يسيراً، ولم يكن مجازاً عن السيد، ولا محط نظره، والمعروف أنه كان منعكفاً على بعض الرياضات الباطلة كتسخير الشمس وغيره). [عقيدة الشيعة ـ الميرزا علي الإحقاقي الحائري: ص٧٧ـ٧٨].

ولم يُذكر لنا التاريخ أن الشيخ أحمد الأحسائي قد تتلمذ على يديه أحد من الصبية.. والسيد علي محمد الشرازي كان في هذا العمر صبيًّا في شيراز.

لعلهم خلطوا بين ما نقل ـ إن صح ذلك طبعاً ـ من أن أستاذه الأول كان من الشيخية، وبين الشيخ أحمد الأحسائي.

وكذلك لم يكن تلميذاً مقرباً للسيد كاظم الرشتي؛ ولو كان لوجدنا أقل ما يكافأ به الأستاذ تلميذه المقرب منه وهو الإجازة، أو على الأقل وجدنا بعض ما يثبت ذلك؛ كالمراسلات التي تشتمل على الأسئلة والأجوبة بينهما، أو غيرها، كما هو الحال مع بعض تلامذته[1].

(١) بعض الباحثين حتى تستمر محاكاة تتلمذ السيد علي محمد الشيرازي علي يد السيد كاظم الرشتي، قام بتعريف شخصية السيد كاظم الرشتي على أنه قسيس نصراني، وعميل للاستعمار الروسي، كما جاء في هذه الكلمات: (ويذكر بعض الباحثين أن الذي أظهر البابية هو قسيس نصراني ـ ادعى أن اسمه كاظم الرشتي ـ ورشت قرية من قرى إيران، بالرغم من أن رشت لا يعرفون عنه شيئاً. وقد استغل من مبادئ الشيعة الاثنى عشرية فكرة الغائب بالسرادب المنتظر، فعمل على إيجاد شخص يضفي عليه هذا اللقب، ليصل بواسطة هذا الباب إلى كل ما يريد، وقد ادعى أن الشخص الجديد هو باب الله، وروج له الروس على أنه هو المهدي المنتظر، ثم وصل به الحال إلى ادِّعاء النبوة والرسالة مستغلاً هو [يقصد السيد كاظم الرشتي] أصدقاؤه من الروس جهل الناس بأحكام الإسلام). [البهائية ـ طلعت زهران: ص٥].

وقد جهل كاتب هذا النص أن السيد كاظم الرشتي تُوفِّي قبل ظهور دعوة السيد علي محمد الشيرازي، فكيف استفاد من دعوته بعد وفاته؟

فأي تلميذه مقرب هو، بحيث لا يوجد له أي أثر في كتابات أستاذه، أو رابطة تربطه به في مجريات حياته؟!

نعم.. قيل: إنه قد حضر بعض دروس السيد كاظم الرشتي حينما نزل في كربلاء[١]؛ ولكن يجب أن ندرك هنا هذه النقطة الهامة، وهي:

إن الحضور لا يعني التتلمذ؛ فهناك فرق كبير بين حضور الدرس، وبين التتلمذ على يد أستاذ ما، وهذا الأمر يدركه الجميع بلا استثناء[٢].

ثانياً: لا يعني اتِّخاذ السيد علي محمد الشيرازي فكر الشيخ أحمد الأحسائي كقنطرة روج من خلالها لبابيته، أو اتِّخاذ أتباع الشيخية كأنصار آمنوا به ودعوا إليه؛ ضلال وانحراف منهج الشيخ أحمد الأحسائي؛ فالباحث المنصف يدرك أن تلك كانت وسيلة الباب لجذب الأنظار إلى دعوته لا غير، فكم من ضال اتَّخذ من القرآن وسيلة لدعوته، ومع ذلك لم نحكم بضلال أو انحراف القرآن!

ويكفي البون الشاسع بين تعاليم الشيخية والبابية لإدراك عدم وجود الرابطة بينهما أساساً[٣].

---

(١) عقيدة الشيعة ـ الميرزا علي الإحقاقي الحائري: ص٧٧.

(٢) أصفى المناهل في جواب السائل ـ السيد محمود مرهج الفاطمي: ص٣٦.

(٣) ينكر البابيون والبهائيون أن يكون السيد علي محمد الشيرازي قد قراء على السيد كاظم الرشتي، ويقولون: إنه لا يمكن لصاحبه رسالة مثله أن يحضر دروس غيرة للاستفادة.

ثالثاً: إن الذين تصدوا ووقفوا في وجه الباب كانوا من أتباع الشيخية (تلامذة الشيخ أحمد الأحسائي)، ومنهم الميرزا محمد المامقاني الكبير "حجة الإسلام"، والشيخ محمود الخوئي التبريزي "نظام العلماء".. وغيرهم[١].

رابعاً: لطالما رافق الحديث عن البابية مذكرات الجاسوس الروسي دنياز دالكوركي[٢]، الذي كشف فيها عن مدى علاقته بشخصية السيد علي محمد الشيرازي، وكيف عمل جاهداً على تأسيس البابية لفك الوحدة بين المسلمين وإثارة الفتنة بينهم؛ بل اعترف بلسانه الصريح بأنه الذي خدع الباب بطليف الحيل حتى ادَّعى البابية[٣].

وهذا الاعتراف يعطينا انطباعاً واضحاً عن أصابع الاستعمار التي لعبت دورها في قيام البابية؛ ويقودنا إلى عدم صحة نسبة البابية إلى الشيخية بأي وجه كان.

---

(١) عقيدة الشيعة ـ الميرزا علي الحائري الإحقاقي: ص٧٩. صحيفة الأبرار ـ المامقاني: ج١ ص ١٢٦ـ١٢٨.

(٢) دنياز دالكوركي كان مترجماً للمفوضية الروسية في طهران سنة (١٢٥٠هـ) (١٨٣٤م)، ثم أصبح وزيرها المفوض، ثم السفير. كتب مذكراته التي نشرتها مجلة الشرق السوفيتية في العامين (١٩٢٤ـ١٩٢٥م)، ثم ترجمت إلى اللغة الإيرانية، فعربها الحاج سيد أحمد الفالي الكربلائي، وطبعها في مطابع قدموس الجديدة في بيروت.

(٣) انظر/ مذكرات دالكوركي ـ تعريب/ السيد أحمد الفالي: ص٣٩ـ ٥٧.

القول في فساد تلامذة وأتباع الشيخ أحمد الأحسائي

لقد حققنا في دور تلك الشخصيات الثلاثة مع منهج وشخصية الشيخ أحمد الأحسائي، وتبين لنا كيف جرت الأمور فيها، وما يجب أن نقوله في هذا المدعى بصورة عامة ـ بالإضافة إلى ما جاء في تأملنا الفكري في دور كل شخصية من تلك الشخصيات ـ هو:

لو حكمنا بصحة هذا المدعى، وسلمنا بفساد تلامذة وأتباع الشيخ أحمد الأحسائي، مع عدم فساده عندكم، فيأتي هنا تساؤل هام ـ قد تعرضنا له سابقاً ـ، وهو باختصار:

إذا كان لا غبار عندكم على شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي؛ فلماذا لم تتعاملوا معه بغض النظر عما جاء به تلامذته وأتباعه؛ سواء كان خيراً أم شراً؟

فها هي مصنفاته الحاوية على أفكاره ومعتقداته وآرائه مطبوعة متناولة في أيدي الجميع؛ خذوا منها مباشرة، واتركوا ما لا ترتضونه مما جاء به تلامذته.

ولكن عدم فعل ذلك..

يبين لنا أن اتِّخاذ أمر فساد التلامذة والأتباع كسبب في هذا المدعى، ما هو إلا حجة وذريعة فقط، وأن هناك سبباً آخر في تكفير وإقصاء وتهميش منهج ـ وشخصية ـ الشيخ أحمد الأحسائي.

فتعال معي لنتعرف عليه.. بعد عدم وصولنا إلى سبب حقيقي في تلك المدعيات الثلاثة.

السبب الحقيقي في تكفير وإقصاء وتهميش شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي

لقد تحدثنا ـ سابقاً ـ في مدعيات الذين كفروا وأقصوا وهمشوا شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي من منظومة الفكر الإسلامي ؛ واكتشفت ـ عزيزي القارئ ـ أنها لم تكن إلا مجرد أعذار واهية، لم تقم على أسباب حقيقية تخولهم لفعل ذلك معه.

ولعلك تنتظر الآن: الكشف عن السبب الحقيقي.. أليس كذلك؟ حسناً..

حتى أستطيع بيان ذلك بالصورة الجلية البعيدة عن الغموض، احتاج أن أتحدث معك في عنوانين كاشفين عن الغاية التي نطلبها، وهما:

الأول: موقف الشيخ أحمد الأحسائي تجاه موروث الفكر الفلسفي الإسلامي.

الثاني: الضريبة التي دفعها الشيخ أحمد الأحسائي تجاه موقفه من موروث الفكر الفلسفي الإسلامي.

فتعال معي لنتعرف إلى ما جاء فيهما..

موقف الشيخ أحمد الأحسائي تجاه موروث الفكر الفلسفي الإسلامي

لا نستطيع فهم موقف الشيخ أحمد الأحسائي تجاه موروث الفكر الفلسفي الإسلامي إلا بعد إدراك ما وصلت إليه طبيعة الحالة الفكرية الفلسفية في أذهان وكتابات عصره؛ وهذا يستدعي الرجوع إلى العصور التي سبقته للحديث عن حركة أو مسار الفكر الفلسفي فيها.

وبما أن ذلك يحتاج إلى مقدمات وشروحات مطولة قد تبعدنا عن غايتنا؛ فاسمح لي أن أتحدث معك بطريقتي الخاصة.

بهدوء، ومن دون تناول الأحداث الحافلة، والتكتلات المتعددة والمتضادة، والمعارضة والمؤيدة، أو الدخول في الصراعات والسجالات المتنوعة التي رافقت تلك الحركة.. فقط سأحاول الإشارة إلى النقاط الهامة التي نحتاج إليها.

ودعنا نبدأ من هذه النقطة..

هل تتفق معي؟

بأن الجميع في هذه الحياة يتطلعون إلى تحصيل الكمال الإنساني في شتى جوانبها، بل ويسعون إليه حتى بعدها، فيعملون ـ أيضاً ـ من أجل نيل المراتب الأخروية الحسنة.

ولو حاولنا ـ عزيزي القارئ ـ النظر إلى جميع الأمور التي يبحث فيها الإنسان عن الكمال ؛ سنجد أنها تندرج تحت هذه العناوين الثلاثة :

الأول : الإنسان يبحث عن الكمال في المعارف الإلهية.

الثاني : الإنسان يبحث عن الكمال في المعارف الدنيوية.

الثالث : الإنسان يبحث عن الكمال في المعارف الأخروية.

وهل تعلم؟

من خلال هذه العناوين انبثقت ثلاثة أسئلة رئيسة في الفلسفة تعتبر من أمهات مسائل الرؤية الكونية، وهي :

الأول : من خلقنا؟

الثاني : ماذا يجب أن نفعل في هذه الحياة؟

الثالث : إلى أين سنذهب بعد الموت؟

ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام : «رحم الله امرأً عرف من أين، وفي أين، وإلى أين»[1].

(١) موسوعة العقائد الإسلامية ـ محمد الريشهري : ج٢ ص ٣٠٣ / الفصل الخامس (أحكام التعلم) (٢٤٥٠).

وفي قبال هذه الأسئلة الثلاثة يوجد هناك ما يسمى بأصول الدين في أبجديات الإسلام؛ فالتوحيد يمثل السؤال الأول، والنبوة تمثل السؤال الثاني، والمعاد يمثل السؤال الثالث[١].

(١) الذائع بين المتأخرين أن أصول الدين منحصرة في أصلين هما: التوحيد والنبوة. وأمّا بالنسبة للعدل والإمامة والمعاد فقالوا: بأن العدل داخل في التوحيد فلا يُعَدّ أصلاً؛ لضرورة أنّه ليس للعدل ميزة تميزه عن باقي الصفات الإلهية، ولو كان مصنفاً ضمن أصول الدين لوجب أن نعد الصفات الأخرى من أصول الدين أيضاً، والحال أن لا أحد يلتزم بذلك إطلاقاً. ومن أفرد العدل عن باقي صفات الله ﷻ وجَعلهُ أصلاً مستقلاً، كان من أجل الرد على دعوى الأشاعرة وغيرهم، حيثُ إنهم أجازوا نسبة القبيح إلى الله ﷻ، وقالوا بالجبر في أفعال الإنسان؛ فأفرد جماعة من علماء الشيعة الإمامية العدل بالذكر لتأكيد نفي هذه الدعوة لا غير. وأمّا مسألة الإمامة والمعاد فهما مندرجان تحت النبوّة؛ لأننا لم نؤمن بالمعاد إلا عن طريق النبي ﷺ، والإمامة هي فرع النبوّة. [اختاره السيد الحكيم في (مستمسك العروة الوثقى) ج١ ص٣٧٨، والسيد الخميني في (كتاب الطهارة) ج٣ ص٤٤٥، والسيد الشهيد الصدر في (بحوث في شرح العروة الوثقى) ج٣ ص٢٩٥، والسيد الروحاني في (فقه الصادق) ج٣ ص٣٠٦، والشيخ التبريزي في (تنقيح مباني العروة الوثقى) ج٢ ص١٩٠]. ومنهم من قال بأن أصول الدين ثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد. فأدرجوا العدل تحت التوحيد، والإمامة تحت النبوة. [اختاره الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في (أصل الشيعة وأصولها) ص٧٥، والسيد الخوئي في (التنقيح في شرح العروة الوثقى) ج٣ ص٥٣، والشيخ الوحيد الخرساني في (منهاج الصالحين) ج٢ ص١٢٠، والشيخ البشير النجفي في بعض أجوبته العقائدية]. ومنهم من قال بأن أصول الدين أربعة: التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد. فأدرجوا العدل تحت التوحيد. [ونسب هذا القول إلى العلامة المظفر في كتابه (عقائد الإمامية)، وإلى الشيخ العاملي في شرحه على (الفوائد البهية) ج١ ص٦١]. ومنهم من قال بأن أصول الدين خمسة: التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد. [اختاره الوحيد البهبهاني في حاشيته على (مدارك الأحكام) ج٢ ص٣٥، والشيخ أحمد الأحسائي في كتابه (حياة النفس) وأتباعه من تلامذته، ومراجعنا العظام]. وعلى أي حال، إن هذا الاختلاف اصطلاحي في التعداد فقط، وإلا فالنتيجة النهائية واحدة، وهي أن الاعتقاد في جميع تلك الأقوال والآراء عند جميع علماء الشيعة الإمامية يكون بِكُل الأصول الخمسة.

وبما أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حكيم، فإنه لما خلق الإنسان من أجل إيصاله إلى السعادة الأبدية[١] أرسل إليه رسله لهدايته إلى طريق الكمال.

ولكن.. تعتقد ماذا سيحدث لو حاول الإنسان الوصول إلى تلك المعارف، أو الإجابة عن تلك الأسئلة الثلاثة بنفسه؟

بمعنى آخر.. ماذا سيحدث لو استخدم دستوره الوضعي البشري بدل الدستور الإلهي المنزل إليه من السماء:

في معرفة الله؟

وفي العيش في هذه الحياة؟

وفي تفسير ما سيحدث له بعد هذه الحياة؟

سيتخبط، سيضيع.. لأنه لم يخلق نفسه بنفسه؛ بل الخالق الذي خلقه هو الأعلم بمصالحه، وأيضاً ستكون لديه إجابات كثيرة لهذه الأسئلة؛ لأن كل إنسان سوف يفسر الأمر بحسب اختلاف قابلية عقله.. وهذا ما حدث فعلاً في عهد اليونان!

لقد أخذ فلاسفة اليونان الحكمة ـ أو الفلسفة ـ من الأنبياء عليهم السلام، فيقال بأن حكيم الحكماء، أو هرمس الهرامسة الذي تعلمت منه

(١) حياة النفس ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ص٨٩.

اليونان الفلسفة، هو نبي الله إدريس عليه السلام، وبعد ذلك استبجحوا بعقولهم، وأخذوا يفرعون عليها من عندياتهم[١].

فكثرت عندهم الآلهة حينما أرادوا الإجابة عن السؤال الأول (من خلقنا؟)، وكثرت عندهم الطرق الغنوصية (التصوف) حينما أرادوا الإجابة عن السؤال الثاني (ماذا يجب أن نفعل في هذه الحياة؟)، وكثرت عندهم الأساطير والخرافات حينما أرادوا الإجابة عن السؤال الثالث (إلى أين سنذهب بعد الموت؟).

فضاع طريق الكمال الإنساني في حكمتهم بما جنوا به على أنفسهم!

من هنا.. لما أراد حكام الجور والظلال مغالبة علوم محمد وآله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ استخدموا فلسفتهم وغنوصيتهم لتحقيق مآربهم؛ فنقلوا الفلسفة اليونانية والتصوف إلى داخل ساحة الإسلام.

فاستنجد معاوية بالنصارى لبث طرق المناظرات التي تشكك المسلمين في دينهم[٢]، واحضر خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

---

(١) انظر/ رسالة في شرح الرسالة العلمية للملا محسن الفيض "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٣٦١ـ٣٦٢.

(٢) الطريق إلى المهدي المنتظر ـ سعيد أيوب: ص٤٩.

جماعة من فلاسفة اليونان ممّن كان ينزل مدينة مصر، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أوّل نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة[١]، وطلب المأمون من بعض ملوك النصارى ـ صاحب جزيرة قبرص ـ خزانة كتب اليونان، حيث كانت عندهم مجموعة كتب في بيت لا يظهر عليه أحد، فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك، فأشار جميعهم بعدم تجهيزها إليه إلا مطراناً واحداً، قال: جهزها إليهم؛ فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها، وأوقعت الخلاف بين علمائها[٢].

يقول الميرزا مهدي الأصفهاني[٣]: (ومن كان عارفاً بسياسة الخلفاء، يظهر له أن العلة في ترجمة الفلسفة، وترويج مذهب التصوف المأخوذين من اليونان، ما كانت إلا السياسة؛ لمغالبة علوم أهل البيت عليهم السلام، وإغناء الناس عنهم.. وقد ظفروا بمقصدهم بعد أخذ النتيجة.. فإن المسلمين اشتغلوا بالعلوم البحثية النظرية، وبعد ترجمة الفلسفة استغنوا بها عن علوم آل محمد عليهم السلام، حتى آل الأمر إلى البحث

(١) فهرست ابن النديم ـ ابن النديم البغدادي: ص٣٠٣.

(٢) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٥٧ ب ٣٤/المعادن، وأحوال الجمادات والطبائع وتأثيرها... ص١٩٧.

(٣) هو الميرزا مهدي بن إسماعيل الغروي الأصفهاني، ولد عام (١٣٠٣هـ)، وتوفى عام (١٣٦٥هـ)، كان عالماً فاضلاً، وله العديد من المؤلفات منها: أبواب الهدى، سياسة الخلفاء، أنوار الهداية.

والاحتجاج معهم عليهم السلام.. بل انتهى الأمر إلى أن صغرت علومهم في أنظار تابعيهم، فأولوا كلماتهم على العلوم البشرية اليونانية، وزعموا أن فهم مراداتهم متوقف على تعلم العلوم اليونانية)[1].

ويقول السيد كاظم الرشتي: (إنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما ظهر نوره، وأشرق ظهوره، خفيت جميع الكمالات واستترت، والصوفية قد كانوا في زمان الجاهلية وقبله؛ لكنهم مغمورون مستضعفون؛ لعدم رغبة أهل الجاهلية فيما عندهم؛ لاشتغالهم بالملاذ الجسمانية، وعدم التفاتهم إلى الحقائق الروحانية، سواء كانت علّينية أو سجّينية، ومن هذه الجهة كان ضوؤهم مخموداً، وقولهم مردوداً، وبعد ظهور النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخفى نوره ظلمتهم، فكانوا هائمين مخمودين إلى أن انتهت الدولة إلى بني العباس، وهم لما خطؤوا رأي بني أمية فيما فعلوا بالذرية الطاهرة، من قتل ونهب وأسر، وميل قلوب الناس عنهم، وكراهتم إياهم؛ لأجل أفعالهم الردية، وسوء سلوكهم بالذرية العلوية؛ ولذا انقرضت دولتهم، وانكسرت شوكتهم، ومالت قلوب الناس عنهم.

فأرادوا تدبيراً آخر، وحيلة أخرى في استيصال آل محمد ـ صلوات الله عليهم ـ، وإطفاء نورهم، وإخماد ذكرهم، ولما وجدوا أن الناس

(١) أبواب الهدى ـ الأصفهاني: ص٤٣.

محتاجون إليهم في العلوم الظاهرية والباطنية، والأحكام التكليفية، والعلوم السرية الحقيقية؛ فما دام احتياج الناس إليهم في هذه العلوم لم يمكن صرف وجوه الناس عنهم، ثم فكروا وقدروا، فقتلوا كيف قدروا، ثم نظروا وأبصروا، وأدبروا واستكبروا، فقالوا: إن هذا الأمر لا يتم إلا بأن نأتي بأناس في مقابلهم في المقامين؛ أي: في الظاهر والباطن، فإذا حصل للناس الصورة الظاهرية مع الرياسة والجاه، يقنعون بهذه الصورة ولا يطلبون الحقائق والأمور الواقعية؛ فبنوا رأيهم على ذلك، فجعلوا في مقابلة الأمور الظاهرية من العلوم التكليفية الشرعية المجتهدين، والعقائد الأصولية المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة، والمجتهدين القائلين بالرأي والاستحسان، والظن والتخمين إلى أن كثروا... وأما العلوم الباطنية والأسرار الغيبية، فقد أمروا الناس بالرجوع إلى الصوفية، ورقّوهم وأعلوا ذكرهم، وبذلوا لهم الجاه، وجعلوهم مطاعين، فهم أظهروا بواطنهم الخبيثة، وموهوا على الناس بالرياضات الباطلة، والمجاهدات الغير مشروعة، وتسخير الأرواح، والأفعال التي تكون سبباً لاتصال الشياطين وساير الأبالسة؛ ليخبروهم عن بعض المغيبات، ويظهروا شبه بعض خوارق العادات، فسحروا أعين الناس باستعمال العلوم الأربعة، التي هي: السيميا،

والريميا، والهيميا، والليميا، وأظهروا الخدع والخيلاء، وأظهروا للناس الزهد والورع، وترك الدنيا والإعراض عنها، كل ذلك رياء وسمعة؛ ليقبلوا وجوه الناس إليهم، ويعرضوا عن الحق وأهله تقرباً إلى سلاطين الجور وحكام الباطل)[١].

وهكذا وفرت تلك المواد الأرضية الخام لعلماء المسلمين؛ فاعتنى البعض منهم بالفلسفة اليونانية، فعملوا على تطويرها وابتداع النظريات والآراء الخاصة، وهكذا تشكل منهج المدرسة الفلسفية المشائية في الإسلام، التي ما هي إلا امتداد أو ولادة جديدة للفلسفة اليونانية المشائية التي تزعمها الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس[٢].

ويعتبر ابن سيناء[٣] الملقب "بالرئيس، وبالمعلم الأول" زعيم هذه المدرسة التي تميزت بانطلاقها من العقل ـ من دون لجامه بلجام ـ لإيجاد إجابات تلك الأسئلة المرتبطة بالرؤية الكونية وغيرها، فإن طابقت

---

(١) الحجة البالغة ـ السيد كاظم الرشتي: ص٥١ـ٥٣.

(٢) هو الفيلسوف الشهير أرسطو اليوناني واضع علم المنطق الأرسطي، ولد بأسطاغيرا في سنة (٣٨٤ ق.م)، وكان تلميذاً لأفلاطون الذي أطلق عليه "العقل" لذكائه الخارق. [تاريخ الفلسفة اليونانية ـ يوسف كرم: ص١٣٧].

(٣) ولد الشيخ أبو علي بن سينا بقرية بخارى في سنة (٣٧٠ هـ)، واشتهر بالفلسفة والطب، ومن أشهر كتبه التي كتبها: القانون في الطب، الإشارات، والشفاء. وكان سياسيًّا تولى الوزارة في عهد السامانيين حتى لقب بالرئيس، تُوفِّي في همدان سنة (٤٢٨ هـ). [تاريخ فلاسفة الإسلام ـ محمد لطفي جمعه: ص٧١].

النتائج النص الشرعي فكان بها، وإن لم تطابق أولوا النص بما يتوافق معها، وهو ما يعرف بفلسفة الدين[١]، أو أخذوا بنتائجهم العقلية بمعزل عما يوجد في النصوص الشرعية.

واعتنى البعض الآخر من المسلمين بالكفة الأخرى لذلك الموروث، وهو الفلسفة الصوفية التي أُدخلت إلى الإسلام عن طريق أهم مدرسة أثرت في المسلمين آنذاك، وهي المدرسة الإسكندرية التي بُنيَت على الأفكار الأفلاطونية.

وكانت (الفلسفة الصوفية الإسلامية) في بداية الأمر مجرد تعاليم عملية (سلوك) خالية من الطابع الفلسفي، تلبست في صورة الزهد الإسلامي[٢]، ومع استيراد الأفكار الغنوصية بالطابع الفلسفي من الثقافات الأجنبية تدعيماً لسلوكهم وتقويةً لمباني منهجهم[٣]، أخذ جانبها النظري ينشأ بالتدرج مع مفاهيمها وتعاليمها، حتى جاء محيي الدين بن عربي فصاغ الأسس النظرية لها[٤]، وهكذا ظهرت أو بانت معالم المدرسة الصوفية في الإسلام، التي تتميز بانطلاقها من صقل

(١) بين الدين والفلسفة ـ د. محمد يوسف موسى: ص٥٣.

(٢) نشأة الفلسفة الصوفية ـ د. عرفان عبد الحميد: ص٤٨.

(٣) التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة ـ د. إبراهيم هلال: ص٧.

(٤) نشأة التصوف الإسلامي ـ د. إبراهيم بسيوني: ص٢٧٤.

القلب بالرياضات والمجاهدات الروحية الباطلة البعيدة كل البعد عن الشرع[١].

فماذا حدث بعد ذلك؟

كان لأهل البيت عليهم السلام موقفٌ مضادٌ من موروث الفلسفة والتصوفية الأجنبيان، فقاموا بتأسيس مدرسة علم الكلام[٢]، وعلموا أصاحبهم التكلم بالحكمة المأخوذة منهم وعنهم عليهم السلام، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «حاجوا الناس بكلامي، فإن حاجوكم كنت أنا المحجوج لا أنتم»[٣].

وكانت غاية علمائها في بداية الأمر، هو البحث عن الرؤية الكونية ضمن إطار ظواهر النقل واليقينيات العقلية لتبيين أمور العقيدة في الشريعة الإسلامية والذب عنها؛ ولكن تغير مسار هذه المدرسة بعد الطوسي واتخذت طابعاً فلسفيًّا[٤]، فوقعوا في شباك ما كانوا يحاربونه!

وهكذا ظلت هذه المدارس الثلاثة ـ المدرسة الفلسفية المشائية، والمدرسة الصوفية، ومدرسة علماء الكلام ـ تتصارع فيما بينها؛ حتى ـ

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية ـ ماجد فخري: ص٣٤٥.

(٢) خلاصة علم الكلام ـ الشيخ عبدالهادي الفضلي: ص٩.

(٣) الاعتقادات في دين الإمامية ـ الشيخ الصدوق: ص٤٣.

(٤) مدخل إلى العلوم الإسلامية ـ الشهيد مطهري: ص٥٠.

(عام ٥٤٥هـ) ـ جاء الشيخ أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك، الملقب من قبل مريديه "بشهاب الدين السهروردي"، و"شيخ الإشراق"[١]، فوضع أسس مدرسة الاستشراق.

ويمتاز منهج هذه المدرسة بأنه يلتقي مع المنهج المشائي في أداة المعرفة العقلية، ويمتاز عنه بأداة المعرفة الذوقية، وهو يلتقي مع المنهج الصوفي فيها، ويمتاز عنه بأداة المعرفة العقلية.

فصار لدينا الآن ـ عزيزي القارئ ـ أربعة مدارس فكرية في ساحة الفكر الإسلامي.

وفي عام (٩٨٠هـ) جاء العالم الكبير الملا صدر الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الشيرازي، الملقب من قبل مريديه "بالملا صدرا"[٢]، فوضع أسس مدرسة الحكمة المتعالية.

ويمتاز منهج مدرسته بالتوفيق بين فلسفة (أرسطو وأتباعه، تعاليم الأفلاطونية الجدد، تعاليم ابن سينا، النظريات العرفانية لابن عربي، والأصول الوحيانية)[٣].

---

(١) مرت ترجمته سابقاً.

(٢) مرت ترجمته سابقاً.

(٣) الحكمة المتعالية عند صدر المتألهين ـ د. علي الحاج حسن: ص٣٨.

والبعض الآخر يقول: بأن منهج مدرسته لم يكن توفيقيًّا بل كان تلفيقيًّا.. كيف؟

يعني أن الملا صدرا لم يأتِ بالشيء الجديد في ساحة الفكر الإسلامي، وكل ما لديه كان مجرد نقلاً أو شرحاً من الذين قد سبقوه؛ وهذا ما يصرح به كبار ممثلي هذه المدرسة:

فيقول الدكتور السيد حسن إسلامي[١]: (إنَّ المؤيدين والمخالفين للملا صدرا اتفقوا بأن الملا صدر نقل في مؤلفاته نصوصاً كاملة بالنص تارة وبالمضمون تارة أخرى ونسبها إلى نفسه، لدرجة أنه نقل كتب كاملة للفخر الرازي في مؤلفاته)[٢].

ويقول الشيخ حسن حسن زاده آملي[٣] ـ الذي راح يفكك نصوص الملا صدرا الشيرازي ويرجع محتوياتها إلى أصولها في كتابات ابن عربي، فانتهى بعد ما يناهز العشرين عاماً ـ : (إن جميع المباحث الرفعة والعرشية للأسفار منقولة من الفصوص والفتوحات وبقية الصحف القيمة والكريمة للشيخ الأكبر وتلاميذه بلا واسطة أو مع الواسطة)، ثم

(١) معاصر باحث في الحوزة والجامعة، وأستاذ في جامعة الأديان والمذاهب في إيران.

(٢) مجلة نصوص معاصرة ـ الدكتور السيد حسن إسلامي: العدد (٣٦ـ٣٧)، مقال بعنوان: (الفلسفة الصدرائية بين الإبداع والانتحال).

(٣) مرت ترجمته سابقاً.

يقول: (إذا ما اعتبرنا كتاب الأسفار الكبير مدخلاً أو شرحاً للفصوص والفتوحات فقد نطقنا بالصواب)[١].

وأيًّا كان الأمر، فقد أخذت مدرسة الملا صدرا الشيرازي كرسي الزعامة في ساحة الفكر الإسلامي من بعده، وتسربت إلى داخل الحالة الأنطولوجية حتى تركت ما تركت من آثار في الكتابات والمعتقدات.

ولما جاء الشيخ أحمد الأحسائي ـ في عام (١١٦٦هـ) ـ لم تزل تلك الآثار جلية في ظهورها وتداولها؛ فيحكي لنا النص الذي جاء في داعي تأليف كتابه شرح العرشية صورة ذلك، حيث يقول:

(بعض التلامذة قال لي: إنَّ الناس في هذا الزمان افتتنوا بكتب هذا الرجل[٢]، واعتقاد حقية كل ما يقول، حتى أن كثيراً منهم يسمع كلام الإمام عليه السلام بخلاف كلام المصنف، ويترك كلام إمامه عليه السلام، ويأخذ كلام المصنف.

فإذا قيل له: لم فعلت كذا؟

قال: إن المصنف أعلم بمراد الإمام عليه السلام؛ لأنه يأتي بالبراهين القاطعة، فهو أدل)[٣].

---

(١) التوحيد ـ جواد علي كسار (تقرير الدروس لسيد كمال الحيدري): ج١ ص٢٣٠.

(٢) يقصد مؤلف كتاب العرشية، الملا صدرا الشيرازي.

(٣) شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص٤٥١.

فماذا كان موقف الشيخ أحمد الأحسائي تجاه موروث الفكر الفلسفي الإسلامي؟

باختصار.. لم يرض الشيخ أحمد الأحسائي عن حالة ذلك الموروث لأسباب يوجزها الأستاذ البحاثة الشيخ سعيد القريشي الأحسائي[1] في التالي:

(١ـ بروز فلسفات شيعية كان يعتقد تمام الاعتقاد أنها لا تواكب منهج أهل البيت عليهم السلام، ولو جزئيًّا.

٢ـ دخول الكثير من الأفكار الغريبة عن الإسلام، وامتزاجها به على أنها إسلامية صرفة.

٣ـ إلحاح الكثير من الروايات عندما تقرؤها بتباينها الصريح عن تلك الفلسفات.

٤ـ ابتعاد الكثير من المتكلمين والفلاسفة والعرفاء عن القرآن والسنة بشكل صريح، أو غير صريح)[2].

---

(١) هو أستاذنا المعاصر، باحث وكاتب في التراث الديني والفلسفي والأدبي والاجتماعي، درس مقدمات الفكر الإسلامي في الأحساء، وأكمل دراسة مقدمات وسطوح العلم الشرعي وحضر بحث خارج الفقه والأصول والفلسفة في جامعة السيدة زينت عليها السلام في دمشق، وحصل على إجازة جامعية من قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية من جامعة دمشق، ولديه العديد من الكتب والدراسات المنشورة.

(٢) شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي/ مقدمة: الشيخ سعيد القريشي: ج١ ص١٧.

وعلى أثر ذلك.. وضع الشيخ أحمد الأحسائي أسس منهج مدرسته (مدرسة الحكمة الأهل بيتيه)، التي راعى فيها أمور عديدة، ومنها:

الأمر الأول: لم يأخذ الشيخ أحمد الأحسائي من الذين سبقوه من المتكلمين والفلاسفة والعرفاء، واقتصر في أصول منهج مدرسته على علوم محمد وآله عليهم السلام؛ أي: لم يأخذ مما كان موجوداً ومنتشراً في ساحة الفكر الفلسفي الإسلامي آنذاك، لا من نظريات فلاسفة اليونان، ولا من أفكار الفلسفة الصوفية، ولا من نظريات الملا صدرا الشيرازي التي حطت رحال الفكر الفلسفي في مدرسته قبل مجيئه.

وها هو يبين ذلك بصراحة في قوله: (وأنا قد ذكرتها على نحوٍ مَّا عثر عليه الحكماء، ولا وقف عليه العلماء؛ لأنهم يأخذون تحقيقات علومهم بعض عن بعض، وأنا لم أسلك طريقهم، وأخذت تحقيقات ما علمت عن أئمة الهدى عليهم السلام)[1].

الأمر الثاني: لم يكتف بعدم الأخذ مما سبقوه فقط؛ بل وقام بتشريح أجساد كلماتهم فوق منضدة النقد العلمي بمبضع الشرع الذي طوق وأطر به مباني منهجه.

(١) شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص١٩١ـ ١٩٢.

فيمكننا أن نرى بوضوح جرأة روحه النقدية في العديد من نصوصه، ونتلمس منها الدافع وهو رفض ذلك الموروث بحالته، والغاية التي كان ينشدها وهي الإصلاح.

فيقول في نقده لكتاب العرشية للملا صدرا الشيرازي: (فسلكت هذا المسلك، والله سبحانه يعلم أني ما قصدت خصوص تنقيصه، وإنما أردت بيان الحق على نحو ما سلكه أئمة الهدى عليهم السلام)[1].

الأمر الثالث: لم يكن الهدم (النقد) هو الأساس في مشروع منهج مدرسته، وإن كان لبنة من لبناته؛ بل كان التأسيس بالذوق الحكمي القرآني السُّنَّتي العقلي المتبوع لهما يأخذ الشطر الأكبر في مبانيه.

ويبين الأستاذ البحاثة الشيخ سعيد القريشي الأحسائي أبرز معالم ذلك الذوق الحكمي عند الشيخ أحمد الأحسائي، بالتالي:

(١ـ ترك القواعد التي أنس بها من قبل، وعلى الأخص الموروث اليوناني.

٢ـ عدم تأويل القرآن إلى غير ظاهره؛ أي: لوي ظاهر القرآن بما يوافق اعتقادهم وقواعدهم حتى لو كانت باطلة، كما فعلوا في قضية الإرادة.

---

(١) شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص٤٥١.

٣ـ خضوع الحكيم أمام الكتاب والسنة خضوع التلميذ للأستاذ، وليس العكس.

٤ـ مراعاة محكمات القرآن حين نقد الجزئيات أو شرحها؛ أي: لا يمكن رفض جزئية إلا من خلال وضعها في السياق العام لروح القرآن والسنة الصحيحة.

٥ـ مراعاة كون النص الفلسفي موافق للواقع الخارجي والحقيقي.

إذن من خلال هذه القواعد يمكن صياغة تعريف التذوق الحكمي عند الأحسائي قدس سره فنقول: الذوق الحكمي، هو ملكة الحكم على النص الفلسفي، أو شرح النص القرآني من داخله أو من خارجه، أو من حقيقته على جهة تطابق الروح القرآنية الكلية والسنة الصحيحة المحكمة وسيرة العقلاء الممضية منها، والواقع الخارجي والحقيقي بحيث يزيح هذا النقد والتذوق الغموض، ويورث الاطمئنان النفسي الحاصل من الحقيقة القرآنية)[1].

الأمر الرابع: مما لا شك فيه، أن الشيخ أحمد الأحسائي أخذ على عاتق منهجه معالجة وتبيان قضية الكمال الإنساني بجوهرها المفضي إلى النتائج الحقة، وهو لم يقف على الخطوط العريضة في

(١) شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي/ مقدمة: الشيخ سعيد القريشي: ج١ ص١٥ـ١٦.

ذلك ؛ بل غاص في أعماق بحورها التي ترتبط بمعرفتهم عليهم السلام بالنورانية، فأسس لمصطلح الإنسان الكامل أو ماحض الإيمان[١] بالأسس التي تتوافق مع معطيات الشريعة نظريًّا وعمليًّا[٢].

وهذا ما جعل الفيلسوف الفرنسي هنري كوربان[٣] يصف منهج مدرسته بقوله: (ولهذا يبدو من الأصوب والأفضل إطلاق اسم المدرسة التكاملية عليها... والتكاملية التي نقصدها هنا تعني ؛ التمسك بأصول العقائد والشرائع، مع الرعاية التامة للآفاق الروحية والمعنوية المنسجمة مع الشريعة، والمشروطة بالاعتقاد بالمذهب الإمامي، الذي يراد به هنا التشيع الكامل، الذي لا يعني ـ اصطلاحاً ـ إلا تصديق المعنى اللغوي لكلمة الشيعة، والذي يقصد به في الواقع ؛ المؤمنين بالأئمة الأطهار، والواقفين على أسرارهم)[٤].

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (لأنهم محضوا الإيمان محضاً، ومعنى أنهم محضوا الإيمان محضاً أنهم عرفوا أمير المؤمنين عليه السلام بالمعرفة النورانية، وأقروا بجميع فضائله عليه السلام. ومعنى معرفته بالنورانية ؛ أنهم يعرفون أنه الصراط المستقيم، وسبيل الله ورحمته ووجهه، وعينه الناظرة، وأذنه الواعية). [أحوال البرزخ والآخرة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ص٧٠].

(٢) انظر/ شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص١٩٥ـ٢٠٠.

(٣) هو المستشرق والفيلسوف الباريسي هنري كوربان (١٩٠٣ ـ١٩٧٩م)، حاصل على الليسانس في الفلسفة من جامعة السوربون، وعلى دبلوم معهد الدراسات العليا من جامعة باريس.

(٤) نظرة فيلسوف ـ هنري كوربان: ص٣٦ـ٣٧.

حسناً.. ما رأيك ـ عزيزي القارئ ـ بموقف الشيخ أحمد الأحسائي تجاه موروث الفكر الفلسفي الإسلامي؟

أيًّا كان رأيك في ذلك؛ فما يهمنا الآن هو معرفة الضريبة التي دفعها تجاه موقفه هذا.

فتعال معي لنتعرف عليها في آخر مباحث الدراسة في هذا الكتاب...

الضريبة التي دفعها الشيخ أحمد الأحسائي تجاه موقفه من موروث الفكر الفلسفي الإسلامي

قد يتساءل البعض.. هل للنجاح ضريبة؟

نعم.. كما أنَّ للفشل ضريبة يدفعها الفاشل، فكذلك للنجاح ضريبة يدفعها الناجح.

فمن واقع الحياة، كل إنسان ناجح لابد أن يدفع ضريبة نجاحاته واجتهاداته بشكل مباشر أو غير مباشر، فكما يقول المثل القديم: "الشجرة المثمرة لابد وأن تقذف بالحجارة".

وكلما كانت شخصية الناجح تتمتع بمكانة عالية القدر، وكان نجاحه كبيراً ومثمراً ومؤثراً في منظومة الفكر البشري؛ أصبح ثمن الضريبة مكلفاً وباهظاً.

فمن لديه اطلاع بحال تلك الشخصيات العالية من الإصلاحيين، وكبار المستكشفين وغيرهم في تاريخ الأمم والحضارات، سيرى كيف دفع الكثير منهم ثمن تلك الضريبة، فذهبوا ضحية عملية كيْل التهم والافتراءات، وتم معاملتهم بمعاملة التكفير، والإقصاء، والتهميش.. بدل أن يتم التعامل معهم بمزيد من الحفاوة والاحترام بناء على دور العطاء الذي قدموه.

وإذا سلطنا الضوء على تاريخ العلماء الرساليين الكرام، ونواب الأئمة عليهم السلام، الذين أثروا بمعارفهم تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي، سنجد أن عملية كيْل التهم والافتراءات، وبثّ الأكاذيب والأراجيف ليست بالشيء الجديدة عليهم.

فالشيخ البهائي[١] لم يفسق فقط؛ بل إن قراءة كتبه كانت تعدّ كافية لتفسيق قارئها[٢]، فقد كثر حساده ومناوئوه، فرشقوه بوابل التهم والافتراءات، حتى قال: (وآل الأمر أن تصدى لمعارضتي كل جاهل، وجسر على مباراتي كل خامل)[٣].

والشيخ محمد تقي المجلسي[٤] اتُّهم بالخروج عن المذهب؛ رغم أنه أول من نشر أحاديث الشيعة بعد ظهور الدولة الصفوية[٥].

---

(١) هو الشيخ محمد ابن الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الجبعي العاملي، ولد في سنة (٩٥٣هـ) بمدينة بعلبك في لبنان، جليل القدر، عظيم الشأن، تُوفّي بأصفهان في سنة (١٠٣٠هـ). [أمل الآمل ـ الحر العاملي: ج١ ص١٥٥].

(٢) أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين: ج٩ ص١٦٨.

(٣) أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين: ج٩ ص٢٤٠.

(٤) هو الشيخ محمد تقي بن مقصود علي المجلسي، ولد في سنة (١٠٠٣هـ) بأصفهان، وتُوفّي في سنة (١٠٧٠هـ). [أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين: ج٩ ص١٩٢].

(٥) أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين: ج٩ ص١٩٣.

وابن إدريس الحلي[١] اتُّهم بأنه: (مُخلِّط لا يُعتمد على تصانيفه)[٢]؛ رغم مكانته العالية التي قال عنها العلامة المجلسي: (وكتاب السرائر لا يخفى الوثوق عليه وعلى مؤلفه)[٣].

والعلامة السيد هاشم التوبلاني البحراني[٤] صاحب كتاب "البرهان في تفسير القرآن"، قدح البعض في كتابه "ترتيب التهذيب" وسمّاه "تخريب التهذيب"، والتهذيب من الكتب الأربعة للحديث، الذي ألفه الشيخ الطوسي "شيخ الطائفة"، والسيد البحراني هو من قام بترتيبه وتبويبه.

والشيخ محمد حسن النجفي[٥] صاحب كتاب " الجواهر"، شكّك بعض الفقهاء المعاصرين له ـ وهو الشيخ محسن خنفر[٦] ـ في قوة

---

(١) هو محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلي، ولد في سنة (٥٤٣هـ) بالعراق، تُوفّي في سنة (٥٩٨هـ).

(٢) روضات الجنات ـ السيد محمد باقر الخونساري: ج٦ ص٢٧٤.

(٣) أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين: ج٦ ص٢٧٩.

(٤) هو السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل التوبلاني البحراني، ولد في النصف الأول من القرن الحادي عشر، تُوفّي في سنة (١١٠٧هـ). [أنوار البدرين ـ الشيخ علي البلادي: ص١٣٦].

(٥) هو الشيخ محمد حسن ابن الشيخ باقر ابن الشيخ عبدالرحيم النجفي الأصفهاني العاملي، ولد في سنة (١٧٨٥م)، من مراجع الشيعة في القرن الثالث عشر بعد الهجرة، ومعروف بصاحب الجواهر، تُوفّي في سنة (١٨٤٩م). [الذريعة ـ آقا بزرك الطهراني: ج١١ ص٢١٤].

(٦) هو الشيخ محسن بن محمد بن خنفر الباهلي النجفي، تُوفّي في سنة (١٢٧١هـ). [الذريعة ـ آقا بزرك الطهراني: ج٢١ ص٣٨٦].

استنباطه[١] ؛ رغم أنه كان قد أتم دورة الجواهر حينذاك، حيث كان يقول للشيخ: (أعط جواهرك هذا لبائعي الفلفل والكمّون يَصرّون بها)![٢].

وفخر المحققين الحلي[٣] رشقوه بوابل التهم، ونغّصوا عليه أيامه ولياليه، حتى اضطر إلى الهجرة إلى أرض آذربيجان، كما يقول: (فبكيت بكاءً شديداً، وشكوت إليه [أي إلى والده العلامة الحلي] قلّة المساعدة، وكثرة المعاندة، وهجر الإخوان، وكثرة العدوان، وتواتر الكذب والبهتان؛ حتى أوجب لي ذلك جلاء الأوطان، والهرب إلى أرض آذربيجان، فقال لي [يعني: قال له والده]: اقطع خطابك! فقد قطعت نياط قلبي، قد سلّمتُك إلى الله؛ فهو سند من لا سند له...)[٤].

والشيخ المفيد[٥]، قد قال عنه أعداؤه ما قالوا[٦].

---

(١) شرح القواعد (كتاب المتاجر) ـ الشيخ جعفر الجناحي: ج١ ص٤٠ هامش رقم(١).

(٢) أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين: ج٩ ص٤٨.

(٣) هو الشيخ محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، ولد في سنة (٦٨٢هـ)، تُوفّي في سنة (٧٧١هـ).

(٤) روضات الجنات ـ السيد محمد باقر الخونساري: ج٦ ص٣٣٢.

(٥) هو الشيخ محمد بن محمد بن النعمان بن عبدالسلام الحارثي العكبري، يكنى بأبي عبدالله، ولد في سنة (٣٣٦هـ) ببغداد، وهو من أبرز علماء الشيعة الإمامية، تُوفّي في سنة (٤١٣هـ) ودفن بالكاظمية. [رجال النجاشي ـ النجاشي: ص٣٩٩].

(٦) أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين: ج٩ ص٤٢٢.

والعلامة الحلي لم يسلم هو كذلك من صنوف التهم وأنواع الأكاذيب[١].

والشيخ أحمد الأحسائي...

هو واحد من أولئك العظماء الناجحين الذين ذهبوا ضحية لعملية كيْل التهم والافتراءات من قِبَل الأداني؛ فبالرغم من أن أساطين زمانه، ونوابغ دهره من معاصريه وغيرهم، قد أكثروا من مدحه والثناء عليه، ولم يقدحوا بكلمة واحدة في حقه؛ بل ذكروا أنه كان من صنف الرعيل الأول من بين العلماء العظماء في تاريخ الفكر الإسلامي؛ إلا أن البعض حاربوه، وأنكروا عليه، ورموه بالغلو والقول بالتفويض، وغيرها من الاتهامات التي لا يشتم منها رائحة الصدق والتحقيق.

ولما لم يجدوا نتائج من ذلك.. زادوا في أمرهم فكفروه، وأقصوه، وهمشوه من منظومة الفكر الإسلامي عموماً، والشيعي خصوصاً.

ولماذا فعلوا ذلك معه؟

السبب الحقيقي وراء ذلك، هو تميزه عنهم، ومخالفته لهم؛ فإنه لم يسلك مسلكهم في اتِّباع موروثهم الفكري الملوث باليونانية والصوفية.

---

(١) أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين: ج٥ ص٤٠١.

ولما انتصر عليهم في حقية معتقداته وأفكاره وآرائه بمطابقتها للقرآن والسنة والعقل التابع لهما ؛ حسدوه خوفاً على أغراضهم الدنيوية[١].

فيقول المرجع الراحل الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي[٢]: (وهو ـ قدس الله روحه الشريف ـ كان في زمانه إلى زماننا هذا معياراً في تحمل أسرار أئمتنا المعصومين عليهم السلام، بحيث افترق الناس بعد وفاته فريقين، بين مصدق ومكذب.

وأما العلماء العاملون المنصفون المطلعون على الحقائق، والناظرون بعين التحقيق والبصيرة في آثاره، والعارفون لمصطلحات أئمتنا المعصومين عليهم السلام ؛ فقد صدّقوه ومدحوه وأثنوا عليه في أعلى درجات المدح والثناء، وهو في الحقيقة حقيق لجميع المدائح الجميلة والثنايا الحميدة في كل فروعه علماً وعملاً وخُلقاً وخَلقاً وعبادة وزهداً وتمسكاً

(١) لما اجتمع الخصوم لأول مرة مع السيد كاظم الرشتي في كربلاء قال لهم: (فإذا باحثنا في علم المعارف والعقايد على هذه الوجوه فأي ضلال يلزمنا، وأي محذور نخشاه، فلماذا نترك الحق الواضح والطريق اللايح، فماذا بعد الحق إلا الضلال أتأمرُنا أن نترك الحق؟ [فقالوا له] أجابوا بأن لا نريد منك ترك البحث والدرس في هذه المعارف إلا أنك سلكت مسلك الشيخ ونهجت منهجه وقلت بقوله). [دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: ص٥١].

(٢) هو المرجع الراحل المعظم الميرزا عبدالرسول بن الميرزا حسن بن الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر بن الآخوند محمد سليم الحائري الإحقاقي الإسكوئي، ولد في عام (١٣٤٨هـ)، تُوفّي في عام (١٤٢٤هـ) ودفن في مدينة كربلاء، من أشهر مؤلفاته: قرنان من الاجتهاد والمرجعية، تفسير الثقلين، وغيرهما.

ووصولاً وإشراقاً وشهوداً. وأما بعض الجاهلين والحاسدين والمشحونين، وأخيراً الخائفين على رئاستهم الدنيوية الفانية ومعيشتهم الضنكة؛ فقد افتروا عليه بالأكاذيب، وظلموه واعتدوا عليه، وأعرضوا عن الدفاع عن حريمه)[١].

ويقول السيد محمد علي الروضاتي[٢]: (لا يخفى أن صاحب العنوان[٣]ـ مع ما له من كمال الفضل وعلو المقام ـ قد خالف العلماء في بعض مسائل المعقول والمنقول والفروع والأصول؛ فصار هذا سبباً لاتهامه بفساد العقيدة، ولم يكن فيه فسادٌ ـ إن شاء الله ـ.

فإنه كان في زمانه وطول حياته معاشراً لعلماء الشيعة في العراقين، وكان معروفاً عندهم بالعلم والتقوى، ويأخذ عنهم ويأخذون عنه، له الإجازات العالية من مشاهير العلماء وأجلائهم، ولجماعة منهم الإجازة عنه أيضاً)[٤].

---

(١) التحقيق في مدرسة الأوحد ـ الميرزا عبدالرسول الحائري الإحقاقي: ص٢٦.

(٢) هو محمد على روضاتي، ابن العلامة السيد محمد هاشم ابن العلامة السيد جلال الدين ابن العلامة السيد مسيح ابن العلامة السيد محمد باقر صاحب كتاب روضات الجنات في تراجم العلماء والسادات.

(٣) يقصد الشيخ أحمد الأحسائي، حيث جاءت هذه الكلمات في تحقيقه وشرحه على كتاب روضات الجنات للخوانساري في أثناء ترجمته له.

(٤) روضات الجنات ـ السيد محمد باقر الخوانساري/ تحقيق وشرح: السيد محمد علي الروضاتي: ج١ ص٢١٦ (الهامش).

ويقول الكاتب الخبير العلامة السيد مرتضى المدرسي الجهار دهي[١] ـ الذي تعد أقواله حجة في القضايا التاريخية عند الإيرانيين ـ: (كان رجلاً زاهداً عابداً عارفاً قائم الليل ولم يَمِل قط إلى أحكام الدنيا، وأن شخصيته الفذة المعروفة بالعلم الغزير والفضل الكثير جرّت الحساد المعاصرين إلى إثارة اللغط والصخب خلافه وتكفيره؛ مع أننا لا نرى في تأليفاته بدعاً؛ بل مؤلفاته مترعة بالحقائق الإسلامية المشفوعة بدلائل قاطعة راجعة إلى أخبار أهل البيت عليهم السلام والذوق الفسلفي السليم)[٢].

فـ (لماذا كفروك؟)

(إنها نكبة المعايير في شرقنا العظيم.. حسدوك خوفاً من أن تأخذ مكانة سقراط التي هربت منها، وحاربوك جهلاً تحت راية أفلاطون التي هجرتها، وأخيراً كفروك بأدلة أرسطو التي أنقضتها.

فمن يحاكم مَن؟

والراية التي حملتها يوماً لم تكن سوى راية محمد، والكلمات التي تفوهت بها ليست سوى كلمات آل محمد.

---

(١) مرت ترجمته سابقاً.

(٢) تاريخ فلاسفة الإسلام ـ السيد مرتضى الجهار دهي: ص١٠١.

أليست مهزلةً سيدي..

أن تُنسخ التوراة والإنجيل بالفرقان!

ولا تَنسخ آياته تلك حكمة الصين واليونان!)[١]

عزيزي القارئ.. في نهاية هذه الدراسة الفكرية التي قمنا بها.

دعني أسألك هذا السؤال الأخير:

هل يحق لنا تكفير وإقصاء وتهميش شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي من منظومة الفكر الإسلامي عموماً والفكر الشيعي خصوصاً؟

أدعك تختار الإجابة التي تشاء بعدما وقفنا على الصورة الحقيقة في المدعيات التي قدمت حول شخصيته ومنهجه.

أما أنا.. فحتماً سأكون من سلك الذين يدافعون عنه؛ لأن الدليل أصبح واضحاً في مستمسك يدي.

ومن لديه غير ما ذكرت في دراستي هذه.. فهاتوا ﴿بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢].

---

(١) كلمات الدكتور ـ الأخ الفاضل المعاصر ـ حسن الشيخ. [محاكمة الأوحد ـ الدكتور حسن الشيخ: ص٦ (من كلمات المقدمة).

(٢) سورة البقرة: (١١١).

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ أبواب الهدى ـ الميرزا مهدي الأصفهاني/ تحقيق: حسين مفيد: مركز فرنكى، الطبعة الأولى (١٣٨٧هـ).

٣ـ ابن عربي سني متعصب ـ السيد جعفر مرتضى العاملي: بيروت ـ المركز الإسلامي للدراسات، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ).

٤ـ ابن عربي عارف أم ملحد ـ علاء فيصل: الطبعة الأولى (١٤٣١هـ).

٥ـ أجوبة سؤالات الشيخ محمد بن عبدالله آل رحمة الأحسائي ـ الشيخ أحمد الأحسائي/ تقديم وتحقيق: هادي مكارم تربتي: الكويت ـ شركة تدوين: (٢٠٢١م).

٦ـ أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة ـ مهدي الأصفهاني: النجف، الطبعة الثانية (١٣٨٨هـ).

٧ـ أحوال البرزخ والآخرة ـ الشيخ أحمد الأحسائي/ تحقيق: الشيخ صالح الدباب: بيروت ـ دار المحجة البيضاء، الطبعة الرابعة (١٤٣٠هـ).

٨ ـ أصفى المناهل في جواب السائل ـ السيد محمود مرهج الفاطمي: مؤسسة الإحقاقي للتحقيق والطباعة والنشر، الطبعة الثانية (١٤٣٨هـ).

٩ـ أصول الفقه ـ الشيخ محمد رضا المظفر: بيروت ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثالثة (١٤٣٠هـ).

١٠ـ أصول الفقه وقواعد الاستنباط ـ الشيخ فاضل الصفار: بيروت ـ الفكر الإسلامي، الطبعة الثانية (١٤٣٢هـ).

١١ـ أعلام هجر من الماضيين والمعاصرين ـ السيد هاشم الشخص: قم ـ مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، الطبعة الثانية (١٤١٦هـ).

١٢ـ الرد على الرادين على الشيخ أحمد الأحسائي قدس سره ـ محمود الخوئي التبريزي (نظام العلماء) / تحقيق: معين الحيدري: النجف ـ الأوحد للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (١٤٣٩هـ).

١٣ـ أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأميني: بيروت ـ دار التعارف للمطبوعات، (١٤٠٦هـ).

١٤ـ أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين ـ الشيخ علي بن حسن البلادي / تصحيح: محمد علي الطبسي: بيروت ـ دار المرتضى، (١٩٩١م).

١٥ـ آخر الفلاسفة ـ الدكتور حسن محمد الشيخ: بيروت ـ مؤسسة الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).

١٦ـ إحقاق الحق ـ الميرزا موسى الأسكوئي: الكويت ـ مكتبة الإمام الصادق عليه السلام العامة، الطبعة الرابعة (١٤٢١هـ).

١٧ـ إجازات الشيخ أحمد الأحسائي/ شرح وتعليق: الدكتور حسين محفوظ: العراق ـ مطبعة الأدب في النجف الأشرف: (١٣٩٠هـ).

١٨ـ إجازات العلامة الكبير الميرزا حسن كوهر ـ مكتبة العلامة الحائري: النجف ـ مطبعة النعمان، (١٣٨٨هـ).

١٩ـ الإجازة بين الاجتهاد والسيرة ـ الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر الأسكوئي الحائري: بيروت ـ لجنة إحياء تراث الشيخ الأوحد الأحسائي قدس سره، الطبعة الثانية (١٤٢٢هـ).

٢٠ـ الاجتهاد والتقليد ـ الشيخ فاضل الصفار: بيروت ـ مؤسسة الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى (١٤٣٣هـ).

٢١ـ الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية ـ الشيخ فرج العمران القطيفي: بيروت ـ دار هجر، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ).

٢٢ـ الأعلام ـ خير الدين الزركلي: بيروت ـ دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة (١٩٨٠م).

٢٣ـ الأنوار الجلية في رفع الشبهات عن الشيخية ـ السيد عبدالله الموسوي: البصرة.

٢٤ـ الأنساب ـ الإمام أبو سعد عبدالكريم بن محمد التميمي السمعاني: بيروت ـ دار الجنان، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ).

٢٥ـ الآيات البينات في قمع البدع والضلالات ـ الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء: بيروت ـ دار المرتضى، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ).

٢٦ـ الاعتقادات ـ الشيخ محمد بن علي القمي (الصدوق): بيروت ـ دار المفيد، الطبعة الثانية (١٤١٤هـ).

٢٧ـ بين الدين والفلسفة (في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط) ـ محمد يوسف موسى: مصر ـ دار المعارف، الطبعة الثانية.

٢٨ـ بوار الغالين ـ محمد مهدي القزويني: الهند (١٣٣٢هـ).

٢٩ـ البابية (عرض ونقد) ـ أ. إحسان إلهي ظهيري: باكستان ـ إدارة ترجمان السنة: (١٩٨٧م).

٣٠ ـ البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم ـ عبدالرزاق الحسني: مكتبة اليقظة العربية، الطبعة الرابعة (١٤٠٣هـ).

٣١ـ البداية والنهاية ـ الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي: بيروت ـ دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ).

٣٢ـ البهائية ـ طلعت زهران السكندرى: أصفهان ـ سايت بهائي يزوهى.

٣٣ـ تاريخ فلاسفة الإسلام ـ محمد لطفي جمعة: مصر ـ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (٢٠١٤م).

٣٤ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ـ يوسف كرم: مصر ـ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة (٢٠١٢م).

٣٥ـ تاريخ الفلسفة الإسلامية ـ د. ماجد فخري: الدار المتحدة للنشر.

٣٦ـ تاريخ المماليك في العراق ـ سليمان فائق/ ترجمة: محمد نجيب أرمناوي: بغداد، (١٩٦١م).

٣٧ـ تراث الشيخ الأوحد ـ الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي/ تقديم: الشيخ توفيق البوعلي: بيروت ـ الأميرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ).

٣٨ـ التحقيق في مدرسة الشيخ الأوحد ـ آية الله المعظم المرجع الراحل الميرزا عبدالرسول الحائري الإحقاقي.

٣٩ـ التوحيد ـ جواد علي كسار/ تقرير الدروس للسيد كمال الحيدري: مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة.

٤٠ـ التصوف الإسلامي بين الدين والفلسفة ـ د. إبراهيم هلال: القاهرة ـ دارة النهضة العربية، الطبعة الأولى (١٣٩٥هـ).

٤١ـ ثلاث رسائل ـ الشيخ محمد ابن الشيخ عبدعلي آل عبد الجبار القطيفي/تحقيق: الشيخ حلمي السنان: قم ـ إسماعيليان، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).

٤٢ـ جواهر الحكم ـ السيد كاظم الرشتي: البصرة ـ شركة الغدير (١٤٣٢هـ).

٤٣ـ حياة النفس في حضرة القدس ـ الشيخ أحمد الأحسائي: بيروت، الطبعة الثانية (١٤٢١هـ).

٤٤ـ حقيقة البابية والبهائية ـ محسن عبدالحميد: بغداد ـ مكتبة المعارف: (١٩٦٩م).

٤٥ـ الحجة البالغة ـ السيد كاظم الرشتي: مكتبة العذراء، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ).

٤٦ـ الحكمة المتعالية عند صدر المتألهين ـ د. علي الحاج حسن: دار الهادي، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

٤٧ ـ الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ـ الملا صدرا الشيرازي: بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة (١٩٨١هـ).

٤٨ـ الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ـ الملا صدرا الشيرازي/ تحقيق: الشيخ حسن زاده آملي: إيران ـ وزارة الثقافة والأرشاد الإسلامي، الطبعة الرابعة (١٣٨٦هـ).

٤٩ ـ الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة ـ الشيخ يوسف البحراني: قم المقدسة ـ مؤسسة النشر الإسلامي.

٥٠ ـ خلاصة علم الكلام ـ الشيخ عبدالهادي الفضلي: الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٥١ـ الخصال ـ الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي: قم ـ جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.

٥٢ـ داود باشا والي بغداد ـ عبدالعزيز سليمان نوار: القاهرة، (١٩٦٨م).

٥٣ـ دعوى وحدة الناطق (أدلة بطلانها من كتب الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي) ـ الشيخ حبيب بن قرين الأحسائي/ تحقيق: الشيخ عبد المنعم العمران: بيروت ـ مؤسسة المصطفى ﷺ لإحياء التراث، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

٥٤ـ دليل المتحيرين ـ السيد كاظم الرشتي: العراق (البصرة) ـ مطبعة الغدير.

٥٥ـ ديوان الشيخ علي نقي الأحسائي/ تحقيق وتعليق: السيد محمد كاظم الطريحي: شركة طباعة تابان.

٥٦ـ الدين بين السائل والمجيب ـ الميرزا حسن الأحقاقي: الكويت ـ منشورات مكتبة الإمام الصادق عليه السلام (١٩٩٢م).

٥٧ـ الذريعة في تصانيف الشيعة ـ العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني: بيروت ـ دار الأضواء، الطبعة الثالثة (١٤٠٣هـ).

٥٨ـ روضات الجنات في تراجم العلماء والسادات ـ السيد محمد باقر الخوانساري/ تحقيق وشرح: السيد محمد علي الروضاتي: طهران ـ مؤسسة دار الكتب الإسلامية، (١٣٨٢هـ).

٥٩ـ رياض المسائل ـ السيد علي الطبطائي: قم ـ مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).

٦٠ـ الرسالة العلمية ـ الشيخ علي نقي ابن الشيخ أحمد الأحسائي: بيروت ـ مؤسسة شمس هجر، الطبعة الثانية (١٤٢٨هـ).

٦١ـ الروح المجرد ـ السيد محمد حسين الطهراني: مؤسسة علوم ومعارف الإسلام للترجمة والنشر.

٦٢ـ الروضة البهية في الإجازة الشفيعية ـ السيد محمد شفيع الجابقلي: إيران ـ مؤسسة تراث الشيعة، الطبعة الأولى (١٤٣٤هـ).

٦٣ـ سيرة الشيخ أحمد الأحسائي/ تحقيق وتعليق: د. حسين محفوظ: بغداد ـ دار المعارف (١٩٥٧م).

٦٤ـ سيد المرسلين ـ الشيخ جعفر السبحاني: بيروت ـ دار البيان العربي، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ).

٦٥ـ شرح حياة الأرواح ـ الميرزا حسن كوهر: تبريز، الطبعة الأولى (١٣٧٦هـ).

٦٦ـ شرح العرشية ـ الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي/ تحقيق: الشيخ صالح الدباب: بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

٦٧ـ شرح المشاعر ـ الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي/ تقديم: الشيخ توفيق البوعلي: بيروت ـ مؤسسة البلاغ، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ).

٦٨ـ شرح الفوائد ـ الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي/ تحقيق: الشيخ راضي السلمان: بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

٦٩ـ شمس هجر (سيرة الشيخ أحمد الأحسائي ـ ترجمة الشيخ عبدالله الأحسائي) ـ الشيخ أحمد الأحسائي، الشيخ عبدالله الأحسائي/ إعداد وتحقيق: الشيخ أحمد البوشفيع: بيروت ـ لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد الأوحسائي: الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).

٧٠ـ شيخيكري بابيكري ـ السيد مرتضى الجهار دهي: إيران، (١٣٨٦هـ).

٧١ـ الشيخ الأوحد حكيم أم صوفي ـ الشيخ إبراهيم القديم: بيروت ـ دار الباقيات الصالحات، الطبعة الأولى (١٤٣٩هـ).

٧٢ـ الشيخية نشأتها وتطورها ومصادر دراستها ـ السيد محمد حسن الطالقاني: بيروت ـ الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ).

٧٣ـ الشيخية والبابية (اعتراف الشيخية بالكفر) ـ منشورات ديوان النشر والترجمة والتأليف لجامعة مدينة العلم للإمام الخالصي الكبير في الكاظمية: بغداد ـ مطبعة المعارف، الدورة الثانية، العدد الثاني.

٧٤ـ الشيعة والغلو ـ حسن الخشن: الانتشار العربي.

٧٥ـ صحيفة الأبرار في مناقب الأطهار ـ الميرزا محمد تقي بن الميرزا محمد المامقاني الشهير بـ(حجة الإسلام): بيروت ـ دار المحجة، الطبعة الثانية (١٤٢٥هـ).

٧٦ـ طبقات أعلام الشيعة ـ العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني: دار إحياء التراث، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ).

٧٧ـ الطائفية والسياسة في العالم العربي (نموذج الشيعة في العراق) ـ د. فرهاد إبراهيم: مكتبة مدبولي: الطبعة الأولى (١٩٩٦م).

٧٨ـ الطريق إلى المهدي المنتظر ـ سعيد أيوب: بيروت ـ الغدير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ).

٧٩ـ عالم هورقليا عند الشيخ أحمد الأحسائي ـ الشيخ إبراهيم القديم: بيروت ـ دار الباقيات الصالحات، الطبعة الأولى (١٤٤٤هـ).

٨٠ ـ عبقرية الشيخ الأوحد ـ الشيخ محمد حسنين السابقي الباكستاني: الكويت ـ مسجد الصحاف (لجنة الاحتفالات والندوات الدينية).

٨١ ـ عشائر كربلاء وأسرها ـ السيد سلمان هادي آل طعمة: بيروت ـ دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى (١٩٩٨م).

٨٢ ـ عقيدة الشيعة ـ الميرزا علي بن موسى الحائري الإحقاقي/ تقديم: الأستاذ صالح السليمي: الطبعة الثانية.

٨٣ ـ علم المحجة ـ الميرزا محمد حسين المامقاني: بيروت ـ لجنة إحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد، الطبعة الأولى (٢٠٠٠م).

٨٤ ـ عوالي اللآلي ـ ابن أبي جمهور الأحسائي: إيران ـ مطبعة سيد الشهداء، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ).

٨٥ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ الشيخ أحمد السعدي/ تحقيق: د. نزار رضا: بيروت ـ دار مكتبة الحياة.

٨٦ ـ فتاوى في الشيخية ـ جمع وأعداد: السيد مهدي الموسوي: قم ـ دار زين العابدين، الطبعة الأولى (٢٠١٦م).

٨٧ ـ فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ـ د. غالب بن علي عواجي: جدة ـ المكتبة العصرية الذهبية، الطبعة الرابعة (١٤٢٢هـ).

٨٨ ـ فرقة الشيخية (عرض ونقد) ـ خالد فواز محمد الحارثي: المملكة العربية السعودية ـ دار الأوراق الثقافية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (١٤٤٠هـ).

٨٩ ـ فلاسفة الشيعة ـ الشيخ عبد الله نعمة: بيروت ـ دار الفكر، الطبعة الأولى (١٩٨٧م).

٩٠ ـ تاريخ فلاسفة الإسلام ـ السيد مرتضى جهار دهي: (فارسي)، (١٣٧٠هـ).

٩١ـ فهرست ابن النديم ـ أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق: طبعة مصر.

٩٢ـ فهرست تصانيف الشيخ الأوحد ـ الحاج رياض طاهر: مكتبة الحائري.

٩٣ـ فهرست كتب شيخ أحمد الأحسائي وسائر مشائخ عظام ـ أبو القاسم الإبراهيمي الكرماني: كرمان (١٣٦٧هـ).

٩٤ـ في محراب الشيخ محمد بن الشيخ حسين آل أبي خمسين ـ موسى الهادي: لبنان ـ مؤسسة العروة الوثقى: الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ).

٩٥ـ الفتاوى الواضحة ـ السيد محمد باقر الصدر: النجف ـ مطبعة الآداب.

٩٦ـ الفتاوى (أسئلة وأجوبة) ـ السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم: إيران ـ دار الهلال، الطبعة الثالثة (١٤٣٣هـ).

٩٧ـ الفلسفية ـ الحاج أبو القاسم خان الإبراهيمي الكرماني/ ترجمة: السيد علي بن المرحوم السيد عبدالله الموسوي: البصرة ـ مطبعة الغدير (١٤٣٢هـ).

٩٨ـ قصص العلماء ـ الميرزا محمد بن سليمان التنكباني: طهران ـ آقا اسماعيل كتابفروش، (حجرية)، (١٣١٣هـ).

٩٩ـ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ـ العلامة الحلي/ تعليق: آية الله الشيخ حسن حسن زادة الآملي: قم ـ مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة السابعة (١٤١٧هـ).

١٠٠ـ الكنى والألقاب ـ الشيخ عباس القمي.

١٠١ـ الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية ـ عبدالحسين آواه: القاهرة (١٣٤٣هـ).

١٠٢ـ لباب الألباب في ألقاب الأطياب ـ الشيخ الملا حبيب الله الشريف الكاشاني: إيران ـ المطبعة العلمية، الطبعة الثانية (١٤١٤هـ).

١٠٣ـ ماضي النجف وحاضرها ـ الشيخ جعفر باقر آل محبوبة: بيروت ـ دار الأضواء، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ).

١٠٤ـ محاكمة الأوحد (محاضر الجلسات القضائية لمحاكمة الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي) ـ د. حسن الشيخ: بيروت ـ دار الرأي العربي، الطبعة الأولى (١٤٣٤هـ).

١٠٥ـ مدخل إلى العلوم الإسلامية ـ الشهيد مطهري: بيروت ـ دار الولاء، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ.

١٠٦ـ مدينة الحسين ـ محمد حسن مصطفى آل كليدار: بغداد ـ مطبعة النجاح: (١٣٦٨هـ).

١٠٧ـ مذكرات دالكوركي/ تعريب: السيد أحمد الموسوي الفالي: بيروت.

١٠٨ ـ مرآة الكتب ـ علي بن موسى بن محمد شفيع التبريزي: قم ـ مكتبة آية الله العظمة المرعشي، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).

١٠٩ـ معادن الجواهر ونزهة الخواطر ـ السيد محسن الأمين: بيروت ـ دار الزهراء، الطبعة الثانية.

١١٠ـ معالم الفتن ـ سعيد أيوب: إيران ـ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١١١ـ معرفة الإمام ـ السيد محمد حسين الطهراني: بيروت ـ دار المحجة البيضاء، الطبعة الثانية (١٤٣٢هـ).

١١٢ـ معنى بسيط الحقيقة كل الأشياء ـ الشيخ أحمد الأحسائي: بيروت ـ دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ).

١١٣ـ مفتاح باب الأبواب ـ د. محمد مهدي خان: القاهرة (١٣٢١هـ).

١١٤ـ منتهى المقال في أحوال الرجال ـ الشيخ محمد بن إسماعيل المازندراني: قم ـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).

١١٥ـ منظرة الدقائق على تبيان الحقائق ـ الميرزا حسن الحائري الإحقاقي: بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٣٦هـ).

١١٦ـ منية السائل (مجموعة فتاوى) ـ السيد أبي القاسم الخوئي: (١٤١٢هـ).

١١٧ـ من كنت مولاه فهذا علي مولاه ـ الشيخ عبدالمنعم الكاظمي.

١١٨ـ موسوعة العقائد الإسلامية ـ محمد الريشهري: قم ـ دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ).

١١٩ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ـ شمس الدين أبو عبدالله الذهبي: بيروت ـ دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (١٣٨٢هـ).

١٢٠ـ نزهة الأفكار (ترجمة لكتاب "كلمة أي إزهزار در رد مزدوران استعمار") ـ ميرزا غلام حسين معتمد الإسلام التبريزي/ ترجمة: الشيخ حسين بخش الباكستاني: سوريا ـ مؤسسة فكر الشيخ الأوحد قدس سره للتحقيق والطباعة والنشر، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

١٢١ـ نشأة التصوف الإسلامي ـ د. إبراهيم بسيوني: القاهرة ـ دار المعارف بمصر، (١٩٦٩م).

١٢٢ـ نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ـ د. عرفان عبدالحميد فتاح: بيروت ـ دار الجيل، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ).

١٢٣ـ نظرة فيلسوف (في سيرة الشيخ الأحسائي والسيد الرشتي) ـ الدكتور هنري كوربان/ ترجمة: خليل زامل.

١٢٤ـ النحلة اللقيطة البابية والبهائية تاريخ ووثائق ـ د. عبدالمنعم أحمد النمر: القاهرة ـ مكتبة التراث الإسلامي.

١٢٥ـ وفيات الأعيان ـ ابن خلكان: قم المقدسة ـ مؤسسة الشريف الرضي، (١٣٦٤هـ).

١٢٦ـ هدية النملة إلى مجدد الملة ـ محمد رضا الهمداني: بمبي (١٣٣٣هـ).

١٢٧ـ مجلة الوحدة الإسلامية، العدد (١٠١)، سنة (١٤٠٩هـ).

١٢٨ـ مجلة الشرق السوفيتية، سنة (١٩٢٤ـ١٩٢٥م).

١٢٩ـ مجلة البيان النجفية، السنة الأولى.

١٣٠ـ مجلة نصوص معاصرة، العدد (٣٦ـ٣٧).

١٣١ـ koenig, H. G. (٢٠٠٩). Research on religion, spirituality, and mental health: A review. Canadian Journal of Psychiatry, ٥٤ (٥),٢٨٣-٢٩١.

الفهرس

الإهداء ٥
مقدمة المؤلف ٧

شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي في سطور التاريخ ١٩
المدعيات التي قدمت لتكفير وإقصاء وتهميش شخصية ومنهج
الشيخ أحمد الأحسائي ٣٧

المدعى الأول: الشك في ذات شخصية الشيخ أحمد الأحسائي ... ٤٩
الأمر الأول: أصل ونسب الشيخ أحمد الأحسائي ٥٥
الأمر الثاني: مكانة الشيخ أحمد الأحسائي العلمية ووثاقته لدى
العلماء ٥٨
إشكالات حول إجازات الشيخ أحمد الأحسائي ٦٧
الإشكال الأول: تواريخ إجازات الشيخ أحمد الأحسائي ٦٨
الإشكال الثاني: إجازات الشيخ أحمد الأحسائي إجازات رواية
لا إجازات اجتهاد ٨٨

المدعى الثاني: الإفكار والمعتقدات والآراء الفاسدة في منهج الشيخ أحمد الأحسائي ١٠٣
السؤال الأول: كم عدد الأفكار والمعتقدات والآراء الفاسدة في منهج الشيخ أحمد الأحسائي؟ ١٠٨
الحدث الأول: تكفير الشيخ أحمد الأحسائي ١١١
الحدث الثاني: الخصوم والسيد كاظم الرشتي ١٢١
الحدث الثالث: حادثة تبريز ودواعي تأليف كتاب علم المحجة ١٢٤
الحدث الرابع: دواعي تأليف كتاب إحقاق الحق ١٢٧
التأمل الفكري في إجابة السؤال الأول ١٣٠
السؤال الثاني: كيف توصل أصحاب هذا المدعى إلى تلك الأفكار والمعتقدات والآراء الفاسدة في منهج الشيخ أحمد الأحسائي؟ ١٣٦
التأمل الفكري في إجابة السؤال الثاني ١٤٢
السؤال الثالث: أين هي الأدلة المعتبرة لأصحاب هذا المدعى؟ ١٥٥
التأمل الفكري في إجابة السؤال الثالث ١٥٧
أولاً: رسالة الماجستير للسيد محمد حسن الطالقاني ١٦١
الأمر الأول في رسالة الطالقاني: حقيقة الطبيعة الفكرية والفقهية لشخصية الشيخ أحمد الأحسائي ١٦٣
الأول: طبيعة الاتجاه الفكري لشخصية الشيخ أحمد الأحسائي .. ١٦٣

الثاني: طبيعة الاتجاه الفقهي لشخصية الشيخ أحمد الأحسائي ... ١٦٩
الأمر الثاني في رسالة الطالقاني: حقيقة ما تبناه الشيخ أحمد الأحسائي في منهجه من أفكار ومعتقدات وآراء ١٧٩
ثانياً: رسالة الماجستير لخالد فواز محمد الحارثي ١٩٤

المدعى الثالث: فساد تلامذة وأتباع الشيخ أحمد الأحسائي ١٩٩
دور السيد كاظم الرشتي مع منهج الشيخ أحمد الأحسائي ٢٠٤
الأمر الأول: زعامة السيد كاظم الرشتي في مدينة كربلاء ٢١٢
الأمر الثاني: تصدي السيد كاظم الرشتي لخصوم أستاذه بعد رحيله ٢١٣
ما فعله الخصوم بعائلة السيد كاظم الرشتي بعد وفاته ٢٣٠
التأمل الفكري في دور السيد كاظم الرشتي مع منهج الشيخ أحمد الأحسائي ٢٣٤
دور الشيخ محمد كريم خان الكرماني مع منهج الشيخ أحمد الأحسائي ٢٣٧
مصطلح وحدة الناطق أو الركن الرابع ٢٤٣
التأمل الفكري في دور الشيخ محمد كريم خان الكرماني مع منهج الشيخ أحمد الأحسائي ٢٤٨

دور السيد علي محمد الشيرازي "الباب" مع منهج الشيخ أحمد الأحسائي ٢٥٤
التأمل الفكري في دور السيد علي محمد الشيرازي "الباب" مع منهج الشيخ أحمد الأحسائي ٢٦٠
القول في فساد تلامذة وأتباع الشيخ أحمد الأحسائي ٢٦٤

السبب الحقيقي في تكفير وإقصاء وتهميش شخصية ومنهج الشيخ أحمد الأحسائي ٢٦٧
موقف الشيخ أحمد الأحسائي تجاه موروث الفكر الفلسفي الإسلامي ٢٧٠
الضريبة التي دفعها الشيخ أحمد الأحسائي تجاه موقفه من موروث الفكر الفلسفي الإسلامي ٢٩٠

المصادر والمراجع ٢٩٩
الفهرس ٣١٩